سلسلة كتب ورسائل في العقيدة (١)

كتاب التوحيد

للإمام المجدد

محمد بن عبد الوهاب

١١١٥ - ١٢٠٦هـ - رحمه الله

وكتاب القول السديد في مقاصد التوحيد

للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي

١٣٠٧ - ١٣٧٦هـ - رحمه الله

اعتنى به وخرج أحاديثه

د. المرتضى الزين أحمد

مجموعة التحف النفائس الدولية

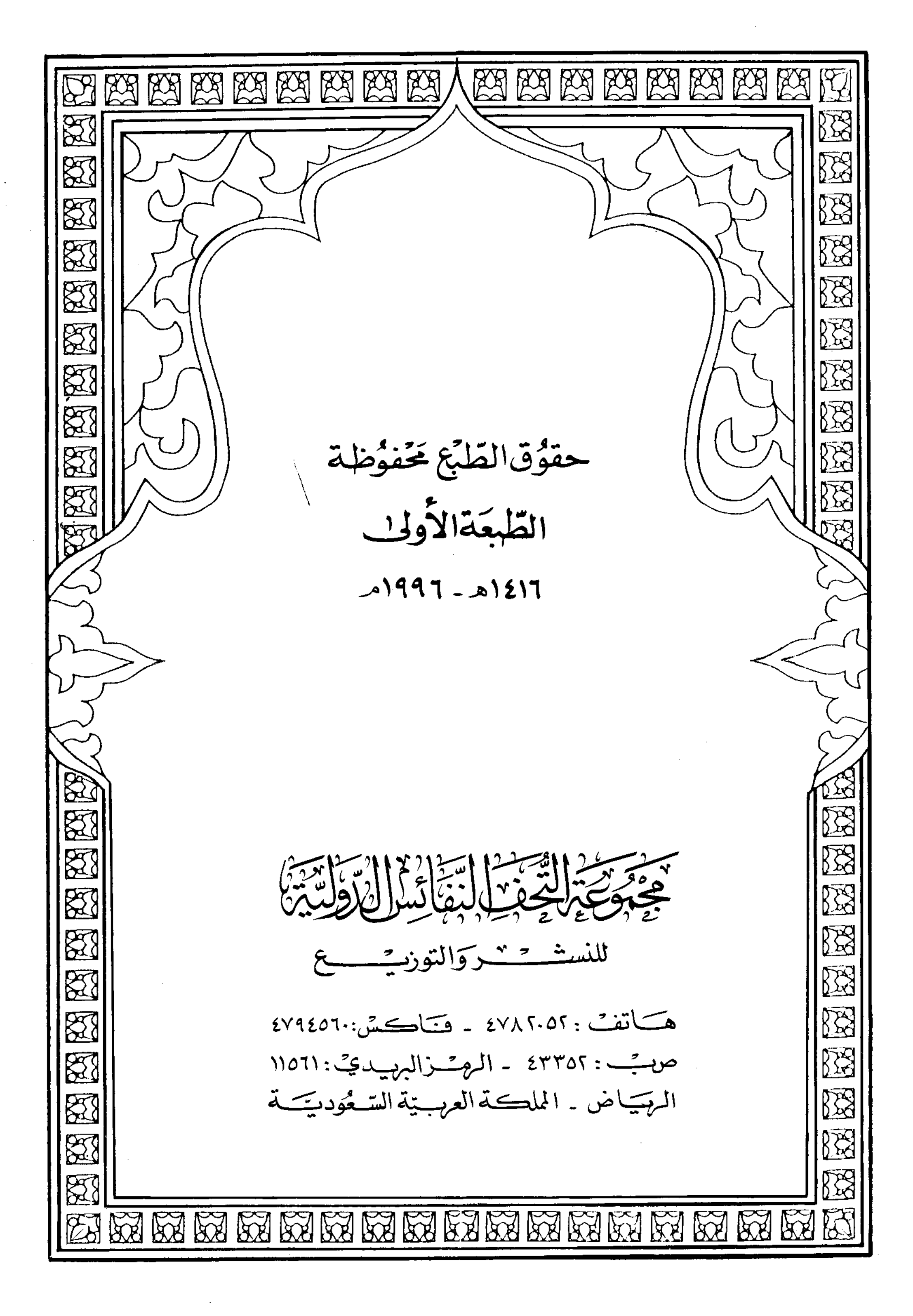
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وقل رب زدني علما﴾

كتاب التوحيد

وكتاب القول السديد

في مقاصد التوحيد



الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

مجموعة التحف النفائس الدولية

للنشر والتوزيع

هاتف : ٤٧٨٢٠٥٢ - فاكس: ٤٧٩٤٥٦٠

ص.ب : ٤٣٣٥٢ - الرمز البريدي : ١١٥٦١

الرياض - المملكة العربية السعودية



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار(١).

أما بعد، فإن توحيد الله وإفراده بالعبادة أساس هذا الدين، وهو الغاية التي خلق الله الثقلين ـ الجن والإنس ـ لتحقيقها، قال الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقد أمر الله تعالى الناس كلهم بعبادته كما قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] ولقد بعث سبحانه الرسل كلهم للدعوة لتوحيده وإفراده بالعباده ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

(١) هذه تسمى خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يستفتح بها خطبه ومواعظه، رواه مسلم في صحيحه: كتاب الجمعة باب خطبته ﷺ في الجمعة (٦/ ١٥٣) مع شرح النووي والبيهقي في سننه (٣/ ٢١٤) وأحمد في مسنده (١/ ٣٩٢) وغيرهم.

وهذا المبدأ مع وضوحه وأهميته تساهل فيه كثير من الناس، وزهد فيه كثير من الدعاة، وقال بعضهم إن الاهتمام بهذا الأصل والدعوة إليه يفرق المسلمين ويمزق وحدتهم، وحسبهم أن يقول المسلم لا إله إلا الله بلسانه ويصلي ويصوم ويؤدي بقية أركان الإسلام، ولا مانع عند هؤلاء أن يكون المسلم بهذه الصفة ولو كان ينقض توحيده بدعاء الأموات والاستغاثة بهم. ولهذا ـ وغيره ـ فإن الدعوة إلى بيان توحيد الله، وتوضيح نواقضه والتحذير منها، وبيان حقيقة ما دعا إليه رسول الله ﷺ وحمايته ﷺ لتوحيد الله وتحذيره من الشرك وأسبابه من الأمور الهامة التي يجب على الدعاة الاهتمام بها، وتقديمها في دعوتهم إلى الله على كل شيء، ومن الكتب التي بينت هذه الأمور ووضحت حقيقة التوحيد (كتاب التوحيد) لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ الإمام المجدد.

شروح هذا الكتاب:

لقد لقي كتابه هذا عناية كبيرة من العلماء، وشرحه جماعة منهم، فمن ذلك:ـ

(١) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ١٢٣٣هـ

(٢) فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ١٢٨٥هـ

(٣) القول السديد شرح في مقاصد التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ١٣٧٦هـ

كتاب القول السديد:

ومن هذه الشروح كتاب (القول السديد) للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ وهو شرح مختصر وسهل العبارة قد وصفه مؤلفه ـ رحمه الله ـ بقوله:



(فقد سبق أن كتبنا تعليقاً لطيفاً في مواضع من (كتاب التوحيد) لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ـ قدس الله روحه ـ.)[١]، وذكر ـ رحمه الله ـ أن (كتاب التوحيد): (يشتمل على توحيد الإلهية والعبادة: يذكر أحكامه، وحدوده، وشروطه، وفضله، وبراهينه، وأصوله، وتفاصيله، وأسبابه، وثمراته، ومقتضياته، وما يزداد به ويقويه، أو يضعفه ويوهيه، وما به يتم أو يكمل).[٢]

وقد بيَّن الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ هذه المسائل ـ وغيرها ـ بياناً لا يستغنى عنه الراغبون في هذا الفن، وقد عبر عن ذلك في نهاية كتابه بقوله:

(وهذا آخر التعليق المختصر على (كتاب التوحيد)، وتوضيح مقاصده، وقد حوى من غرر مسائل التوحيد، ومن التقاسيم والتفصيلات النافعة ما لا يستغنى عنه الراغبون في هذا الفن الذي هو أصل الأصول، وبه تقوم العلوم كلها، والحمد لله على تيسيره ومنته).[٣]

وتتشرف (**دار التحف النفائس الدولية**) التي تتولى إصدار (سلسلة كتب ورسائل في العقيدة) أن يكون أول إصدار لهذه السلسلة هذا الكتاب (القول السديد في مقاصد التوحيد) مساهمة منها في نشر عقيدة السلف الصالح، والدعوة إلى توحيد الله، ولقد حرصت في هذه الطبعة على إتقانها مقابلة وتصحيحاً وإخراجها إخراجاً جيداً، خالية من الأخطاء إن شاء الله، وتخريج أحاديثها بذكر اسم الكتاب، ورقم الجزء، والصفحة، ورقم الحديث ـ إن وجد ـ وبيان درجة الحديث من حيث الصحة والضعف بنقل أقوال علماء الحديث في ذلك، وقد اعتمدنا في هذه الطبعة على الطبعة التي نشرتها (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد) وقد تم طبعها في (شركة الطباعة

(١) القول السديد، ص: ٣
(٢) القول السديد، ص: ٣.
(٣) القول السديد، ص: ١٨٦.

السعودية المحدودة) عام ١٤٠٤هـ الموافق ١٩٨٤م. ولعلها من اتقن طبعاته، ولعل الله ييسر لنا الحصول على أصول هذا الكتاب (مخطوطاته) حتى يتسنى لنا نشره وتحقيقه تحقيقاً أكثر اتقاناً وتنقيحاً.

ونسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب في تصحيح المفاهيم وبيان حقيقة ما جاء به رسول الله ﷺ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المرتضى الزين أحمد
الرياض
٤/٤/١٤١٦هـ

* * *



مقدمة

القول السديد في مقاصد التوحيد

الحمدُ لله نَحمَدُه ونستعينهُ ونستغفرهُ ونتوبُ إليه ونعوذُ باللهِ من شرورِ أَنْفُسِنَا وسَيِّئاتِ أَعمَالِنَا . من يَهْدِ اللهُ فلا مُضلَّ له ، ومَنْ يُضلل فلاَ هَاديَ له ، وأَشهَدُ أَن لا إلٰه إلاَّ الله وحدهُ لا شَريكَ له ، وأَشهدُ أَنَّ مُحمدًا عبدهُ ورَسُولهُ .

أما بعد : فقد سَبَقَ أَنْ كَتبْنَا تعليقًا لطيفًا في مواضع من كتاب التوحيد لشيخ الإسلام (محمد بن عبدالوهاب) قَدَّسَ الله روحه ، فحصَلَ فيه نفع ومعونة للمشتغلين ، ومساعدة للمعلمين ، لما فيه من التفصيلات النافعة مع الوضوح التام . وطُبعَ بمطبعة الإمام ثُمَّ نفدت نسخه معَ كثرة الطَلَبِ عليه . ودعت الحاجة الشديدة إلىٰ إعادة طبعه ونشره ، وفي هذه المرة بدا لي أَن أُقَدِّمَ أَمام ذلك مقدمة مختصرة تحتوي على مُجملات عقائد أَهلِ السُّنة ، في الأُصول وتوابعها ، فأَقول مستعينًا بالله :

مقدمـــة

تشتمل على صفوة عقيدة أَهل السنة وخلاصتها المستمدة من الكتاب والسنة

وذلِكَ أَنهم يـؤمِنونَ بـالله وملائكتـه وكتبـه ورُسلِهِ واليـومِ الآخِرِ والقـدَرِ خيرِهِ وشرِهِ.

فيشْهدُونَ أَنَّ الله هو الربّ الإلـٰـه المعبود، المتفرِّد بكل كمال، فيعبـدونه وحدَه مُخْلِصِينَ له الدِّين.

فيقُولون : إنَّ الله هو الخالِق الباريء، المصوِّر الرزَّاق المُعطي المانع المُدبِّر لجميع الأُمور.

وإِنَّهُ المألـوه المعبودُ الموحَّدُ المقصـود، وإِنَّه الأَوَّل الذي ليس قبلـه شيء، الآخر الذي ليس بعـده شيء، الظاهر الذي ليسَ فـوقه شيء، الباطن الـذي ليس دونه شيء.

وإِنَّهُ العليُّ الأَعْلىٰ بِكُلِّ معنىً واعتبار، علو الذَّاتِ وعلو القَدْرِ، وعلو القهر.

وإِنَّـهُ على العرش استـوى، استواءً يليق بعظمتـه وجـلاله، ومع علـوه المُطلَق وفـوقيته، فعلمـه محيطٌ بالظـواهـر والبواطن، والعـالم العلوي والسفلي، وهـو معَ العِباد بعِلمه، يعلمُ جميعَ أَحْوالهم، وهوَ القريبُ المُجيبُ.

وإِنَّهُ الغنيُّ بذاته عن جميع مخلوقـاته، والكلّ إليه مفتقرون في إيجادهم وإيجاد ما يحتـاجون إليـهِ في جميع الأَوقـات، ولا غنىً لأَحـدٍ عنه طـرفـة عين، وهو الـرؤوف الرَّحيم، الذي مـا بالعباد من نعمة دينية ولا دنيويـة ولا دفع نقمة إلاَّ من الله، فهو الجالب للنعم، الدَّافع للنِقَم.



ومن رحمته أَنَّـه ينْزِلُ كل ليلـة إلىٰ السماء الدُّنيا يستعـرض حاجـات العِبَاد حين يبقى ثُلُثُ الليل الآخـر. فيقـول: «**لا أَسألُ عن عِبـادي غيري، مَنْ ذا الـذي يدعوني فأَستجِيب له، مَنْ ذَا الذي يسألني فأُعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأَغفِرُ له**»[1] حتى يطلع الفجر، فهو ينزل كما يشاء ويفعل كما يريد.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ويعتقدون أَنَّهُ الحكيم، الذي له الحِكْمَة التَّـامَّة في شرعه وقدره، فما خلق شيئًا عبثًا، ولا شَرَعَ الشرائِعَ إلاَّ للمصالح والحِكَم.

وأَنَّـهُ التوَّاب العفـو الغفور، يقبلُ التـوبةَ عن عبـادِهِ، ويعفو عن السيِّئـاتِ، ويغفر الذنوب العظيمة للتائبين والمستغفرين والمنيبين.

وهو الشَّكُورُ الذي يشكرُ القليل من العمل، ويزيد الشاكرين من فضله.

ويصفونـه بِمَا وَصفَ به نفسـه، ووصفهُ بـه رسولـه ﷺ من الصِّفات الـذاتية، كالحيـاة الكاملة، والسمـع والبصر، وكمال القُدْرة، والعظمة والكبريـاء، والمجد والجلال والجمال، والحمـد المطلق، ومن صفـات الأَفعَـال المُتعلِّقـة بمشيئتـهِ وقُـدرتـه، كالـرحمة، والـرضـا، والسخط، والكلام، وأَنَّـه يتكلَّم بما يشـاء كيف يشاء، وكلماته لا تنفد، ولا تبيد.

وأَنَّ القُرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود.

وأَنَّهُ لم يزَل ولا يـزال موصوفًا بأنَّه يفعل ما يُـريد، ويتكلَّم بما شاء، ويحكم على عبـاده بأَحكـامه القـدريَّة وأَحكـامه الشرعيـة، وأَحكامـه الجزائية. فهـو الحاكم المالك ومن سواه مملوك محكوم عليه فلا خروج للعباد عن مُلْكِهِ ولاعن حُكْمِهِ.

ويؤمِنُـونَ بما جاءَ بِهِ الكِتَـاب وتواتـرتْ بِهِ السُّنة: أَنَّ المؤمنين يـرون رَبَّهُمْ تعالى عيانًا جهرةً، وأَن نعيمَ رؤيته والفوز برضوانه أَكبَرُ النعيم وأَلذُّه.

---

(١) رواه البخـاري: كتاب التهجـد، باب الـدعاء والصـلاة من آخر الليل (١/ ٣٨٤) حـديث رقم (١٠٩٤). ومسلم: كتـاب صلاة المسـافرين، بـاب الترغيب في الـدعاء والـذكر في آخـر الليل والإجابة فيه (١/ ٥٢٢) حديث رقم (٧٥٨) دون الجملة الأُولى (لا أَسأل عن عبادي غيري).

وأَنَّ من مَـات على غير الإيمان والتـوحيـد فهو مُخَلَّـدٌ في نـارِ جهنَّمَ أَبـدًا، وأَنَّ أَربابَ الكبـائِرِ إذا ماتوا على غير تـوبة ولا حصل لهم مكفِّرٌ لذنوبهم ولا شفـاعة فإنَّهُمْ وإنْ دَخَلُوا النَّـارَ لا يُخَلَّدُون فيها، ولا يبقىٰ في النار أَحدٌ في قلبـه مِثْقَالُ حبَّة خَردَلٍ من إيمان إلاَّ خرجَ منها.

وأَنَّ الإيمان يشمل عقـائد القلـوب وأَعمالها، وأَعمال الجوارح وأَقوال اللسـان، فمن قـام بها على الوجـه الأَكْمَل فهو المؤمِنُ حقًّـا، الذي استحقَّ الثـوابَ وسَلِمَ من العِقَـاب، ومن انتقصَ منها شيئًـا نقص من إيمانه بقـدر ذلك. ولذلك كـان الإيمان يزيدُ بالطاعة وفعل الخير، وينقصُ بالمعصية و الشر.

ومن أُصـولِهم السعي والجدُّ فيما ينفعُ من أُمـور الـدِّين والـدُّنْيا مع الاستعـانـة بالله. فهم حريصون على ما ينفعهم ويستعينون بالله.

وكـذلك يحقِّقـون الإخـلاص لله في جميـع حـركـاتهم، ويتِّبعـونَ رسـول الله في الإخلاص للمعبود، والمتابعة للرسول، والنصيحة للمؤمنين أَتباع طريقهم.

فصـــل

ويشهدون أَنَّ محمـدًا عبدهُ ورسـوله أَرسلـه الله بالهُدىٰ وديـن الحقّ ليُظهره على الدِّينِ كله، وأَنَّه أَوْلىٰ بالمؤمنين من أَنْفُسِهم، وهو خَاتَمُ النبيين، أُرسِلَ إلىٰ الإنسِ والجن بشيرًا ونـذيـرًا، وداعيًا إلىٰ اللهِ بـإذنـه وسراجًـا مُنيرًا، أَرسله بصـلاح الـدِّين وصلاح الدُّنيا، وليقوم الخلقُ بعبادة الله ويستعينوا برزقه على ذلك.

ويعلمون أَنَّـهُ أَعلمُ الخلْق وأَصدقُهُم وأَنصحهُم، وأَعظمهم بيانًا، فيعظمـونه ويحبـونـه، ويقـدمون محبتـه على محبـة الخلق كلهم، ويتبعـونـه في أُصـولِ دينهم وفروعه.

ويقدِّمون قوله وهديه على قول كل أَحد وهديه.

ويعتقـدون أَنَّ الله جمعَ لـه من الفضـائل والخصـائص والكمالات مـالم يجمعـه



لِأَحَد، فهو أَعلىٰ الخلْق مَقامًا وأَعظمُهُمْ جاهًا، وأَكْمَلُهُمْ في كل فضيلة، لم يبقَ خيرٌ إِلاَّ دَلَّ أُمته عليه، ولا شرٌّ إِلاَّ حذَّرَهم منهُ.

وكَذلِكَ يؤمِنُونَ بكُلِ كِتاب أَنْزلَهُ الله، وكل رسولٍ أَرسلهُ الله، لا يُفرِّقون بين أَحدٍ من رُسلِهِ.

ويؤمِنون بالقَدَرِ كُلِّه، وأَنَّ جميعَ أَعمالِ العبادِ ـ خيرها وشرِّها ـ قَدْ أَحَاط بها علم الله، وجرىٰ بِهَا قَلَمهُ، ونفذت فيها مشيئته، وتعلَّقَتْ بِهَا حِكْمته، حيثَ خَلقَ للعِبَادِ قدرة وإِرادة، تقع بِها أَقوالهم وأَفعالهم بحسب مشيئتهم، لم يجبرهم على شيءٍ منها بل مختارين لها، وخصَّ المؤمنين بأَنْ حَبَّبَ إِليهِمُ الإِيمانَ وزَيَّنَهُ في قلوبِهِم، وكرَّه إِليهمُ الكُفْرَ والفُسوقَ والعِصيانَ بِعدلِهِ وحكْمتِهِ.

ومِنْ أُصولِ أَهْلِ السُّنة: أَنَّهُم يَدينونَ بالنَّصيحةِ لله، ولِكتابه، ورَسولِه، ولأَئمَّة المُسلمين وعامتهم، ويأمرون بالمعروف، وينهون عنِ المُنكَرِ على ما توجبه الشريعة، ويأمرون ببرِّ الوالدين وصِلةِ الأَرْحام، والإِحسان إِلىٰ الجيران والمماليك والمعامَلين، ومن له حقٌّ، وبالإِحسان إِلىٰ الخلقِ أَجمعين.

ويَدْعونَ إِلىٰ مكَارِمِ الأَخلاقِ ومحاسنها، وينهون عن مساوىء الأَخْلاَقِ وأَرذِلهَا.

ويعتقدُونَ أَنَّ أَكْملَ المؤمنينَ إِيمانًا ويقينًا أَحسنهُمْ أَعمالاً وأَخلاقًا، وأَصدقهُمْ أَقوالاً، وأَهْداهُمْ إِلىٰ كُلِّ خير وفَضيلة، وأَبعدهُمْ من كُلِّ رَذيلة.

ويَأْمُرونَ بالقيامِ بشرائعِ الدِّين، على ما جاء عن نبيهم فيها وفي صِفَاتها ومكملاتها، والتحذير عن مُفسِداتِها ومنقصاتها.

ويرون الجِهَاد في سبيلِ الله ماضيًا مع البرِّ والفاجر، وأَنه ذروةُ سَنَامِ الدِّين، جهاد العلم والحجة، وجهادُ السِّلاحِ، وأَنَّهُ فَرضٌ على كُلِّ مُسْلِم أَن يُدَافِعَ عن الدِّينِ بِكُلِّ ممكن ومُسْتَطَاع.

ومن أصــولِهِم الحثُّ على جمع كلمـة المسلمين، والسّعي في تقـريـب قلـوبهم وتأليفها، والتّحذيـر من التّفرُّقِ والتعادي والتباغُضِ والعملُ بكـل وسيلة توصل إلىٰ هذا.

ومن أُصـولِهِم النهي عن أَذيـة الخلـقِ في دمـائهم وأَمـوالهِم وأَعـراضِهِم وجميع حقوقهم، والأَمـرُ بالعدْلِ والإِنصْـاف في جميع المعاملات، والنّـدْبُ إِلىٰ الإِحْسَانِ والفضلِ فيها.

ويؤمِنُـونَ بأَنَّ أَفضلَ الأُمم أُمَّة محمد ﷺ، وأَفضلهم أَصحَـاب رَسول الله ﷺ خصـوصًا الخلفـاءُ الـرَّاشِدُونَ والعشرةُ المشهـودُ لهم بِـالجنَّـة، وأَهل بَدْر، وبيعـة الرضوان والسّابقون الأَوّلون من المُهَاجِـرين والأَنْصَار. فيحبُّون الصحابة ويدينون لله بذلك.

وينشرون محاسِنَهُمْ ويسكتون عمَّا قيلَ عن مساوئهم.

ويدينون لله بـاحترام العُلَمَاء الهداة وأَئمة العدل، ومَن لهم المقامـاتُ العاليةُ في الدِّين والفضلِ المتنوع على المسلمين، ويَسْأَلُونَ الله أَن يُعيذهُمْ من الشَّكِّ والشِّرْكِ والشِقاقِ والنفاقِ وسُوء الأَخلاقِ، وأَن يُثَبِّتَهُم على دينِ نبيهم إِلىٰ المات.

هذه الأُصول الكليَّة بها يؤمنُونَ ولها يعتقدون، وإِليها يدعون.





بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوحيد

وقولُ الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦].

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦]

وقوله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۞ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

وقوله: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء : ٣٦].

وقوله: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣]

قال ابنُ مسعود: من أرادَ أَن يَنْظُرَ إِلى وصِيَّة محمد ﷺ التي عليهَا خَاتَمُهُ فلْيَقْرأ قوله تعالى:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ إِلىٰ قوله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾. الآية(١).

وعن مُعَاذِ بن جبل رَضي الله عنــه، قـال: كنتُ رديفَ النبيِّ ﷺ على حمارٍ، فقال لي: «يـا مُعاذُ، أَتـدري مـا حقُّ الله على العبـادِ، وما حقُّ العبـادِ على الله»؟ قُلتُ: الله ورسـولُه أَعلمُ؛ قـال: «حقُّ الله على العبـادِ أن يَعبـدوُه ولا يُشرِكوا بـه شيئًا، وحق العبـادِ على الله أن لا يُعذِّبَ من لا يُشركُ بـهِ شيئًا»، قلت: يا رسول الله، أَفلاَ أُبشِّرُ الناس؟ قال: «لاتُبشِّرهُم فَيَتَّكلوا». أَخرجاهُ في الصحيحين(٢).

□ **فيه مسائل:**

- **الأولى:** الحكمةُ في خلقِ الجنِّ والإِنس.
- **الثانية:** أَنَّ العبادة هي التوحيد: لأَنَّ الخصومة فيه.
- **الثالثة:** أَنَّ مَن لَم يَأتِ به لم يَعبُدِ الله، ففيه معنى قوله: ﴿ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون: ٣].
- **الرابعة:** الحكمةُ في إِرسالِ الرُّسُلِ
- **الخامسة:** أَنَّ الرسالة عمَّت كلَّ أُمَّة.
- **السادسة:** أَنَّ دينَ الأَنبياء واحد.
- **السابعة:** المسألة الكبيرة: أَنَّ عبادة الله لاتَحصُلُ إلاَّ بالكُفْرِ بالطَّاغوت، ففيه

---

(١) رواه الترمذي (السنن) ٥/ ٢٦٤ (كتاب تفسير القرآن) (باب ومن سورة الأنعام) حديث رقم ٣٠٧٠ وقال: هذا حديث حسن غريب وفي إسناده (داود الأودي) وهو داود بن يزيد الأودي قال فيه ابن حجر في (التقريب) ١/ ٢٣٥: ضعيف. اهـ.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد باب اسم الفرس والحمار (٣/ ١٠٤٩) حديث رقم (٢٧٠١). ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (١/ ٥٨) حديث رقم (٣٠).

معنى قوله ـ تعالى ـ:

(فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ)

الآية [البقرة : ٢٥٦].

- **الثامنة:** أَنَّ الطاغوت عام في كل ما عُبِدَ من دون الله .
- **التاسعة:** عِظَم شَأن ثلاث الآيات المُحكمات في سورة الأَنعام عند السلف وفيها عشر مسائل.

  أولاها : النهي عن الشرك .
- **العاشرة:** الآياتُ المحكمات في سورة الإِسراء .

  وفيها ثماني عشرة مسألة بدأها الله بقوله :

  (لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا) [الإسراء : ٢٢].

  وختمها بقوله :

  (وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا) [الإسراء : ٣٩].

  ونبّهنا الله سبحانه على عِظَم شأن هذه المسائل بقوله : (ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ) [الإسراء : ٣٩].
- **الحادية عشرة:** آية سورة النساء التي تُسمَّى آية الحقوق العشرة ، بدأها الله ـ تعالى ـ بقوله : (۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) [النساء : ٣٦].
- **الثانية عشرة:** التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته .
- **الثالثة عشرة:** معرفة حقّ الله علينا .
- **الرابعة عشرة:** معرفة حقّ العباد عليه إذا أَدَّوا حقه .
- **الخامسة عشرة:** أَنَّ هذه المسألة لا يعرفها أَكثر الصحابة .
- **السادسة عشرة:** جواز كتمان العلم للمصلحة .
- **السابعة عشرة:** استحباب بشارة المسلم بما يسره .
- **الثامنة عشرة:** الخوف من الاتِّكال على سِعة رحمة الله .
- **التاسعة عشرة:** قول المسؤول عما لا يعلم : الله ورسوله أَعلم .

- **العشـــرون:** جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض .
- **الحادية والعشرون:** تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه .
- **الثانية والعشرون:** جواز الإرداف على الدَّابة .
- **الثالثة والعشرون:** فضيلة مُعاذ بن جبل .
- **الرابعة والعشرون:** عِظَم شأن هذه المسألة .

[التعليـــق :]

□ كتـــاب التوحيـــد :

هذه الترجمة تدل على مقصود هذا الكتاب من أَولِه إلىٰ آخره .

ولهذا استُغني بها عن الخطبــة ، أَي أَنَّ هــذا الكتـاب يشتمـل على تـوحيـد الإلـٰهية والعبـادة بذكر أَحكـامه ، وحدوده وشروطه ، وفضلـه وبراهينه ، وأُصـوله وتفـاصيله ، وأَسبـابـه وثمراتـه ومقتضياتـه ، ومـا يزداد بـه ويقـويه ، أَو يضعِّفـه ويوهيه ، وما به يتم أَويكمل .

اعلم أَنَّ التـوحيـد المطلق : العلـم والاعتراف بتفـرُّد الـربِّ بصفـات الكمال ، والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال ، وإِفراده وحده بالعبادة .

وهو ثلاثة أَقسام :

- أَحدها : توحيد الأَسماء والصفات :

وهو اعتقاد انفراد الربِّ ـ جلَّ جلالـه ـ بالكمال المُطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمةِ ، والجلال والجمال التي لا يشـاركه فيها مُشَـارِكٌ بوجهٍ من الـوجوه ، وذلك بـإِثبات مـا أَثبتـه الله لنفسه ، أَو أَثبتـه لـه رسولـه ﷺ من جميع الأَسماء والصفـات ومعانيها وأَحكامهـا الواردة في الكتاب والسنة على الوجه الـلائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيءٍ منها ولا تعطيلٍ ولا تحريفٍ ولا تمثيلٍ .



ونَفي ما نفاهُ عن نفسه أَو نفاهُ عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب، وعن كلِّ ما ينافي كمالَهُ.

- الثـاني : توحيد الربوبية :

بأنْ يعتقِد العبدُ أَنَّ الله هو الربّ المُتفـرد بالخلق والرزق والتدبير الذي ربَّى جميع الخلق بالنعم وربَّى خواص خلقه - وهم الأَنبيـاء وأَتباعهم - بالعقائد الصحيحة، والأَخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأَعمال الصالحة، وهذه هي التربية النافعة للقلوب والأَرواح المثمرة لسعادة الدّارين.

- الثالث : توحيد الإلـٰهية ويُقال له توحيد العبادة :

وهو العلم والاعتراف بأَنَّ الله ذو الأُلوهيـة والعبودية على خلقه أَجمعين، وإِفراده وحده بـالعبادة كلهـا وإِخلاص الـدِّين لله وحده، وهـذا الأَخير يستلزم القسمين الأَوَّلين ويتضمنهما، لأَنَّ الأُلـوهيــة التي هي صِفـة تعُمّ أَوصَــاف الكمال وجميع أَوصاف الربوبية والعظمة، فإِنه المألوه المعبود لما له من أَوصاف العظمة والجلال، ولما أَسـداه إِلىٰ خلقه مـن الفواضل والأَفضـال، فتـوحـده تعالى بصفـات الكمال وتفرُّده بالربوبية يلزم منه أَنْ لا يستحقَّ العِبادة أَحدٌ سواه.

* ومقصود دعوة الرسل من أَوَّلهم إِلىٰ آخرهم : الدعوة إِلى هذا التوحيد.

فَـذَكـرَ المُصنِّف في هذه الترجمة من النصـوص مـا يـدلُّ على أَنَّ الله خلقَ الخلقَ لعبادته والإِخلاص له، وأَنَّ ذلك حقه الواجب المفروض عليهم.

فجميع الكتب السماوية وجميع الـرسل دعوا إِلىٰ هذا التوحيـد، ونهوا عن ضده من الشرك والتنديد، وخصوصًا محمد ﷺ.

وهذا القرآن الكريم، فإِنَّهُ أَمرَبه وفـرضه وقرَّره أَعظم تقرير، وبيَّنه أَعظمَ بيان، وأَخبر أَنَّـهُ لا نجاة ولا فـلاح ولا سعادة إِلا بهذا التـوحيـد، وأَنَّ جميع الادلَّة العقليـة والنقلية والأُفقية والنفسية أَدلَّة وبراهين على هذا الأَمرِ بهذا التوحيد ووجوبه.

فالتوحيد هو حقّ الله الواجب على العبيد، وهو أَعظم أَوامر الدين وأَصل الأُصول كلها، وأَساس الأَعمال.





بـــاب

فضل التَّوْحيدِ وما يُكَفِّرُ من الذنوب

وقولِ الله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢].

عن عُبَادة بن الصامت قـال : قال رسول الله ﷺ : «من شَهِدَ أَن لا إلـه إلاَّ الله وحـدهُ لا شَرِيكَ لهُ، وأَنَّ مُحمَّـدًا عبـدهُ ورسولُـهُ، وأَنَّ عيسىٰ عبـدُ الله ورسولـه، وكلمتُه أَلقَاهَا إلىٰ مريمَ ورُوحٌ مِنْـهُ، والجَنَّة حقٌّ، والنَّارَ حقٌّ، أَدْخلَهُ الله الجنَّة على ما كانَ من العمل». أَخْرجَاه[1].

ولهما في حديث عِتْبَانَ : «فإنَّ الله حـرَّمَ على النار من قـالَ لا إلـه إلاَّ الله يبتغي بذلكَ وجْهَ الله»[2].

وعن أَبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنه، عـن رسول الله ﷺ قال : «قال موسى عليه السلام : يـا ربِّ عَلِّمني شيئًا أَذكُرُكَ وأَدْعُوكَ به، قال : قُلْ يـا موسى لا إلـه إلاَّ الله، قال : يـا ربِّ كلُّ عبادك يقولون هـذا. قال : يا موسى لـو أَنَّ السَّمٰـواتِ السبعَ وعـامرَهُنَّ غيري والأَرْضين السَّبع في كِفَّـةٍ، ولا إلـه إلاَّ الله في كِفَّةٍ، مـالتْ بهنَّ لا إلـه إلاَّ الله». رواه ابن حِبَّانَ والحاكم وصَححهُ[3].

---

(١) رواه البخـاري : كتـاب الأَنبيـاء بـاب قـولـه تعـالىٰ : ﴿يـا أَهل الكتـاب لا تغلـوا في دينكـم﴾ (٣/ ١٢٦٧)حديث رقم (٣٢٥٢). ومسلم : كتـاب الإيمان، باب الـدليل على أَن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (١/ ٥٧). حديث رقم (٢٨).

(٢) جزء من حـديث رواه البخاري : كتاب الصـلاة، باب المساجـد في البيوت (١/ ١٦٤) حديث رقم (٤١٥). ومسلم : كتـاب المساجد ومـواضع الصلاة بـاب الرخصة في التخلُّـف عن الجماعة بعذر (١/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦) حديث رقم (٣٣).

(٣) رواه ابن حبـان (مـوارد الظمآن) ص٥٧٧ حـديث رقم (٢٣٢٤)والحاكم (المستـدرك) ١/ ٥٢٨ وقـال : هذا حـديث صحيح الإسناد ولم يخرجـاه. وقـال الذهبي : صحيح وفي تصحيح إسنـاده نظـر، لأنـه من روايـة دراج عن أبي الهيثم وهي روايـة متكلم فيهـا، قـال ابـن حجـر (تقـريب التهذيب) ١/ ٢٣٥ : (صدوق في حديثه عن أبي الهيثم ضعيف. اهـ).

وللترمذيِّ ـ وحسَّنهُ ـ عن أنس: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: يا ابنَ آدم، لو أَتيتني بقُرابِ الأَرضِ خطايا، ثُم لَقِيتني لا تُشرِكُ بي شيئًا: لأَتيتُكَ بقُرابِهَا مغفِرةً**»(١).

□ **فيه مسائل:**

• **الأولى:** سِعة فضل الله.

• **الثانية:** كثرة ثواب التوحيد عند الله.

• **الثالثة:** تكفيره مع ذلك للذنوب.

• **الرابعة:** تفسير الآية التي في سورة الأَنعام.

• **الخامسة:** تأَمَّل الخمس اللواتي في حديث عُبادة.

• **السادسة:** أَنكَ إِذا جمعتَ بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبيَّنَ لك معنى قول: «**لا إِلـٰه إِلَّا الله**» وتبيَّن لك خطأ المغرورين.

• **السابعة:** التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان.

• **الثامنة:** كون الأَنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل «**لا إِلـٰه إِلَّا الله**».

• **التاسعة:** التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أَنَّ كثيرًا ممن يقولها يخفُّ ميزانه.

• **العاشرة:** النصّ على أَنَّ الأَرضين سبع كالسمـٰوات.

• **الحادية عشرة:** أَنَّ لهُنَّ عمَّارًا.

• **الثانية عشرة:** إِثبات الصفات خلافًا للأَشعرية.

• **الثالثة عشرة:** أَنكَ إِذا عرفتَ حديث أَنس عرفتَ أَنَّ قوله في حديث عتبان: «**فإِنَّ الله حرَّمَ على النار من قال لا إِلـٰه إِلَّا الله يبتغي بذلك وجه الله**». أَنَّه ترك الشرك ليس قولها باللسان.

• **الرابعة عشرة:** تأَمَّل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوليه.

---

(١) (سنن الترمذي) ٥/ ٥٤٨ (كتاب الدعوات) (باب فضل التوبة والاستغفار...) حديث رقم (٣٥٤٠) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وفي (تحفة الأشراف) ١/ ١٠٢ قال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه).

- **الخامسة عشرة:** معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله .
- **السادسة عشرة:** معرفة كونه روحًا منه .
- **السابعة عشرة:** معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.
- **الثامنة عشرة:** معرفة قوله : «**على ما كان من العمل**» .
- **التاسعة عشرة:** معرفة أَنَّ الميزان له كفتان .
- **العشرون:** معرفة ذكر الوجه .

[التعليق :]

باب :

فضل التوحيد وما يُكفِّر من الذنوب :

* لَمَّا ذكر في الترجمة السابقة وجوب التوحيد، وأَنَّه الفرض الأَعظم على جميع العبيد ، ذكرَ هنا فضله وهو آثاره الحميدة ونتائجه الجميلة ، وليس شيء من الأَشياء له من الآثار الحسنة ، والفضائل المتنوعة ، مثل التوحيد . فإِنَّ خير الدُّنيا والآخرة من ثمرات هذا التوحيد وفضائله .

* فقول المؤلِّف رحمه الله : (وما يُكفِّر من الذنوب) من باب عطْفِ الخاص على العام ، فإِنَّ مغفرة الذنوب وتكفير الذنوب من بعض فضائله وآثارِه كما ذكر شواهد ذلك في الترجمة .

* **ومن فضائلِه:** أَنَّه السببُ الأَعظم لتفريج كربات الدُّنيا والآخرة ودفع عقوبتهما .

ومن أَجلِّ فوائده أَنَّهُ يمنع الخلود في النار. إذا كان في القلب منه أَدنىٰ مثقال حبَّة خَردَلٍ .

وأَنَّهُ إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية .

ومنها أنه يحصل لصاحبه الهدى الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة .

* **ومنها** : أنَّه السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه، وأَنَّ أَسعدَ الناس بشفاعة محمد ﷺ من قالَ لا إلـه إلاَّ الله خالصاً من قلبه.

* **ومِنْ أَعظَم فضائله** : أَنَّ جميع الأَعمال والأَقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتُّب الثواب عليها على التوحيد، فكلَّما قوي التوحيد والإِخلاص لله كمُلَتْ هذه الأُمور وتمت.

* **ومن فضائله** : أَنَّهُ يُسهِّل على العبدِ فعل الخير وترك المنكرات ويسلّيه عن المصيبات، فالمُخلِص لله في إيمانـهِ وتوحيده تخف عليه الطّاعات لما يرجو من ثواب ربِّه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي، لما يخشى من سخطِهِ وعقابِهِ.

* **ومنها** : أَنَّ التوحيد إذا كَمُلَ في القلب حبَّبَ الله لصاحبه الإيمان وزيَّنَهُ في قلبه، وكرَّه إليه الكفرَ والفسوقَ والعصيان، وجعله من الراشدين.

* **ومنها** : أَنَّهُ يُخَفِّفُ عن العبد المكاره ويهوِّنُ عليه الآلام. فبحسب تكميل العبدِ للتوحيد والإيمان، يتلقى المكاره والآلام بقلبٍ منشرِحٍ ونفسٍ مطمئنةٍ وتسليمٍ ورضاً بأَقدار الله المؤلِمة.

* **ومن أَعظم فضائله** : أَنَّـهُ يحرِّر العبدَ من رِق المخلوقين والتعلُّق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأَجلِهِم، وهذا هو العِزُّ الحقيقي والشرف العالي.

ويكون مع ذلك متأَلِّهاً متعبداً لله، لا يرجو سواه ولا يخشىٰ إلاَّ إِيَّاه، ولا ينيب إلاَّ إليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه.

* **ومن فضائله التي لا يلحقه فيها شيء** : أَن التوحيد إذا تمَّ وكمُلَ في القلْبِ وتحقّقَ تحقُّقاً كامِلاً بالإخلاص التام فإِنَّهُ يصير القليل من عمله كثيراً، وتضاعف أَعمالـه وأَقواله بغير حصرٍ ولا حِساب، ورجحت كلمة الإِخلاص في ميزان العبد بحيث لا تُقَابِلها السموات والأَرض وعمَّارُها من جميع خلقِ الله كما في



حديث أَبي سعيد المذكور في الترجمة، وفي حديث البطاقة التي فيها لا إِلٰه إِلَّا الله التي وزنت تسعة وتسعين سجلاً من الذنوب، كل سجل يبلغ مدّ البصر. وذلك لكمال إِخلاص قائلها، وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا المبلغ، لأَنَّه لم يكن في قلبه من التوحيد والإِخلاص الكامل مثل ولا قريب مما قامَ بقلبِ هذا العبد.

* **ومن فضائل التوحيد**: أَنَّ الله تكفَّلَ لِأَهلِهِ بالفتحِ والنصرِ في الدُّنيا والعز والشرف وحصول الهداية والتيسير لليُسرىٰ وإِصْلاح الأَحوال والتسديد في الأَقوال والأَفعال.

* **ومنها**: أَنَّ الله يدافع عن الموحِّدينَ أَهلِ الإِيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره، وشواهد هذه الجمل من الكتاب والسُّنَّة كثيرة معروفة والله أَعلم.



بـــاب :

مَن حقَّقَ التوحيد دخلَ الجنَّة بغيرِ حسَاب

وقولِ الله تعالى :

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل : ١٢٠].
وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٩].

عن حُصَين بن عبدالرحمن قال : كُنتُ عِندَ سعيدِ بن جُبَيْرٍ، فقال : أَيُّكُمْ رأىٰ الكوكب الذي انقضَّ البارِحة؟ فقلت : أنا ، ثُمَّ قُلْتُ : أَمَا إِنِّي لم أَكُنْ في صلاةٍ، ولكنِّي لُدِغْتُ ، قال : فما صنعت؟ قلتُ : ارتقيت . قال : فما حملكَ على ذلك؟ قلت : حديث حدَّثناهُ الشعبيّ ، قال : وما حدَّثكم؟ قلت : حدَّثنا عن بُريدة بن الحُصيْبِ أَنَّهُ قال : «لا رُقْيَةَ إلاَّ من عَينٍ أَو حُمَةٍ» . قال : قد أَحْسنَ من انتهىٰ إلىٰ مَا سَمِعَ ، ولكن حدَّثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أَنَّه قال : «**عُرِضَتْ عليَّ الأُمَمُ، فرأيتُ النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجل والرجُلان ، والنبي وليس معه أحدٌ، إذ رُفِعَ لي سوادٌ عظيمٌ ، فظننتُ أَنَّهُمْ أُمَّتي ، فقيل لي : هذا موسى وقومُه ، فنظرتُ فإذا سوادٌ عظيمٌ ، فقيل لي : هذه أُمَّتُك . ومعهم سبعون أَلفاً يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب**»[(١)].

ثم نهضَ فدخلَ منزلَه ، فخاض الناسُ في أولئكَ . فقال بعضُهُم : فلعلَّهم الذين صَحِبُوا رَسُولَ الله ﷺ . وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئًا ، وذكروا أَشياء ، فخرجَ عليهم رسول الله ﷺ فأَخبروهُ .

---

(١) رواه البخاري في (الصحيح) ٣/ ١٢٥١ (كتاب الأنبياء) (باب وفاة موسى وذكره بعده) . حديث رقم ٣٢٢٩ ولم يسق لفظه . وفي (كتاب الطب) (باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو) . ٥/ ٢١٥٧ حديث رقم (٥٣٧٨) وفي مواضع أخرى .
ورواه ـ أيضاً ـ مسلم في (الصحيح) ١/ ١٩٩ (كتاب الإيمان) (باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب) . حديث رقم (٢٢٠) واللفظ المذكور له .

فقال: «هُمُ الـذين لا يَسْترقُـونَ ولا يَكْتُوون ولا يتطيَّرون وعلى ربِّهم يتـوكَّلُـون».
فقَامَ عُكَّـاشةُ بن مِحصَن، فقـال: ادْعُ الله أَن يجعلني منهم، قال: «أَنتَ منهم»، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أَن يجعلني منهم فقال: «سَبَقكَ بها عُكاشةُ».

□ **فيـــه مســـائل:**

- **الأولــى**: معرفة مراتب الناس في التوحيد.
- **الثانيــة**: ما معنى تحقيقه؟.
- **الثالثــة**: ثناؤه سبحانه على إِبراهيم بكونه لم يَكُ من المشركين.
- **الرابعـة**: ثناؤه على سادات الأَولياء بسلامتهم من الشرك.
- **الخامسـة**: كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد.
- **السادسة**: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكُّل.
- **السابعـة**: عمق علم الصحابة بمعرفتهم أَنَّهم لم ينالوا ذلك إِلاَّ بعمل.
- **الثامنــة**: حرصهم على الخير.
- **التاسعـة**: فضيلة هذه الأُمة بالكمية والكيفية.
- **العاشـرة**: فضيلة أَصحاب موسى.
- **الحادية عشرة**: عرض الأُمم عليه، عليه الصلاة والسلام.
- **الثانية عشرة**: أَنَّ كُل أُمَّة تُحشَر وحدها مع نبيها.
- **الثالثـة عشرة**: قلة من استجاب للأَنبياء.
- **الرابعـة عشرة**: أَنَّ من لم يُجِبه أَحدٌ يأتي وحده.
- **الخامسة عشرة**: ثمرة هذا العلم وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة.
- **السادسة عشرة**: الرخصة في الرقيةِ من العينِ والحُمَةِ.
- **السابعة عشرة**: عمقُ علمِ السلفِ لقوله: قد أَحسنَ من انتهى إِلىٰ ما سمع ولكن كذا وكذا. فعَلِمَ أَنَّ الحديث الأَول لا يخالف الثاني.
- **الثامنة عشرة**: بُعد السلف عن مدحِ الإِنسان بما ليس فيه.
- **التاسعة عشرة**: قوله: «أَنتَ منهم» علم من أَعلام النبوة.

• **العشـــــرون :** فضيلة عكاشة .

• **الحادية والعشرون :** استعمال المعاريض .

• **الثانية والعشرون :** حسنُ خُلقِهِ ﷺ .

[التعليـــق :]

بــــاب :

من حقق التوحيد دخلَ الجنَّة بغير حساب

وهذا الباب تكميل للباب الذي قبله وتابعٌ له .

فـإنَّ تحقيق التوحيـد تهذيبه وتصفيتـه من الشركِ الأَكبر والأَصغر، ومن البـدع القـوليـة الاعتقـاديـة ، والبـدع الفعليــة العمليـة ، ومن المعـاصي ، وذلك بكمال الإخـلاص لله في الأَقـوال والأَفعـال والإرادات ، وبــالسـلامـة من الشرك الأَكبر المناقض لأَصلِ التوحيد، ومن الشرك الأَصغر المنافي لكماله ، وبالسلامة من البدع والمعاصي التي تُكدِّر التوحيد، وتمنع كماله وتعوقه عن حصول آثاره .

فمن حقَّق توحيده بـأَن امتلأ قلبه من الإيمان والتوحيد والإخـلاص ، وصدقته الأَعمال بأَن انقـادت لأَوامر الله طـائعة منيبـة مخبتة إلىٰ الله ولم يجرح ذلـك بالإصرار على شيء من المعـاصي ، فهـذا الـذي يـدخـل الجنـة بغير حسـاب ، ويكـون من السابقين إلىٰ دخولها وإلى تَبوُّء المنازل منها .

ومن أَخصّ ما يـدل على تحقيقه : كمال القنوت لله وقـوة التوكُّل على الله بحيث لا يلتفت القلب إلىٰ المخلوقين في شأن من شـؤونه ، ولا يستشرف إليهم بقلبه ، ولا يسألهم بلسـان مقاله أَو حـاله ، بل يكـون ظاهـره وباطنـه وأَقوالـه وأَفعالـه وحبه وبغضه وجميع أَحواله كلها مقصوداً بها وجه الله ، متبعاً فيها رسول الله .

والناس في هذا المقام العظيم درجات : **(ولكلٍّ درجات مما عملوا)** .

وليسَ تحقيق التوحيـد بالتمني ولا بالـدعاوى الخالية من الحقـائق ، ولا بالحلى العـاطلـة ، وإنَّما ذلك بما وقـرَ في القلــوب من عقـائد الإيمان وحقـائق الإحسـان

وصدقته الأَخلاق الجميلة، والأَعمال الصالحة الجليلة.

فمن حقق التوحيد على هذا الـوجه حصلت له جميع الفضائل المشـار إليها في الباب السابق بأَكملها والله أَعلم.



بــــاب :
الخـــوف من الشـــرك

وقول الله عز وجلَّ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾

[النساء : ٤٨]

وقال الخليل عليه السلام : ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] .

وفي الحديث : **«أَخْوف ما أَخـافُ عليكم الشِّركُ الأَصغر»**، فسُئِلَ عنه فقال : **«الرياء»**(١) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنـه أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال : **«مَن ماتَ وهو يدعو من دون الله نِدًّا دَخلَ النار»**. رواه البخاري(٢) .

ولمسلم عن جابر رضي الله عنـه أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال : **«مَن لَقيَ اللهَ لا يُشرِكُ به شيئاً دخَلَ الجنة، ومن لقيَهُ يشرك به شيئاً دخلَ النار»**(٣) .

□ **فيـــه مســـائل :**

• **الأُولى :** الخوف من الشرك .

• **الثانية :** أَنَّ الرياءَ من الشركِ .

• **الثالثة :** أَنَّه من الشركِ الأَصغرِ

---

(١) رواه الإمـام أحمد (المسند) ٥/ ٤٢٨ و٢٤٩ والبغـوي في (شرح السنة) ١٤/ ٣٢٣ ــ ٣٢٤ حديث رقم (٤١٣٥) من طريقين عن محمـود بن الربيع قـال المنذري (الترغيب والترهيب) ١/ ٥٧ (رواه أحمد بإسناد جيـد). وقال ابن حجر في (بلـوغ الحرام) ص٣٠٢ : (أخرجـه أحمد بإسناد حسن. اهـ).

(٢) رواه البخـاري : كتـاب التفسير بـاب قـولـه : ومن النـاس من يتخـذ مـن دون الله أنـداداً، (٤/ ١٦٣٦) حديث رقم (٤٢٢٧).

(٣) رواه مسلم : كتاب الإيمان بـاب من مات لا يشرك بالله شيئـاً دخل الجنة ومن مـات مشركاً دخل النار (١/ ٩٤) حديث رقم (٩٣).

• **الرابعة :** أَنَّهُ أَخوف ما يخافُ منهُ على الصالحين .

• **الخامسة :** قربُ الجنةِ والنارِ.

• **السادسة :** الجمعُ بينَ قربهما في حديثٍ واحدٍ .

• **السابعة :** أَنَّه من لقيه لا يشرِكُ به شيئاً دخلَ الجنة ، ومن لقيه يُشرِكُ به شيئاً دخلَ النار، ولو كان من أَعبدِ الناسِ .

• **الثامنة :** المسألة العظيمةُ سؤالُ الخليل له ولبنيه وقايةَ عبادةِ الأَصنامِ .

• **التاسعة :** اعتبارُه بحالِ الأَكثرِ لقوله :

﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم : ٣٦] .

• **العاشرة :** فيه تفسيرُ (لا إِلـٰه إِلاَّ الله) كما ذكره البخاري .

• **الحادية عشرة :** فضيلة من سلِمَ من الشركِ .

[التعليق :]

باب :

الخوف من الشرك

الشرك في توحيد الإلـٰهية والعبادة ينافي التوحيد كلَّ المنافاة وهو نوعان : شرك أَكبر جلي ، وشرك أَصغر خفي .

فأَمّا الشرك الأَكبر :

فهو أَن يجعل لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله أَو يخافه أَو يرجوه أَو يحبّه كحبّ الله ، أَو يصرف له نوعاً من أَنواع العبادة ، فهذا الشرك لا يبقىٰ مع صاحبه من التوحيد شيء ، وهذا المُشرِك الذي حرَّمَ الله عليه الجنة ومأواه النار.

ولا فرقَ في هذا بين أَن يُسمِّي تلكَ العبادة التي صرفَهَا لغير الله عبادة ، أَو يسميها توسّلاً ، أَو يسميها بغير ذلك من الأَسماء فكل ذلك شرك أَكبر ، لأَنَّ العبرة بحقاق الأَشياء ومعانيها دون أَلفاظها وعباراتها .

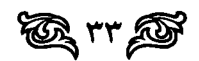
وأما الشرك الأصغر :

فهو جميع الأَقوال والأَفعال التي يتوسَّل بها إِلىٰ الشرك ، كالغلوّ في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة ، وكالحلفِ بغير الله ويَسيرُ الرياء ونحو ذلك .

فإِذا كان الشرك ينافي التوحيد ويوجب دخول النار والخلود فيها وحرمان الجنة إِذا كان أَكبر، ولا تتحقّق السعادة إِلاَّ بالسلامة منه ، كان حقًّا على العبدِ أَن يخافَ منه أَعظمَ خوف وأَن يسعى في الفرار منه ومن طرقه ووسائله وأَسبابه ، ويسأل الله العافية منه كما فعل ذلك الأَنبياء والأَصفياء وخيار الخلق .

وعلى العبدِ أَن يجتهدَ في تنمية الإِخلاص في قلبه وتقويته ، وذلكَ بِكمال التعلُّق بالله تأَلهاً ، وإِنابةً وخوفاً ورجاءً وطمعاً وقصداً لمرضاته وثوابه في كل ما يفعله العبد وما يتركه من الأُمور الظاهرة والباطنة ، فإِنَّ الإِخلاص بطبيعته يدفع الشرك الأَكبر والأَصغر، وكلُّ من وقعَ منه نوع من الشرك فلضعفِ إِخْلاصِهِ .





بـــاب:
الدعاء إلى شهادة أن لا إلـه إلاَّ الله

وقولِ اللهِ تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨].

عن ابن عبـاس رضي الله عنهما : أَنَّ رســولَ الله ﷺ لمَّا بعثَ مُعـاذاً إلىٰ اليمن، قال له «**إنَّكَ تأتي قوماً من أَهلِ الكتاب، فليكُن أَولَ مـا تدعوهم إليه شهادة أَن لا إلـٰه إلاَّ الله** - وفي رواية - : «**إلىٰ أن يوحِّدوا الله**» **فإنْ هم أَطاعوكَ لذلكَ فأَعلِمهم أَنَّ الله افترض عليهم خمس صلـواتٍ في كلِّ يـوم وليلـةٍ، فإنْ هُمْ أَطـاعـوكَ لِـذلِكَ، فأَعلمهم أَنَّ الله افترضَ عليهم صـدَقةً تؤخذُ من أَغنيائهـم فتُردُّ على فقرائهم، فإِنْ هم أَطاعـوكَ لذلك، فإِيَّـاكَ وكرائم أَموالهم، واتَّقِ دَعـوةَ المظلوم، فإِنَّـهُ ليسَ بينها وبينَ اللهِ حِجاب**». أَخرجاه[1].

ولهما عن سهل بن سعـد رضي الله عنـــه : أَنَّ رسـول الله ﷺ قـال يـومَ خَيبرَ: «**لأُعطِيَنَّ الـراية غـداً رجُلاً يُحبُّ اللهَ ورسـولَه، ويحبُّـه اللهُ ورسولُـهُ، يفتح الله على يديه**». فباتَ النـاسُ يَدُوكُون ليلتهم، أَيُّـهم يُعطاها، فلما أَصبحـوا غَدَوْا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أَن يُعطاها، فقال: «**أَينَ عليُّ بن أَبي طالب**»؟. فقيل: هو يَشْتَكي عينيـه، قال: فأَرسلـوا إليه؛ فـأُتِيَ به، فبصقَ في عينيه ودعـا له، فبرأ كـأَن لم يكن بـه وجع، فـأَعطـاهُ الـرايـةَ، فقـال: «**انْفُـذْ على رِسْلِكَ حتى تَنـزلَ بسـاحتهم، ثـم ادْعُهم إلى الإِسـلام، وأَخبرهم بما يجب عليهم مـن حقّ الله تعـالى**

---

(١) رواه البخـاري: كتــاب المغـازي بـاب بعث أَبي مــوسىٰ ومعـاذ إلى اليمن قبل حجـة الـوداع (٤/ ١٥٨٠) حديث رقم (٤٠٩٠) ومسلم: كتـاب الإيمان باب الدعـاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١/ ٥٠) حديث رقم (١٩).

فيه، فوالله لأَن يَهديَ الله بكَ رجلاً واحِداً خيرٌ لك من حُمْرِ النّعَمْ»[1]. يَدُوكُون: أَي يخوضون.

□ فيــه مســائل

• الأولــى: أَنَّ الدعوة إِلىٰ الله طريق من اتَّبَعَ رسولَ الله ﷺ.

• الثـانيـة: التنبيه على الإِخلاص، لأَنَّ كثيراً من النـاس لو دعا إِلىٰ الحق، فهو يدعو إِلىٰ نفسه.

• الثـالثـة: أَنَّ البصيرة من الفرائض.

• الـرابعـة: من دلائل حسن التوحيد: كونه تنزيه الله تعالى عن المسبَّة.

• الخامسـة: أَنَّ من قبح الشرك كونه مسبَّة لله.

• السادسـة: ـ وهي من أَهمهـا ـ: إِبعـادُ المسلم عن المشركينَ لئـلا يصيرَ منهم ولو لم يشرك.

• السـابعـة: كونُ التوحيدِ أَول واجبٍ.

• الثـامنـة: أنه يبدأُ به قبل كل شيءٍ حتى الصلاة.

• التـاسعـة: أَنَّ معنى: «أَن يوحدُوا الله» معنى شهادة: أَن لا إِلـٰه إِلاَّ الله.

• العــاشرة: أَنَّ الإِنسان قـد يكونُ من أَهل الكتاب وهـو لا يعرفها، أَو يعـرفها ولا يعمل بها.

• الحاديــة عشرة: التنبيه على التعليم بالتدريج.

• الثـانيـة عشرة: البداءةُ بالأَهمّ فالأَهمّ.

• الثـالثـة عشرة: مصرِف الزكاة.

• الـرابعـة عشرة: كشف العالم الشبهة عن المتعلم.

---

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أَبي طالب (٣/ ١٣٥٧) حديث رقم (٣٤٩٨). ومسلم: كتاب فضـائل الصحابـة باب من فضـائل علي بن أَبي طالب رضي الله عنه (٤/ ١٨٧٢) حديث رقم (٢٤٠٦).



- **الخامسة عشرة:** النهي عن كرائم الأَموال.
- **السادسة عشرة:** اتقاء دعوة المظلوم.
- **السابعة عشرة:** الإِخبار بأَنَّها لا تُحجب.
- **الثامنة عشرة:** من أَدلَّة التوحيد ما جرىٰ على سيد المرسلين وسادات الأَولياء من المشقَّة والجوع والوباء.
- **التاسعة عشرة:** قوله: «**لأُعطينَّ الراية**». إلخ. علمٌ من أَعلام النبوة.
- **العشرون:** تفله في عينيه علمٌ من أَعلامِها أَيضاً.
- **الحادية والعشرون:** فضيلة علي رضي الله عنه.
- **الثانية والعشرون:** فضل الصحابة في دوكهم تلكَ الليلة، وشغلهم عن بشارة الفتح.
- **الثالثة والعشرون:** الإِيمان بالقَدرِ، لحصولها لمن لم يسعَ لها ومنعها عمَّن سعىٰ.
- **الرابعة والعشرون:** الأَدب في قوله: «**على رسلك**».
- **الخامسة والعشرون:** الدعوة إِلىٰ الإِسلام قبل القتال.
- **السادسة والعشرون:** أَنَّه مشروع لمن دُعوا قبل ذلك وقوتلوا.
- **السابعة والعشرون:** الدعوة بالحكمة لقوله: «**أَخبرهم بما يجب عليهم**».
- **الثامنة والعشرون:** المعرفة بحقِّ الله في الإِسلام.
- **التاسعة والعشرون:** ثواب من اهتدىٰ على يديه رجلٌ واحدٌ.
- **الثلاثون:** الحلف على الفُتيا.

[التعليق:]

باب:

الدعاء إِلىٰ شهادة أَنْ لا إِلـه إِلَّا الله

وهذا الترتيب الذي صنعه المؤلف في هذه الأَبواب في غاية المناسبة، فإِنَّه ذكرَ في الأَبواب السابقة وجوب التوحيد وفضله، والحثّ عليه وعلى تكميله، والتحقُّق

به ظاهراً وباطناً، والخوف من ضدِّه، وبذلك يكمل العبد نفسه .

ثم ذكرَ في هذا الباب تكميله لغيره بالـدعوة إلىٰ شهادة (أَن لا إلـه إلاَّ الله) فإنَّه لا يتم التوحيد حتى يكمل العبد جميع مـراتبه ثم يسعىٰ في تكميل غيره ـ وهذا هو طريق جميع الأَنبيـاء ـ فـإنَّهُم أَول ما يدعـون قومهم إلىٰ عبـادة الله وحده لا شريك له ، وهي طريقـة سيدهم وإمامهم ﷺ لأَنَّه قامَ بهذه الدعـوة أَعظمَ قيام ودعا إلىٰ سبيلِ ربـه بـالحكمـة والموعظة الحسنـة والمجـادلـة بـالتي هي أَحسن ، لم يفتر ولم يضعف حتى أَقـام الله بـه الـدِّين ، وهدىٰ بـه الخلق العظيم ، ووصلَ دينـه ببركـة دعوتـه إلىٰ مشارق الأَرض ومغاربها ، وكـان يدعو بنفسـه ويأمر رُسُله وأَتبـاعه أَن يـدعوا إلى الله وإلى تـوحيده قبل كل شيء ، لأَن جميع الأَعمال متـوقفة في صحتهـا وقبولها على التوحيد .

فكمَا أَنَّ على العبدِ أَنْ يقوم بتـوحيد الله فعليه أَن يدعـو العباد إلىٰ الله بالتي هي أَحسن ، وكل من اهتـدىٰ على يـديـه فلـه مثل أُجـورهم من غير أَن ينقص من أُجورِهم شيء .

وإذا كانت الدعوة إلىٰ الله ، وإلىٰ شهادة أَنْ لا إلـه إلاَّ الله فرضاً على كل أَحد ، كان الواجب على كل أَحد بحسب مقدوره .

فعلىٰ **العالم** من بيـان ذلك والدعـوة والإرشـاد والهداية أَعظم ممـا على غيره ممن ليس بعالم .

وعلى **القادر** ببدنـه ويده أَو مالـه أَو جاهه وقـوله أَعظم ممـا على من ليست له تلك القدرة .

قال تعالى : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦] ورحمَ الله من أَعانَ على الدِّين ولـو بشطر كلمة ، وإنَّما الهلاك في تـرك ما يقـدر عليه العبد من الـدعوة إلىٰ هذا الدِّين .



بـــاب
تفسير التوحيد وشهادة أنْ لا إلـه إلاَّ الله

وقـول الله تعـالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [الإسراء : ٥٧] .

(وقولِهِ : ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ۞ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [االزخرُف : ٢٦-٢٨] .

وقولِهِ : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية

[التوبة : ٣١]

وقولِهِ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنّـه قال : **«من قـالَ لا إلـه إلاَّ الله ، وكفـرَ بما يُعبَدُ من دونِ الله حرُمَ ماله ودمُه ، وحسابهُ على الله عز وجل»**(١) .

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب .

فيه أكبر المسـائل وأهمها . وهـي تفسير التوحيـد وتفسير الشهادة . وبيَّنها بأمور واضحة :

* **منهــا** : آيـة الإسراء . بيَّنَ فيهـا الردّ على المشركين الـذين يـدعـونَ الصالحين ، ففيها بيان أنَّ هذا هو الشركُ الأكبر.

* **ومنهــا** : آية براءة بيَّنَ فيها أنَّ أهلَ الكتـابِ اتَّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دونِ الله .

---

(١) رواه مسلم : كتـاب الإيمان باب الأمـر بقتال الناس حتـى يقولـوا لا إلـه إلاَّ الله محمـد رسول الله ويقيموا الصلاة. . . إلخ (١/ ٥٣) حديث رقم (٢٣) .

وبيَّن أَنَّهُم لم يؤمروا إلَّا بأَن يعبدوا إلـٰهًا واحِدًا مع أَنَّ تفسيرها الذي لا إشكالَ فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إيَّاهم.

* ومنهـا: قولُ الخليل عليه السلام للكفَّار:

﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

فاستثنى من المعبودين ربَّه.

وذَكَرَ سُبحانَهُ أَنَّ هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أَن لا إلـٰه إلَّا الله، فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨].

* ومنهـا: آية البقرة في الكُفَّار الذين قالَ الله فيهم:

﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

ذكرَ أَنَّهُم يحبون أندادهم كحبِّ الله، فدلَّ على أَنَّهُم يحبون الله حبًّا عظيمًا ولم يدخلهم في الإسلام، فكيفَ بِمَن أَحبَّ النـدَّ أكبرَ من حبِّ الله؟ وكيفَ بمَنْ لم يُحبَّ إلَّا النـدّ وحده ولم يُحبَّ الله؟

* ومنهـا: قوله ﷺ: **«من قالَ لا إلـٰه إلَّا الله وكفر بما يُعبدُ من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله»**.

وهذا من أَعظم ما يبين معنى: **«لا إلـٰه إلَّا الله»** فإِنَّـه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لايدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلىٰ ذلك الكُفر بما يُعبَدُ من دون الله، فإِنْ شكَّ أَو توقف لم يحرم ماله ودمه، فيالها من مسألـة ما أَعظمها وأَجلَّها، وياله من بيان ما أَوضحه، وحجة ما أَقطعها للمنازع.



[التعليــــق :]

باب :

تفسير التوحيد وشهادة أن لا إلـه إلاَّ الله

هما بمعنىٰ واحد، فهو من باب عطف المترادفين.

وهذه المسألة أكبر المسائل وأهمُّها كما قال المصنف ـ رحمه الله ـ.

وحقيقة تفسير التوحيد : العلم والاعتراف بتفرُّد الرب بجميع صفات الكمال وإخلاص العبادة له.

وذلك يرجع إلىٰ أمرين :

الأمر الأول : نفي الأُلوهية كلها عن غير الله، بأن يعلم ويعتقد أنَّه لا يستحق الإلـٰهية ولا شيئاً من العبودية أَحدٌ من الخلقِ لا نبي مرسل، ولا ملك مُقَرَّب ولا غيرهما، وأَنَّهُ ليسَ لأَحَدٍ من الخلقِ في ذلك حظّ ولا نصيب.

والأمر الثاني : إثبات الأُلوهية لله تعالى وحده لا شريك له وتفرده بمعاني الأُلوهية كلها، وهي نعوت الكمال كلها، ولا يكفي هذا الاعتقاد وحده حتى يحققه العبد بإخلاص الدِّين كله لله، فيقوم بالإسلام والإيمان والإحسان وبحقوق الله وحقوق خلقه، قاصدًا بذلك وجه الله، وطالبًا رضوانه وثوابه.

ويعلم أَنَّ من تمام تفسيرها وتحقيقها البراءة من عبادة غير الله، وأَنَّ اتِّخَاذ أَنداد يحبهم كحبِّ الله أَو يطيعهم كطاعة الله أَو يعمل لهم كما يعمل لله ينافي معنى لا إلـه إلاَّ الله أَشدَّ المُنافاة.

وبيَّنَ المصنف رحمه الله أَنَّ من أَعظم ما يبين معنىٰ لا إلـه إلاَّ الله قوله ﷺ: **«من قال لا إلـه إلاَّ الله وكفرَ بما يعبدُ من دونِ الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله»**. فلم يجعل مجرد التلفظ بها عاصماً للدمِ والمال، بل ولا معرفة معناها مع

لفظها، بل ولا الإقرار بـذلك، بل ولا كونه لا يدعـو إلاَّ الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم مـالـه ولا دمه حتى يضيـف إلىٰ ذلك الكفر بما يُعبَـدُ من دونِ الله فـإِنْ شكّ أَو توقَّفَ لم يحرم ماله ولا دمه.

فتبيَّن بذلك أَنَّه لابدَّ من اعتقاد وجـوب عبادة الله وحده لا شريك له، ومن الإقـرار بـذلك اعتقـادًا ونطقًـا، ولابـدَّ من القيـام بعبوديـة الله وحـده طـاعـة لله وانقيادًا، ولابدَّ من البراءة مما ينافي ذلك عقلاً وقولاً وفعلاً.

ولا يتم ذلك إلاَّ بمحبة القـائمين بتوحيـد الله وموالاتهم ونصرتهم، وبغض أَهلِ الكفـر والشرك ومعـاداتهم، لا تغني في هـذا المقـام الأَلفـاظ المجـردة، ولا الـدعـاوى الخاليـة من الحقيقـة، بل لابـدَّ أَن يتطـابق العلـم والاعتقـاد والقـول والعمل، فـإِنَّ هذه الأَشيـاء متـلازمـة متى تخلَّف واحد منهـا تخلفت البقيـة والله أَعلم.





بــــاب
من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقولِ الله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ الآية. [الزمر: ٣٨].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه: أَنَّ النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: «ما هذه»؟ قال: من الواهنة، فقال: «**انْزِعْهَا فإنَّها لا تزيدك إلَّا وَهْنًا، فإنَّكَ لو مِتَّ وهي عليكَ ما أَفْلَحْتَ أَبدًا**». رواه أحمد بسند لا بأس به[1].

وله عن عُقْبَة بن عامر مرفوعًا: «**مَن تعلَّقَ تَميمَةً فلا أتمَّ الله له، ومن تعَلَّقَ ودَعةً فلا وَدَعَ الله له**»[2].

وفي رواية: «**مَن تعلَّقَ تَميمةً فقد أَشرك**»[3].

ولابن أَبي حاتم عن حُذيفة[4]: أَنَّه رأىٰ رجُلاً في يده خَيطٌ من الحُمَّى، فقطعه وتلا قولَه: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

---

(١) رواه الإمام أحمد (المسند) ٤/ ٤٤٥ وفي إسناده (المبارك) وهو ابن فضالة أبو فضالة البصري قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٢/ ٢٢٧؛ (صدوق يدلس ويسوى). ومن طريق أبي عامر الخزاز عن الحسن عن عمران بنحوه رواه ابن حبان (١٤١١) والحاكم ٤/ ٢١٦ وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) (المسند) ٤/ ١٥٤ وفي إسناده (خالد بن عبيد) وهو المعافري قال ابن حجر (تعجيل المنفعة ص١١٤: (رجال حديثه موثوقون). والحاكم ٤/ ٢١٦ وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) (المسند) ٤/ ١٥٦ عن عقبة بن عامر الجهني قال الهيثمي (مجمع الزوائد) ٥/ ١٠٣: (رجال أحمد ثقات. اهـ).

(٤) ذكره ابن كثير (التفسير) ٤/ ٥٥ معلقاً، ولم يعزه لمخرجه من طريق حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن عروة قال: دخل حذيفة على مريض . . . نحوه ومع تعليق إسناده فيه (عاصم ابن أبي النجود) قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ١/ ٣٨٣: (صدوق له أوهام، وحديثه في الصحيحين مقرون. اهـ).

□ فيـــه مســـائل :

- **الأولـــى :** التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك .
- **الثــانيــة :** أَنَّ الصحـابي لـو مـات وهي عليـه ما أَفلـحَ ، فيه شـاهـدٌ لكـلام الصحابة أَنَّ الشركَ الأَصغر أَكبرُ من الكبائر.
- **الثــالثــة :** أَنَّه لم يُعذَر بالجهالة .
- **الـرابعــة :** أَنَّها لا تنفع في العاجلة ، بل تضر لقوله : «لا تزيدك إِلاَّ وهنًا» .
- **الخامســة :** الإِنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك .
- **السادسة :** التصريح بأَنَّ من تعلَّق شيئًا وكل إِليه .
- **السابعـة :** التصريح بأَنَّ من تعلق تميمة فقد أَشرك .
- **الثــامنــة :** أَنَّ تعليق الخيط من الحمى من ذلك .
- **التــاسعــة :** تلاوة حذيفة الآية دليل على أَنَّ الصحابـة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأَكبر على الأَصغر، كما ذكرَ ابن عباس في آية البقرة .
- **العــاشرة :** أَن تعليق الودع عن العين من ذلك .
- **الحادية عشرة :** الـدعاء على مـن تعلَّق تميمة أَنَّ الله لا يتم لـه ، ومن تعلَّق ودعـة فلا ودع الله له . أَي ترك الله له .

[التعليـــق :]

بـــاب :

من الشركِ لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أَو دفعه

وهذا الباب يتوقف فهمه على معرفة أَحكام الأَسباب .

وتفصيل القول فيها : أَنَّه يجب على العبدِ أَن يعرف في الأَسباب ثلاثة أُمور:

أَحدهـا : أَن لا يجعلَ منها سببًا إِلاَّ ما ثبت أَنَّه سبب شرعًا أَو قدرًا .

ثانيهـا : أَنْ لا يعتمد العبد عليها ، بل يعتمد على مسببها ومقدرها ، مع

قيامه بالمشروع منها، وحرصه على النافع منها.

ثالثها : أَنْ يعلمَ أَنَّ الأَسباب مهما عظمُتْ وقويت فإِنَّها مرتبطة بقضاء الله وقدره لا خروج لها عنه، والله تعالى يتصرف فيها كيف يشاء: إنْ شاءَ أَبقىٰ سببيتها جارية على مقتضىٰ حكمته ليقوم بها العباد ويعرفوا بذلك تمام حكمته حيث ربطَ المسببات بأَسبابها والمعلولات بعللها، وإِنْ شاءَ غيرها كيفَ يشاء لئلا يعتمد عليها العباد وليعلموا كمالَ قدرته، وأَنَّ التصرف المطلق والإِرادة المطلقة لله وحده، فهذا هو الواجب على العبد في نظره وعمله بجميع الأَسباب.

إذا علِمَ ذلك فمن لبسَ الحلقة أَو الخيط أَو نحوهما قاصدًا بذلك رفع البلاء بعد نزوله، أَو دفعه قبل نزوله فقد أَشركَ، لأَنَّه إن اعتقدَ أَنَّها هي الدافعة الرافعة فهذا الشرك الأَكبر.

وهو **شرك** في الربوبية حيث اعتقدَ شريكًا معَ الله في الخلق والتدبير.

وشرك في العبودية حيث تألَّه لذلك وعلَّق به قلبه طمعًا ورجاء لنفعه، وإِنْ اعتقدَ أَنَّ الله هو الدَّافع الرافع وحده ولكن اعتقدها سببًا يستدفع بها البلاء فقد جعلَ ما ليس سببًا شرعيًّا ولا قدريًّا سببًا، وهذا محرم وكذب على الشرع وعلى القدَر.

أَما الشرع فإِنَّه ينهىٰ عن ذلك أَشدَّ النهي، وما نهى عنه فليس من الأَسباب النافعة.

وأَما القَدَر فليس هذا من الأَسباب المعهودة ولا غير المعهودة التي يحصل بها المقصود، ولا من الأَدوية المباحة النافعة. وكذلك هو من جملة وسائل الشرك فإِنَّه لابدَ أَن يتعلق قلب متعلقها بها، وذلك نوع شرك ووسيلة إِليه.

فإِذا كانت هذه الأُمور ليست من الأَسباب الشرعية التي شرعها على لسان نبيه التي يتوسل بها إِلىٰ رضاء الله وثوابه، ولا من الأَسباب القدرية التي قد علِمَ أَو

جربَ نفعها مثل الأَدوية المباحة كان المتعلق بها متعلقًا قلبه بها راجيًا لنفعها، فيتعين على المؤمن تركها ليتم إيمانه وتوحيده فإنَّه لو تم توحيده لم يتعلق قلبه بما ينافيه، وذلك أَيضًا نقص في العقل حيث التعلق بغير متعلّق ولا نافع بوجه من الوجوه، بل هو ضرر محض.

والشرع مبناه على تكميل أَديان الخلق بنبذ الوثنيات والتعلُّق بالمخلوقين، وعلى تكميل عقولهم بنبذ الخرافات والخزعبلات، والجد في الأُمور النافعة المرقّية للعقول، المزكّية للنفوس، المصلحةِ للأَحوال كلها دينيها ودنيويها والله أَعلم.





باب
ما جاء في الرقى والتمائم

في الصحيح عن أَبي بَشير الأَنصاري رضي الله عنه: أَنَّه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أَسفارِه، فأَرسل رسولاً أَن لا يَبقَيَنَّ في رقبةِ بعيرٍ قلادةٌ من وَتَرٍ، أَو قلادة إلاَّ قُطِعَتْ[1].

وعن ابن مسعود قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ الرُّقَىٰ والتَّمائمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ». رواه أَحمد وأَبو داود[2].

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: من تعلق شيئاً وكل إليه. رواه أحمد والترمذي[3].

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد باب ما قيل في الجرس ونحوه في أَعناق الإبل (٣/ ١٠٩٤) حديث رقم (٢٨٤٣). ومسلم: كتاب اللباس والزينة باب كراهة قلادة الوتر في رقبة البعير (٣/ ١٦٧٢ـ ١٦٧٣) حديث رقم (٢١١٥).

(٢) رواه أَحمد (١/ ٣٨١) وأَبو داود في كتاب الطب باب في تعليق التمائم (٤/ ٩) حديث رقم (٣٨٨٣) قال المنذري (مختصر سنن أبي داود) ٥/ ٣٦٣: (والراوي عن زينب مجهول. اهـ) وقد وصف عند الإمام أحمد وأبي داود بأنه (ابن أخي زينب)، ووصف في (سنن ابن ماجه) ٢/ ١١٦٧ بأنه (ابن أخت زينب).

(٣) رواه أحمد (٤/ ٣١٠ و ٣١١)، والترمذي (السنن) ٤/ ٤٠٣ (كتاب الطب) (باب ما جاء في كراهية التعليق). حديث رقم (٢٠٧٢) وقال: (وحديث عبد الله بن عكيم إنما نعرفه من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الله بن عكيم لم يسمع من النبي ﷺ وكان في زمن النبي ﷺ يقول: كتب إلينا رسول الله ﷺ).
وفي إسناده ــ أيضاً ــ (محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى) وقد ضعفه العلماء لسوء حفظه كما في (ميزان الاعتدال) ٣/ ٦١٤.
وللحديث شاهد يتقوى به رواه النسائي (السنن) ٧/ ١١٢ من طريق أبي داود ثنا عنه عباد بن ميسرة المنقري عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً وفيه: «ومن تعلق شيئاً وكل إليه». قال الذهبي في (ميزان الاعتدال) ٢/ ٣٧٨: (هذا الحديث لا يصح للين عباد وانقطاعه). وهذا تضعيف لا يمنع من تقوية حديث عبد الله بن عكيم وترقيته لمرتبة الحسن لغيره. والله أعلم.

«**التَّمائمُ**» : شيءٌ يُعَلَّقُ على الأَولاد يتقون به العَيْنَ ، لكن إذا كان المُعَلَّقُ من القرآن فرَخَّصَ فيه بعضُ السَّلَف ، وبعضهم لم يرخِّص فيه ، ويجعلُه من المنهيِّ عنه .

منهم ابن مسعود رضي الله عنه .

و«**الرُّقى**» : هي التي تسمَّى العزائم ، وخَصَّ منها الدليل ما خَلاَ من الشِّرْكِ ، فقد رَخَّصَ فيه رسول الله ﷺ من العَيْنِ والحُمَةِ .

و «**التِّوَلَةُ**» : هي شيءٌ يصنعونه يزعمون أَنَّه يحبب المرأة إلىٰ زوجها ، والرجل إلىٰ امرأته .

وروى أَحمد عن رُوَيْفِعٍ ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : «**يا رُوَيفعُ ، لعلَّ الحياة تطول بك ، فأَخبرِ النَّاسَ أَنَّ مَن عَقَدَ لِحيته ، أَو تقلَّد وَتَرًا ، أَو استنجى برجيعِ دابَّةٍ أَو عَظْمٍ ، فإِنَّ محمدًا بريءٌ منه**»(١) .

وعن سعيد بن جُبَير قال : مَن قَطَعَ تَمِيمَةً من إِنسان كان كَعَدْلِ رَقَبةٍ . رواه وَكيع .

وله عن إِبراهيم قال : كانوا يكرهون التَّمائمَ كلَّها من القرآن وغير القرآن .

---

(١) (المسند) ٤/ ١٠٨ أوله : (كان أحدنا في زمان رسول الله ﷺ يأخذ جمل أخيه . . . مطولاً وفي إسناده (ابن لهيعة) قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ١/ ٤٤٤ : (صدوق خلط بعد احتراق كتبه ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرها ، وله في مسلم بعض شيء مقرون) .
وليس هذا من روايتها عنه ، إلا أنه منجبر بمتابعة (المفضل بن فضالة) له عند أبي داود (السنن) ١/ ٣٤ (كتاب الطهارة) (باب ما ينهى عنه أن يستنجى به) . حديث رقم (٣٦) وسكت عنه أبو داود ثم المنذري في (مختصر سنن أبي داود) ١/ ٣٦ وفي إسناده (عياش بن عباس القتباني) ولعل صوابه ما ذكره المزي (تهذيب الكمال) ٣/ ١٣٦٥ في ترجمة (المفضل ابن فضالة بن عبيد المصري) أنه يروي عن (عبد الله بن عياش بن عباس القتباني) .
وللحديث طريق أخرى رواها النسائي (السنن) ٨/ ١٣٥ ــ ١٣٦ (كتاب الزينة) (باب عقد اللحية) عن حيوة بن شريح عن عياش بن عباس ، وإسناده صحيح رجاله ثقات . والله أعلم .



□ **فيه مسائل :**

- **الأولى :** تفسير الرقى والتمائم .
- **الثانية :** تفسير التولة .
- **الثالثة :** أَنَّ هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء .
- **الرابعة :** أَنَّ الرُقية بالكلام الحقّ من العين والحمة ليس من ذلك .
- **الخامسة :** أَنَّ التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلفَ العلماء هل هي من ذلك أَم لا ؟ .
- **السادسة :** أَنَّ تعليق الأَوتار على الدواب من العين من ذلك .
- **السابعة :** الوعيد الشديد على من علَّق وترًا .
- **الثامنة :** فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان .
- **التاسعة :** أَنَّ كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدَّمَ من الاختلاف ، لأَنَّ مراده أَصحاب عبدالله بن مسعود .

[التعليق :]

باب :

ما جاء في الرقى والتمائم

أَما التمائم فهي : تعاليق تتعلَّق بها قلوب متعلقيها ، والقول فيها كالقول في الحلقةِ والخيط كما تقدَّم .

فمنها : ما هو شرك أَكبر كالتي تشتمل على الاستغاثة بالشياطين أَو غيرهم من المخلوقين . فالاستغاثة بغيرِ الله فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله شرك كما سيأتي إنْ شَاء الله .

ومنها : ما هو محرم كالتي فيها أَسماء لا يفهم معناها لأَنَّها تجُر إلىٰ الشرك .

وأَما التعاليق التي فيها قرآن أَو أَحاديث نبوية أَو أَدعية طيبة محترمة فالأَولىٰ

تـركها لعـدم ورودها عن الشـارع ولكونها يتـوسل بها إلىٰ غيرها من المحـرم، ولأَنَّ الغالب على متعلقها أنَّه لا يحترمها ويدخل بها المواضع القذرة.

أما الرقىٰ ففيها تفصيــل :

فإنْ كانت من القرآن أَو السنة أَو الكلام الحسن فإِنَّها مندوبة في حقّ الراقي لأَنَّها من باب الإحسان، ولما فيها من النفع، وهي جائزة في حق المرقي، إلاَّ أَنَّه لا ينبغي لـه أَن يبتديء بطلبهـا، فـإِنَّ من كمال توكل العبـد وقـوة يقينه أَنْ لا يَسـأَل أَحدًا من الخلقِ لا رقيـة ولاغيرها، بل ينبغي إِذا سأَلَ أَحدًا أَن يدعـو له أَن يلحظ مصلحة الـداعي والإحسـان إليه، بتسببه لهذه العبـودية لـه مع مصلحـة نفسه، وهذا من أَسرار تحقيق التـوحيد ومعانيه البـديعة التي لا يوفق للتفقُّـه فيها والعمل بها إلاَّ الكُمَّل من العباد.

وإِنْ كـانت الرُّقيـة يُدعىٰ بها غير الله ويُطلَب الشفـاء من غيره، فهذا هـو الشرك الأَكبر لأَنَّه دُعاء واستغاثة بغيرِ الله.

فافهم هـذا التفصيل، وإِيَّاكَ أَنْ تحكم على الـرُّقى بحكم واحد مـع تفاوتها في أَسبابها وغاياتها.





بـــاب
من تبرَّكَ بشجرةٍ أَو حجرٍ ونحوهما

وقول الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ * وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ * أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ * إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٩-٢٣].

عن أَبي واقِد اللَّيْثيِّ قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ حُنَيْن ونحن حُدَثاءُ عهدٍ بكفرٍ، وللمشركين سِدْرة يعكُفون عندها، ويَنُوطون بها أَسلحَتهم، يُقالُ لها ذاتُ أَنواطٍ، فمررنا بسِدْرةٍ، فقلنا: يا رسول الله اجْعل لنا ذات أَنواطٍ كما لهم ذاتُ أَنواط، فقال رسولُ الله ﷺ: «**الله أَكبرُ إِنَّها السُّنَن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالتْ بنو إِسْرائيل لموسى:**

﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم». رواه الترمذيُّ وصحَّحه(١).

☐ **فيـــه مســائل:**

- **الأولى**: تفسير آية النجم.
- **الثانيــة**: معرفة صورة الأَمر الذي طلبوا.
- **الثالثــة**: كونهم لم يفعلوا.
- **الرابعــة**: كونهم قصدوا التقرُّب إلىٰ الله بذلك لظنهم أَنَّهُ يُحبه.
- **الخامســة**: أَنَّهم إذا جهلوا هذا، فغيرهم أَولىٰ بالجهل.

---

(١) (السنن) ٤/ ٤٧٥ (كتاب الفتن) (باب ماجاء لتركبن سنن من كان قبلكم). حديث رقم (٢١٨٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح. ولفظه (أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى خيبر مرّ بشجرة يقال لها ذات أنواط. . . .) الحديث.

• **السادسة :** أَنَّ لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليسَ لغيرهم .

• **السابعة :** أَنَّ النبي ﷺ لم يعذرهم بل ردَّ عليهم بقوله : «**الله أكبر إنَّها السنن لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم**» . فغلَّظ الأَمر بهذه الثلاث .

• **الثامنة :** الأَمر الكبير ــ وهو المقصود ــ أَنَّه أَخبرَ أَنَّ طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى (اجعل لنا إلـٰهًا) .

• **التاسعة :** أَنَّ نفي هذا من معنى «لا إلـٰه إلاَّ الله» مع دقته وخفائه على أُولئك .

• **العاشرة :** أَنَّه حلف على الفتيا وهو لا يحلف إلاَّ لمصلحة .

• **الحادية عشرة :** أَنَّ الشرك فيه أَكبر وأَصغر لأَنَّهم لم يرتدوا بهذا .

• **الثانية عشرة :** قولهم : «ونحن حدثاء عهدٍ بكُفرٍ» فيه أَنَّ غيرهم لايجهل ذلك .

• **الثالثة عشرة :** التكبير عند التعجُّب خلافًا لمن كرهه .

• **الرابعة عشرة :** سدّ الذرائع .

• **الخامسة عشرة :** النهي عن التشبُّه بأَهلِ الجاهلية .

• **السادسة عشرة :** الغضب عند التعليم .

• **السابعة عشرة :** القاعدة الكلية ، لقوله : «إنَّها السنن» .

• **الثامنة عشرة :** أَنَّ هذا عَلَم من أَعلام النبوة لكونه وقع كما أَخبر.

• **التاسعة عشرة :** أَنَّ كل ما ذمّ الله به اليهود والنصارى في القرآن أنّه لنا .

• **العشرون :** أَنَّه مقرر عندهم أَنَّ العبادات مبناها على الأَمرِ، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر.

أَما : «مَنْ ربك » فواضح وأَما «مَنْ نبيك» فمن إخباره بأَنباء الغيب . وأَما «ما دينك» فمن قولهم «اجعل لنا إلـٰهًا» إلىٰ آخره .

• **الحادية والعشرون:** أَنَّ سُنَّةَ أَهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين.

• **الثانية والعشرون :** أَنَّ المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لايؤمن أَن يكون في قلبه بقية من تلك العادة لقولهم: «ونحن حدثاء عهدٍ بكفر».

[التعليق:]

بـــاب:

من تبرَّك بشجرةٍ أَو حجرٍ ونحوهما

أَي فإِنَّ ذلك من الشرك ومن أَعمال المشركين، فإِنَّ العلماء اتفقوا على أَنه لا يُشرع التبرك بشيء من الأَشجار والأَحجار والبقع والمشاهد وغيرها. فإِنَّ هذا التبرُّك غلوٌّ فيها وذلك يتدرج به إِلىٰ دعائها وعبادتها، وهذا هو الشرك الأَكبر كما تقدَّم انطباق الحدّ عليه، وهذا عام في كل شيء حتى مقام إِبراهيم وحجرة النبي ﷺ وصخرة بيت المقدِس وغيرها من البقع الفاضلة.

وأَما استلام الحجر الأَسود وتقبيله، واستلام الركن اليماني من الكعبة المشرفة فهذا عبودية لله وتعظيمٌ لله وخضوعٌ لعظمته، فهو روح التعبُّد.

فهذا تعظيم للخالق وتعبُّد له، وذلك تعظيم للمخلوق وتأَلُّه له.

فالفرق بين الأَمرين كالفرق بين الدُّعاء لله الذي هو إِخلاصٌ وتوحيدٌ، والدُّعاء للمخلوق الذي هو شركٌ وتنديد.

بـــاب
ما جاء في الذبح لغير الله

وقوله الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ الكوثر: ٢].

عن عليٍّ رضي الله عنه قال: حدَّثني رسول الله ﷺ بأَربعِ كلماتٍ: «**لَعَنَ الله مَن ذبحَ لغيرِ الله، لعَنَ الله مَن لَعَنَ والِدَيْه، لَعَنَ الله مَن آوى مُحدِثًا، لَعَنَ الله مَن غَيَّر مَنَارَ الأَرض**». رواه مسلم(١).

وعن طارق بن شِهاب أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**دَخلَ الجنَّة رَجُلٌ في ذُبابٍ، ودخلَ النارَ رَجُلٌ في ذُبابٍ**». قالوا: وكيفَ ذلكَ يا رسولَ الله؟ قال: «**مَرَّ رَجُلانِ على قومٍ لهم صنمٌ لا يَجُوزُهُ أَحدٌ حتى يُقَرِّبَ له شيئًا، فقالوا لأَحدِهما: قرِّب، قال: ليس عندي شيءٌ أُقرِّب، قالوا له: قرِّب ولو ذُبابًا، فقرَّبَ ذُبابًا فخلّوا سبيله، فدخلَ النار. وقالوا للآخر: قرِّب، فقال: ما كُنْتُ لأُقرِّبَ لأَحدٍ شيئًا دون الله عزَّ وجلَّ، فضربوا عنقه، فدخلَ الجنة**»(٢). رواه أَحمد.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الأَضاحي باب تحريم الذبح لغير الله تعالى، ولعن فاعله (٣/ ١٥٦٧) حديث رقم (١٩٧٨).

(٢) لم أقف عليه من حديث طارق بن شهاب، وقد وقفت عليه من حديث طارق بن شهاب عن سلمان رواه الإمام أحمد (الزهد) ص١٥ ــ ١٦ ووقع في النسخة المطبوعة (عن سليمان) وهو تحريف، والصواب أنه (عن سلمان) وقد رواه أبو نعيم في (الحلية) ١/ ٢٠٣ في ترجمة (سلمان الفارسي) كلاهما من طريق أبي معاوية حدّثنا الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب عن سلمان قال: دخل رجل الجنة في ذباب. . . فذكره موقوفاً، وإسناده صحيح رجاله ثقات، وله طريقان آخران ذكرهما أبو نعيم معلقة ولم يسق ألفاظهما حيث قال عقب روايته: (رواه شعبة عن قيس بن مسلم عن طارق مثله، ورواه جرير من ــ كذا ــ منصور عن المنهال بن عمرو عن حيان بن مرشد عن سلمان نحوه). وهو وإن كان موقوفاً فلعله مما لا مجال للرأي فيه. والله أعلم.



□ **فيـــه مســـائل :**

- **الأولى :** تفسير ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ .
- **الثانيـة :** تفسير ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ .
- **الثالثـة :** البداءة بلعنة من ذبحَ لغيرِ الله .
- **الرابعـة :** لعنَ من لعنَ والديه ، ومنه أَنْ تلعن والدي الرجل فيلعن والديك .
- **الخامسـة :** لعن من آوىٰ مُحدثًا ، وهو الرجل يحدث شيئًا يجب فيه حقّ الله ، فيلتجيء إلىٰ من يجيره من ذلك .
- **السادسة :** لعن من غير منار الأَرض ، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك من الأَرض فتغيرها بتقديم أَو تأخير .
- **السابعـة :** الفرق بين لعن المعين ولعن أَهل المعاصي على سبيل العموم .
- **الثامنـة :** هذه القصة العظيمة ، وهي قصة الذباب .
- **التاسعـة :** كونه دخلَ النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده ، بل فعله تخلصًا من شرهم .
- **العاشرة :** معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم ، مع كونهم لم يطلبوا إلاَّ العمل الظاهر .
- **الحاديـة عشرة :** أَنَّ الذي دخلَ النار مسلم ، لأَنَّه لو كان كافراً لم يقل : «دخلَ النار في ذباب» .
- **الثانيـة عشرة :** فيه شاهدٌ للحديث الصحيح : **«الجنَّة أَقرب إلىٰ أَحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك»**[1] .
- **الثالثـة عشرة :** معرفة أَنَّ عمل القلب هو المقصود الأَعظم حتى عند عبدة الأَوثان .

---

(١) رواه البخاري . كتاب الرقاق ، باب الجنة أَقرب إلى أَحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك (٥/ ٢٣٨٠) حديث رقم (٦١٢٣) .

[التعليـــق :]

بــــاب :

ما جاء في الذبحِ لغيرِ الله

أَي أَنَّـه شرك، فإِنَّ نصـوص الكتاب والسنـة صريحة في الأَمـر بالـذبح لله، وإِخلاص ذلـك لوجهه، كما هـي صريحة بذلك في الصـلاة، فقد قرنَ الله الـذبح بالصلاة في عدة مواضعَ من كتابه.

وإِذا ثَبَتَ أَنَّ الـذبح لله من أَجلِّ العبادات وأَكبر الطـاعات، فالـذبح لغير الله شرك أَكبر مخرج عن دائرة الإِسلام.

فـإِنَّ حدّ الشركِ الأَكبر وتفسيره الـذي يجمع أَنـواعه وأَفـراده : **(أَن يصرف العبد نوعًا أو فرداً من أَفراد العبادة لغير الله)**.

فكل اعتقادٍ أَو قولٍ أَو عملٍ ثبتَ أَنَّه مأمـور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإِيمان وإِخلاص، وصرفه لغيره شِرك وكفر.

فعليك بهذا الضابط للشركِ الأَكبر الذي لا يشذّ عنه شيء.

كما أَنَّ حدّ الشركِ الأَصغر هو: **(كل وسيلة وذريعـة يتطرق منها إِلى الشرك الأَكبر من الإِرادات والأَقوال والأَفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة)**.

فعليك بهذين الضابطين للشرك الأَكبر والأَصغر، فـإِنَّه مما يعينك على فهم الأَبواب السـابقة واللاحقـة من هذا الكتـاب، وبه يحصل لك الفرقـان بين الأُمور التي يكثر اشتباهها والله المستعان.



بـــاب

لا يُذبح لله بمكان يُذبَح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾.

[التوبة: ١٠٨]

وعن ثابت بن الضَّحَاكِ رضي الله عنه قال: «نَذَرَ رَجلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبلاً بِبُوانَةَ، فسأل النبي ﷺ فقال: «**هل كان فيها وَثَنٌ من أَوثانِ الجاهِليَّة يُعْبَد؟**» قالوا: لا قال: «**فهل كان فيها عيدٌ من أَعيادهم؟**». قالوا: لا فقال رسول الله ﷺ: «**أَوْفِ بِنذرك، فإِنَّه لا وَفاءَ لِنَذْرٍ في معصيةِ الله، ولا فيما لا يَمْلِكُ ابنُ آدم**». رواه أَبو داود وإِسنادُه على شرطِهما(١).

☐ **فيـــه مســـائل:**

- **الأولى**: تفسير قوله: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾.
- **الثانيـة**: أَنَّ المعصية قد تؤثِّر في الأَرض وكذلك الطاعة.
- **الثالثـة**: رد المسألة المشكلة إِلىٰ المسألة البينة ليزول الإِشكال.
- **الرابعـة**: استفصال المفتي إِذا احتاج إِلىٰ ذلك.
- **الخامسـة**: أَنَّ تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إِذا خلا من الموانع.
- **السادسة**: المنع منه إِذا كان فيه وثنٌ من أَوثان الجاهلية ولو بعد زواله.
- **السابعة**: المنع منه إِذا كان فيه عيد من أَعيادهم ولو بعد زواله.
- **الثامنة**: أَنَّه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة لأَنَّه نذرُ معصية.

---

(١) (السنن) ٣/ ٦٠٧ (كتاب الإِيمان والنذور) (باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر) حديث رقم (١٣١٣) قال الحافظ ابن حجر في (التلخيص الجبير) ٤/ ١٩٨: (رواه أَبو داود من حديث ثابت بن الضحاك بسند صحيح. اهـ).

• **التاسعة :** الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده .

• **العاشرة :** لا نذرَ في معصية .

• **الحادية عشرة :** لا نذر لابن آدم فيما لا يملك .

[التعليق :]

باب :

لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

ما أَحسن اتباع هذا الباب بالباب الذي قبله ، فالذي قبله من المقاصد وهذا من الوسائل ، ذاك من باب الشرك الأكبر، وهذا من وسائل الشرك القريبة فإنَّ المكان الذي يذبح فيه المشركون لآلهتهم تقرباً إليها وشركاً بالله قد صار مشعراً من مشاعر الشرك ، فإذا ذبحَ فيه المسلم ذبيحة ولو قصدها لله ، فقد تشبَّه بالمشركين وشاركهم في مشعرهم ، والموافقة الظاهرة تدعو إلىٰ الموافقة الباطنة والميل إليهم .

ومن هذا السبب نهىٰ الشارع عن مشابهة الكفَّار في شعارهم وأَعيادهم وهيئاتهم ولباسهم وجميع ما يختص بهم إبعاداً للمسلمين عن الموافقة لهم في الظاهر التي هي وسيلة قريبة للميل والركون إليهم ، حتى إنَّه نهى عن الصلاة النافلة في أَوقات النهي التي يسجد المشركون فيها لغير الله خوفاً من التشبُّه المحذور.





بـــاب

من الشرك : النذرُ لغير الله

وقول الله تعالى :

﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الإنسان : ٧] .

وقوله :

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾ [البقرة : ٢٧٠] .

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال : «من نَذَرَ أَن يُطِيعَ اللهَ فلْيُطِعهُ ، ومَنْ نَذَرَ أَن يَعصيَ اللهَ فَلا يَعْصِهِ» . [1]

☐ فيـــه مســـائل :

- **الأولى** : وجوب الوفاء بالنذر.
- **الثـانيـة** : إذا ثبتَ كونه عبادة لله فصرفه إلىٰ غيره شرك .
- **الثـالثـة** : أَنَّ نذر المعصية لا يجوز الوفاء به .

---

(١) رواه البخاري : كتاب الأيمان والنذور باب النذر فيما لا يملك وفي معصية (٦/ ٢٤٦٤) حديث رقم (٦٣٢٢) . ورواه في موضع آخر ـ أيضاً ـ (٦/ ٢٤٦٣) (كتاب الإيمان والنذور) (باب النذر في الطاعة) حديث رقم (٦٣١٨) .

بـــاب
من الشرك: الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]

وعن خَوْلَةَ بنتِ حكيم رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فقال: أعوذُ بكلمات الله التَّامَّاتِ مِن شَرِّ ما خَلَقَ، لم يَضُرَّهُ شيءٌ حتى يَرْحَلَ من منزله ذلك». رواه مسلم(١).

□ **فيـــه مســـائل:**

- **الأولى**: تفسير آية الجن.
- **الثانية**: كونه من الشرك.
- **الثالثة**: الاستدلال على ذلك بالحديث، لأَنَّ العلماء يستدلون به على أَنَّ كلمات الله غير مخلوقة، قالوا: لأَنَّ الاستعاذة بالمخلوق شرك.
- **الرابعة**: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.
- **الخامسة**: أَنَّ كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أَو جلب نفع، لا يدل على أَنَّه ليس من الشرك.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (٤/ ٢٠٨٠ ـ ٢٠٨١) حديث رقم (٢٧٠٨).



بـــاب

من الشرك: أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس : ١٠٦، ١٠٧].

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٧].

وقوله : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۞ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾.

[الأحقاف : ٥-٦]

وقوله : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ [النمل : ٦٢].

وروى الطبرانيُّ بإسناده : أنَّه كان في زمن النبي ﷺ منافقٌ يُؤذِي المؤمنين، فقال بعضُهم : قوموا بنا نستَغيثُ برسولِ الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبيُّ ﷺ : «**إنَّهُ لا يُستغاثُ بي وإنَّما يُستَغاثُ بالله**»(١).

---

(١) عزاه الهيثمي للطبراني في (المعجم الكبير) عن عبادة بن الصامت ولم أقف على مسنده في المطبوع من (المعجم الكبير)، قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٩ : (رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيمة وهو حسن الحديث، وقد رواه أحمد بغير هذا السياق، وهو في الأدب في باب القيام. اهـ).

□ **فيه مسائل :**

- **الأولى :** أَنَّ عطف الدُّعاء على الاستغاثة من عطفِ العام على الخاص .
- **الثانية :** تفسير قوله : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ .
- **الثالثة :** أَنَّ هذا هو الشرك الأَكبر.
- **الرابعة :** أَنَّ أَصلحَ الناس لو يفعله إرضاءً لغيره صار من الظالمين .
- **الخامسة :** تفسير الآية التي بعدها .
- **السادسة :** كون ذلك لا ينفع في الدُّنيا مع كونه كفراً.
- **السابعة :** تفسير الآية الثالثة[1] .
- **الثامنة :** أَنَّ طلب الرزق لا ينبغي إِلاَّ من الله ، كما أَنَّ الجنة لاتطلب إِلاَّمنه .
- **التاسعة :** تفسير الآية الرابعة .
- **العاشرة :** أَنَّه لا أَضلَّ ممن دعَا غير الله .
- **الحادية عشرة :** أَنَّه غافلٌ عن دعاء الدَّاعي لا يدري عنه .
- **الثانية عشرة :** أَنَّ تِلْكَ الدعوة سبب لبغض المدعو للدَّاعي وعداوته له .
- **الثالثة عشرة :** تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو.
- **الرابعة عشرة :** كفر المدعو بتلكَ العبادة .
- **الخامسة عشرة :** أَنَّ هذه الأمور هي سبب كونه أَضل الناس .
- **السادسة عشرة :** تفسير الآية الخامسة .
- **السابعة عشرة :** الأَمر العجيب ، وهو إقرار عبدة الأَوثان بأَنَّه لا يجيب المضطر إِلاَّ الله ، ولأَجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدِّين .
- **الثامنة عشرة :** حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد والتأَدُّب مع الله .

---

(١) أي الآية (١٧) من سورة العنكبوت .

[التعليق :]

بـــاب :

من الشرك: النذر لغير الله

بـــاب :

من الشرك: الاستعاذة بغير الله

بـــاب :

من الشرك: أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره.

متى فهمت الضابط السابق في حدِّ الشرك الأكبر وهو أن (من صرفَ شيئاً من العبادة لغيرِ الله فهو مشرك).

فهمت هذه الأبواب الثلاثة التي والى المصنف بينها.

فإنَّ النذر عبادة مدح الله الموفين به، وأمرَ النبي ﷺ بالوفاء بنذرِ الطاعة، وكل أمر مدحه الشارع أو أثنىٰ على من قامَ به أو أمرَ به فهو عبادة.

فإنَّ العبادة (اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة) والنذر من ذلك.

وكذلك أمر الله بالاستعاذة به وحده من الشرور كلها، وبالاستغاثة به في كل شدَّة ومشقَّة، فهذه إخلاصها لله إيمان وتوحيد، وصرفها لغير الله شركٌ وتنديد.

والفرق بين الدُّعاء والاستغاثة، أنَّ الدُّعاء عام في كل الأحوال والاستغاثة هي الدعاء لله في حالة الشدائد، فكل ذلك يتعين إخلاصه لله وحده، وهو المجيب لدعاء الداعين المفرج لكربات المكروبين، ومن دعا غيره من نبي أو ملك أو ولي أو غيرهم أو استغاث بغيرِ الله فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله فهو مشرك كافر، وكما أنَّه خرجَ من الدِّين فقد تجرَّد أيضاً من العقل، فإنَّ أحداً من الخلق ليس عنده من النفع والدفع مثقال ذرة لا عن نفسه ولا عن غيره، بل الكل فقراء إلىٰ الله في كل شؤونهم.

بـــاب :

قـــول الله تـعـالـــى

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩١ ، ١٩١].

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر : ١٣ ، ١٤].

وفي الصحيح(١) عن أنس رضي الله عنه قال: شُجَّ النبيُّ ﷺ يوم أُحُدٍ وكُسِرتْ رباعِيَّتُه. فقال: «**كيف يُفلحُ قومٌ شَجُّوا نبيهم**»؟ فنزلت :

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨].

وفيه(٢) عن ابن عمرَ رضي الله عنهما : «أَنَّهُ سَمِعَ رسول الله ﷺ يقول: إذا رفعَ رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «**اللهم العَنْ فلاناً وفلاناً**». بعدما يقول: «**سمعَ اللهُ لمن حمده ربَّنا ولك الحمدُ**»، فأنزلَ الله :

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الآية.

---

(١) رواه البخاري معلقاً: كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ . (٤/ ١٤٩٣) . ورواه مسلم: كتاب الجهاد والسير باب غزوة أُحد (٣/ ١٤١٧) حديث رقم(١٧٩١) . ولفظه: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله؟ فأنزل الله . . . الحديث.

(٢) رواه البخاري: كتاب المغازي باب قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ (٤/ ١٤٩٣ـ ١٤٩٤) حديث رقم (٣٨٤٢).

وفي رواية[(١)]: «يَدْعُو على صفوانَ بن أُميَّة وسُهيْل بن عَمرو والحارِث بنِ هشام فنزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾.

وفيه عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حينَ أُنزِلَ عليه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. فقال: «**يا مَعْشَرَ قُرَيش - أَو كلمةً نحوها - اشتروا أَنْفُسَكُمْ، لا أَغْني عنكم من الله شيئاً، يا عباسُ بن عبدالمطَّلِب: لا أُغني عنك من الله شيئاً، يا صفِيَّةُ عَمَّةَ رسول الله ﷺ: لا أَغني عنكِ من الله شيئاً، ويا فاطمةُ بنت محمدٍ: سليني من مالي ماشئتِ، لا أُغني عنكِ من الله شيئاً**»[(٢)].

□ **فيه مسائل:**

- **الأولى**: تفسير الآيتين.
- **الثانية**: قصة أُحُدٍ.
- **الثالثة**: قنوتُ سيدِ المرسلينَ وخلفه ساداتُ الأَولياءِ يؤمِّنونَ في الصلاة.
- **الرابعة**: أَنَّ المدعوَّ عليهم كُفَّارٌ.
- **الخامسة**: أَنَّهم فعلوا أَشياء ما فعلها غالب الكفَّار، منها شجَّهُم نبيَّهم وحرصهم على قتله ومنها التمثيل بالقتلى مع أَنهم بنو عمهم.
- **السادسة**: أنزلَ الله عليه في ذلك: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾.
- **السابعة**: قوله: ﴿ **أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ** ﴾ فتاب عليهم فآمنوا.

---

(١) رواه البخاري: مع فتح الباري ٧/ ٣٦٥ حديث رقم (٤٠٧٠) كتاب المغازي باب قوله تعالىٰ: ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ** ﴾ وهو مرسل لأَنه من رواية سالم بن عبدالله بن عمر وقد وصلها أَحمد (٢/ ٩٣) والترمذي: كتاب تفسير القرآن باب من سورة آل عمران (٥/ ٢١٢) حديث رقم (٣٠٠٤). وقال: هذا حديث حسن غريب. اهـ.

(٢) رواه البخاري: كتاب التفسير تفسير سورة الشعراء باب قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (٤/ ١٧٨٧ - ١٧٨٨) حديث رقم (٤٤٩٣). ومسلم: كتاب الإيمان باب قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (١/ ١٩٢ - ١٩٣) حديث رقم (٢٠٦).

• **الثامنة :** القنوت في النوازِل .

• **التاسعة :** تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأَسمائهم وأَسماء آبائهم .

• **العاشرة :** لعن المعين في القنوت .

• **الحادية عشرة :** قصته ﷺ لما أُنزِلَ عليه : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾.

• **الثانية عشرة :** جده ﷺ في هذا الأَمر بحيث فعل ما نسب بسببه إِلىٰ الجنون وكذلك لو يفعله مسلمٌ الآن .

• **الثالثة عشرة :** قوله للأَبعد والأَقرب : «**لا أُغني عنك من الله شيئاً**» ، حتى قال : «**يا فاطمة بنت محمد لا أَغني عنكِ من الله شيئاً**» . فإِذا صرَّحَ وهو سيد المرسلين بأَنَّه لا يغني شيئاً عن سيدة نساء العالمين وآمن الإِنسان أَنَّه لا يقول إِلَّا الحقّ ، ثم نظرَ فيما وقعَ في قلوب خواص الناس اليوم تبيَّنَ لَهُ التوحيدُ وغربةُ الدِّينِ .

[التعليق :]

باب :

قول الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾.

هذا شروع في براهين التوحيد وأَدلَّته ، فالتوحيد له من البراهين النقلية والعقلية ما ليسَ لغيره .

فتقدَّمَ أَنَّ التوحيدين : توحيد الربوبية وتوحيد الأَسماء والصفات من أَكبر براهينه وأَضخمها ، فالمتفرد بالخلق والتدبير، والمتوحد في الكمال المطلق من جميع الوجوه هو الذي لا يستحقّ العبادة سواه .

وكذلك من براهين التوحيد معرفة أَوصاف المخلوقين ومن عبدَ مع الله ، فإِنَّ جميع ما يُعبَدُ من دونِ الله من ملكٍ وبشرٍ ومن شجرٍ وحجرٍ وغيرها كلهم فقراء إِلىٰ الله ، عاجزون ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة ، ولا يخلقون شيئاً وهم



يُخلَقُون، ولا يملكون ضرًّا ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، والله تعالى هو الخالق لكل مخلوق وهو الرازق لكل مرزوق، المدبِّر للأُمور كلها، الضار النافع، المعطي المانع، الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع كل شيء، وله يَقصد ويصمد ويخضع كل شيء.

فأَي بُرهان أعظم من هذا البرهان الذي أَعاده الله وأَبداه في مواضع كثيرة من كتابه وعلى لسان رسوله، فهو دليل عقلي فطري كما أَنَّه دليل سمعي نقلي على وجوب توحيد الله وأَنَّه الحقّ، وعلى بُطْلان الشرك.

وإذا كان أَشرف الخلق على الإِطلاق لا يملك نفع أَقرب الخلق إليه وأَمسِّهم به رحماً فكيف بغيره؟ فتباً لمن أَشركَ بالله وساوىٰ به أَحداً من المخلوقين، لقد سُلِبَ عقله بعدما سُلِبَ دينه.

فنعوتُ الباري تعالى وصفاتُ عظمته وتوحده في الكمال المطلق أَكبر برهان على أَنَّه لا يستحقُّ العبادة إلاَّ هو.

وكذلك صفات المخلوقات كلها، وما هي عليه من النقص والحاجة والفقر إلىٰ ربها في كل شؤونها، وأَنَّه ليسَ لها من الكمال، إلاَّ ما أَعطاها ربها من أَعظم البراهين على بطلان إلٰهية شيء منها.

فمن عرف الله وعرف الخلق اضطرته هذه المعرفة إلىٰ عبادة الله وحده، وإخلاص الدين له والثناء عليه، وحمده وشكره بلسانه وقلبه وأَركانه وانصرف تعلُّقه بالمخلوقين خوفاً ورجاءً وطمعاً، والله أَعلم.



بـــاب
قــول الله تــعالـــى

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾
[سـبأ: ٢٣]

وفي الصحيح عن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إِذا قضىٰ الله الأَمرَ في السماءِ ضربت الملائكة بأجنحتها خُضَعاناً لقولِهِ، كأَنَّه سِلْسِلَةٌ على صَفْوانٍ ينفذهُم ذلك، (حتى إِذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير)، فيسمعها مسترق السَّمع، ومسترقُ السَّمع هكذا بعضُهُ فوقَ بعض ـ** وصفهُ سُفيان بكَفِّهِ، فحرَّفها وبَدَّد بينَ أَصابعه ـ **فيَسْمَعُ الكلمة فيُلقيها إِلىٰ من تحتهُ، ثم يُلقيها الآخر إِلىٰ من تحته، حتى يُلقيها على لسان الساحِر أَو الكاهن، فرُبما أَدركه الشهابُ قبل أَن يُلقيها وربما أَلقاها قبل أَن يُدركه، فيكْذِبُ معها مائة كذْبةٍ، فيُقال: أَليسَ قد قال لنا يومَ كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيُصَدَّقُ بتلك الكلمة التي سُمِعَتْ من السماء**»[1].

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذا أَرادَ الله تعالى أَن يُوحي بالأَمر، وتكلَّم بالوحي أَخذت السموات منه رجفةً، ـ أَو قال: رعْدةً ـ شديدةً خوفاً من الله عز وجلّ، فإِذا سمع ذلك أَهلُ السمٰوات صُعِقوا وخرُّوا لله سُجَّداً، فيكونُ أَولَ من يرفع رأسه جبريلُ، فيكلمه الله من وحيه بما أَراد، ثم يَمُرُّ جبريل على الملائكة، كُلَّما مَرَّ بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا**

---

(١) رواه البخاري: كتاب التفسير تفسير سورة سبأ باب: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ (٤/ ١٨٠٤) حديث رقم (٤٥٢٢).

يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحقَّ، وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قالَ جبريلُ، فينتهي جبريل بالوحي إلىٰ حيثُ أَمَرَهُ الله عز وجل»(١).

□ فيـــه مســـائل:

• **الأولى**: تفسير الآية.

• **الثـانيـة**: مـا فيهـا من الحجة على إبطـال الشرك، خصـوصـاً من تعلَّق على الصالحين، وهي الآية التي قيـل إنَّها تقطع عروق شجرة الشركِ من القلبِ.

• **الثـالثـة**: تفسير قوله: ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

• **الـرابعـة**: سبب سؤالهم عن ذلك.

• **الخامسـة**: أَنَّ جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله: «قال كذا وكذا».

• **السادسـة**: ذكرُ أَنَّ أَول من يرفع رأسه جبريل.

• **السابعـة**: أَنَّه يقول لأَهل السمٰوات كلهم لأَنهم يسألونه.

• **الثـامنـة**: أَنَّ الغشي يعم أَهل السمٰوات كلهم.

• **التـاسعـة**: ارتجاف السمٰوات لكلام الله.

• **العـاشرة**: أَنَّ جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلىٰ حيث أَمره الله.

• **الحاديـــة عشرة**: ذكر استراق الشياطين.

• **الثـانيـــة عشرة**: صفة ركوب بعضهم بعضاً.

---

(١) رواه ابن أبي عـاصم (السنـة) ١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧ حـديث رقم (٥١٥) من طـريق نعيم بن حماد ثنـا الوليد بن مسلم عن عبـد الرحمن بن يزيد بن جـابر عن عبد الله بن أبي زكريـا عن رجاء بن حيوة عن النـواس بن سمعان الكـلابي. . . الحديث بنحوه وإسنـاده ضعيف لأجل الوليـد بن مسلم قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٢/ ٣٣٦: (ثقـة لكنه كثير التدليس والتسوية). ونص بعض العلماء على أنـه ليس لهذا الحديث أصـل قـال الـذهبي (الميـزان) ٤/ ٢٦٨: (قـال أبـو زرعـة الدمشقي عرضت على دحيم حديثاً حدثناه نعيم بن حماد عن الوليد بن مسلم عن ابن جابر عن ابن أبي زكريا عن رجـاء بن حيوة عن النواس بن سمعان: إذا تكلم الله بـالوحي. فقال دحيم: لا أصل له. اهـ).

• **الثالثة عشرة :** إرسال الشهب .

• **الرابعة عشرة :** أَنَّه تارةً يدركه الشهاب قبل أَن يلقيها وتارةً يلقيها في أُذُن وليه من الإِنس قبل أَن يُدركه .

• **الخامسة عشرة :** كون الكاهن يصدُق بعض الأَحيان .

• **السادسة عشرة :** كونه يكذبُ معها مائة كذبةٍ .

• **السابعة عشرة :** أَنَّه لم يصدَّق كذبه إِلاَّ بتلك الكلمة التي سمعت من السماء .

• **الثامنة عشرة :** قبول النفوس للباطل كيف يتعلقون بواحدةٍ ولا يعتبرون بمائة ؟ .

• **التاسعة عشرة :** كونهم يتلقى بعضهم من بعضٍ تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها .

• **العشرون :** إِثبات الصفاتِ خلافاً للأَشعرية المعطلِة .

• **الحادية والعشرون:** التصريح بأَنَّ تلكَ الرجفة والغشي خوفاً من الله عزَّ وجلَّ .

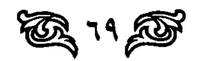
• **الثانية والعشرون :** أَنَّهُم يخرُّون لله سجداً .

[التعليق :]

باب :

قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾

وهذا أَيضاً برهان عظيم آخر على وجوب التوحيد وبطلان الشرك ، وهو ذكر النصوص الدالَّة على كبرياء الرب وعظمته التي تتضاءل وتضمحل عندها عظمة المخلوقات العظيمة ، وتخضع له الملائكة والعالم العلوي والسفلي ولا تثبت أَفئدتهم عندما يسمعون كلامه أَو تتبدَّىٰ لهم بعض عظمته ومجده ، فالمخلوقات بأَسرِهَا خاضعة لجلاله ، معترفة بعظمته ومجده خاضعة له خائفة منه ، فمن كان



هذا شأنـه فهو الـربّ الذي لا يستحق العبـادة والحمد والثنـاء والشكر والتعظيم والتألُّـه إلاَّ هـو، ومن سـواه ليس لـه من هـذا الحقِّ شيء. فكما أَنَّ الكمال المطلق والكبرياء والعظمة ونعوت الجلال والجمال المطلق كلها لله لا يمكن أَن يتصف بها غيره، فكذلك العبودية الظاهرة والباطنة كلها حقه تعالى الخاص الذي لا يشاركه فيه مشارك بوجه.



باب
الشفاعة

وقول الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١].

وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

وقوله: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۞ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣].

قال أبو العباس(١): نفى الله عمَّا سواهُ كل ما يتعلَّق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره مُلْكٌ أو قِسْطٌ منهُ أو يكون عوناً لله ولم يَبْقَ إلاَّ الشَّفاعَةُ، فَبيَّنَ أنَّها لا تَنْفَعُ إلاَّ لِمن أَذِنَ له الرَّبُّ كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فهذه الشفاعةُ التي يَظُنُّها المشركون هي مُنْتَفِيةٌ يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأَخْبَرَ النبي ﷺ: «أنَّهُ يأتي فيسجد لربه ويحمَدُهُ ـ لا يبدأ بالشفاعة أوّلاً ـ ثم يُقال له: «ارفع رأسك، وقُلْ يُسمَعُ، وسَل تُعْطَ، واشْفَع تُشَفَّعْ»(٢).

---

(١) هو الإمام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى.

(٢) جزء من حديث الشفاعة الطويل. رواه البخاري: كتاب الأنبياء باب قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ (٣/ ١٢١٥ـ ١٢١٦) حديث رقم (٣١٦٢). ومسلم: كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/ ١٨٤، ١٨٦) حديث رقم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



وقال أَبو هـريرة له ﷺ: من أَسْعدُ النـاس بشفاعتك؟ قال: «**من قال لا إلـه إلَّا الله خالصاً من قلبه**»[1]. فتلكَ الشفاعة لأَهـل الإخلاص بإذن الله، ولا تكونُ لمن أَشْركَ بالله.

وحقيقتُه أَنَّ الله سبحانه هـو الذي يَتفضَّلُ على أَهلِ الإخلاص، فيغفر لهم بواسِطةِ دعاء من أَذِنَ له أَن يَشْفعَ ليُكْرِمَهُ وينالَ المقام المحمود.

فالشفاعـة التي نفاها القرآن مـا كان فيها شِرْكٌ، ولهذا أَثبتَ الشفاعـة بإذنه في مواضع وقد بيَّن النبي ﷺ أَنَّها لا تكونُ إلَّا لأَهـلِ التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.

□ فيـــه مســـائل:

- **الأولـــى:** تفسيرُ الآيات.
- **الثـانيـة:** صفةُ الشفاعة المنفيَّة.
- **الثـالثـة:** صفةُ الشفاعة المثبتة.
- **الـرابعـة:** ذكرُ الشفاعةِ الكبرى وهي المقامُ المحمودُ.
- **الخامســة:** صفةُ مـا يفعلهُ ﷺ أَنَّهُ لا يبـدأُ بالشفـاعة بل يسجدُ، فـإذا أُذِنَ له شفعَ.
- **السادسة:** من أَسعدُ الناس بها؟.
- **السابعـة:** أَنَّها لا تكون لمن أَشركَ بالله.
- **الثـامنـة:** بيانُ حقيقتها.

[التعليـــق:]

بـــاب:

الشفاعـــة

---

(١) رواه البخاري: كتاب العلم باب الحرص على الحديث (١/ ٤٩) حديث رقم (٩٩).

إِنَّما ذكر المصنف الشفاعة في تضاعيف هذه الأَبواب لأَنَّ المشركين يبررون شركهم ودعاءهم للملائكة والأَنبياء والأَولياء بقولهم: نحن ندعوهم مع علمنا أَنَّهم مخلوقون ومملكون، ولكن حيث إنَّ لهم عند الله جاهاً عظيماً ومقاماتٍ عاليةٍ، ندعوهم ليُقربونا إِلىٰ الله زُلفىٰ وليشفعوا لنا عنده، كما يتقرَّب إِلىٰ الوجهاء عند الملوك والسلاطين، ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم وإِدراك مآربهم.

وهذا من أَبطلِ الباطلِ، وهو تشبيه الله العظيم ملك الملوك الذي يخافه كل أَحد وتخضع له المخلوقات بأَسرها بالملوك الفقراء المحتاجين للوجهاء والوزراء في تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم.

فأَبطلَ الله هذا الزعم وبيَّنَ أَنَّ الشفاعة كلها له، كما أَنَّ المُلْكَ كله له، وأَنَّه لا يشفع عنده أَحد إِلاَّ بإِذنه، ولا يأذن إِلاَّ لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى إِلاَّ توحيده وإِخلاص العمل له.

فبيَّنَ أَنَّ المشرك ليس له حظ ولا نصيب من الشفاعة.

وبيَّنَ أَنَّ الشفاعة المثبتة التي تقع بإِذنه إِنَّما هي الشفاعة لأَهل الإِخلاص خاصة وأَنَّها كلها منه، رحمة منه وكرامة للشافع، ورحمة منه وعفواً عن المشفوع له، وأَنَّه هو المحمود عليها في الحقيقة، وهو الذي أَذِنَ لمحمد ﷺ فيها وأَناله المقام المحمود.

فهذا ما دلَّ عليه الكتاب والسنة في تفصيل القولِ في الشفاعة.

وقد ذكرَ المصنف رحمه الله كلام الشيخ تقي الدين في هذا الموضع وهو كافٍ شافٍ.

فالمقصود في هذا الباب ذكر النصوص الدالة على إبطال كل وسيلة وسبب يتعلق به المشركون بآلهتهم، وأَنَّه ليس لها من الملك شيء، لا استقلالاً ولا مشاركةً ولا معاونةً ولا مظاهرةً ولا من الشفاعة شيء. وإِنَّما ذلك كله لله وحده، فتعيَّن أَنْ يكونَ المعبود وحده.



بـــاب

قـــول الله تـعــالـــى

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص : ٥٦].

في الصحيح[1] عن ابن المسيَّب عن أبيه قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبا طَالب الوفاة، جاءهُ رسولُ الله ﷺ وعنده عبدالله بن أَبي أُميَّة وأَبو جهل. فقال له: «**يا عمِّ: قل لا إلـٰه إلَّا الله، كلمةً أُحاجُّ لك بها عند الله**» فقالا له: أَترغَبُ عن مِلَّة عبدالمطلب؟ فأَعاد عليه النبي ﷺ فأَعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبدالمطلب، وأَبى أَن يقولَ لا إلـٰه إلَّا الله، فقال النبي ﷺ: «**لأَستَغفِرَنَّ لك مالم أُنْه عنكَ**»، فأَنزَلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة : ١١٣].

وأَنزلَ في أَبي طالب:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص : ٥٦].

□ **فيــه مســائل:**

- **الأولــى:** تفسير ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾.
- **الثـانيـة:** تفسير ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾
- **الثـالثـة:** ـ وهي المسألة الكبيرة ـ: تفسيرُ قوله: «**قل لا إلـٰه إلَّا الله**». بخلافِ ما عليهِ من يدَّعي العلم.

---

(١) رواه البخاري: كتاب التفسير تفسير سورة القصص باب «إنَّك لا تهدي من أَحببت ولكن الله يهدي من يشاء» (٤/ ١٧٨٨ ـ ١٧٨٩) حديث رقم (٤٤٩٤) ومسلم: كتاب الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت، ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة.... (١/ ٥٤) حديث رقم (٢٤).



• **الرابعة :** أنَّ أَبا جهلٍ ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قالَ للرجل : «**قُلْ لا إلـه إلَّا الله**» فقبَّحَ الله مَنْ أَبو جهل أَعلمُ منهُ بأَصل الإِسلام .

• **الخامسة :** جِدّه ﷺ ومبالغته في إسلام عمه .

• **السادسة :** الردُّ على من زعم إسلام عبدالمطلب وأَسلافه .

• **السابعة :** كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له بل نُهِيَ عن ذلك .

• **الثامنة :** مضرةُ أَصحابِ السوءِ على الإِنسان .

• **التاسعة :** مضرة تعظيم الأَسلاف والأَكابر .

• **العاشرة :** الشبهة للمبطلين في ذلك لاستدلال أبى جهل بذلك .

• **الحادية عشرة :** الشاهِدُ لكون الأَعمال بالخواتيم لأَنَّهُ لو قالَهَا لنَفَعتْهُ .

• **الثانية عشرة :** التأَمُّل في كِبَر هذه الشُّبهة في قلوب الضالين لأَنَّ القصة أَنهم لم يجادلوه إلَّا بها مع مبالغته ﷺ وتكريره ، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها .

[التعليق :]

باب :

قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾

وهذا الباب أَيضاً نظير الباب الذي قبله ، وذلك أَنَّهُ إذا كان ﷺ هو أَفضلُ الخلقِ على الإِطلاق وأَعظمهم عند الله جاهاً وأَقربهم إليه وسيلة ، لا يقدر على هداية من أَحبّ هداية التوفيق وإِنَّما الهداية كلها بيد الله ، فهو الذي تفرَّدَ بهداية القلوب كما تفرَّدَ بخلقِ المخلوقات فتبيَّن أَنَّه الإلـه الحقّ .

وأَما قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ . [الشورى : ٥٢] .

فالمراد بالهداية هنا : هداية البيان . وهو ﷺ المبلِّغ عن الله وحيه الذي اهتدىٰ به الخلق .



بــاب
ما جاءَ أَنَّ سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء : ١٧١].

وفي الصحيحِ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما في قول الله تعالى:

﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح : ٢٣].

قال: «هذه أَسماءُ رجالٍ صالحين من قومِ نوح، فلما هلكوا أَوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم: أَن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أَنصاباً وسمُّوها بأَسمائهم، ففعلوا ولم تُعْبَدْ حتى إذا هلَكَ أُولـٰئِكَ ونُسِيَ العلمُ، عُبِدَتْ»[1].

وقال ابن القيِّم: قال غيرُ واحِدٍ من السَّلَفِ: لما ماتُوا عكفوا على قبورهم ثم صَوَّرُوا تماثيلهم ثم طالَ عليهم الأَمدُ فعبدوهم[2].

وعن عمر أَنَّ رسول الله ﷺ قال: **«لا تُطْرُوني كما أَطرتِ النصارى ابن مريم إنَّما أَنَا عَبْدٌ. فقولوا: عَبْدُ الله ورسوله»**. أَخرجاه[3].

---

(١) رواه البخاري: كتاب التفسير، تفسير سورة نوح باب: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾ (٤/ ١٨٧٣) حديث رقم (٤٦٣٦).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ١٨٤).

(٣) رواه البخاري: كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ (٣/ ١٢٧١) حديث رقم (٣٢٦١) ولم يروه مسلم.

وقال: قال رسول الله ﷺ: **«إِيَّاكُمْ والغلوَّ، فإِنما أَهْلَكَ من كان قبلكم الغُلُو»**(١).

ولمسلم(٢) عن ابن مسعودٍ أَنَّ رسول الله ﷺ قال: **«هَلَكَ المُتنطِّعون»**. قالها ثلاثاً.

□ **فيه مسائل:**

• **الأولى:** أَنَّ من فهمَ هذا الباب وبابين بعده تبيَّن له غُربة الإِسلام، ورأىٰ من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجَب.

• **الثانية:** معرفة أَول شركٍ حدَثَ على وجه الأَرض أَنَّه بشبهة الصالحين.

• **الثالثة:** أَول شيءٍ غُيِّرَ به دين الأَنبياء وما سبب ذلك مع معرفة أَنَّ الله أَرسلهم.

• **الرابعة:** قبول البِدَع مع كون الشرائع والفِطَر تردها.

• **الخامسة:** أَنَّ سبب ذلك كله مزج الحقّ بالباطل.

فالأَول: محبة الصالحين.

والثاني: فعلُ أُناسٍ من أَهلِ العلم والدِّين شيئاً أَرادوا به خيراً، فظنَّ من بعدهم أَنَّهُم أَرادوا به غيره.

• **السادسة:** تفسير الآية التي في سورة نوح.

• **السابعة:** جِبِلَّة الآدمي في كون الحقّ ينقص في قلبه والباطل يزيد.

• **الثامنة:** فيه شاهدٌ لما نقل عن السلف أَنَّ البِدع سبب الكفر.

---

(١) رواه النسائي في (السنن) ٥/ ٢٦٨ (كتاب مناسك الحج) (باب التقاط الحصى) وابن ماجة في (السنن) ٢/ ١٠٠٨ (كتاب المناسك) (باب قدر حصى الرمي) حديث رقم (٣٠٢٩) والإمام أحمد في (المسند) ١/ ٢١٥ و ٣٤٧ ثلاثتهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال شيخ الإسلام في (اقتضاء الصراط المستقيم) ص ١٠٦: (هذا إسناد صحيح على شرط مسلم. اهـ).

(٢) رواه مسلم: كتاب العلم باب هلك المتنطعون (٤/ ٢٠٥٥) حديث رقم (٢٦٧٠).



- **التاسعة :** معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل .
- **العاشرة :** معرفة القاعدة الكلية وهي النهي عن الغلوّ ومعرفة ما يؤول إليه .
- **الحادية عشرة :** مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح .
- **الثانية عشرة :** معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها .
- **الثالثة عشرة :** معرفة شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها .
- **الرابعة عشرة :** ــ وهي أعجب وأعجب ــ قراءتهم إيَّاها في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حالَ بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أنَّ فعل قوم نوح أفضل العبادات، واعتقدوا أنَّ ما نهىٰ الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال .
- **الخامسة عشرة :** التصريح بأنَّهم لم يريدوا إلاَّ الشفاعة .
- **السادسة عشرة :** ظنهم أنَّ العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك .
- **السابعة عشرة :** البيان العظيم في قوله : «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**» . فصلوات الله وسلامه على من بلَّغ البلاغ المبين .
- **الثامنة عشرة :** نصيحته إيَّانا بهلاك المتنطعين .
- **التاسعة عشرة :** التصريح بأنَّها لم تُعبد حتى نسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده .
- **العشرون :** أنَّ سبب فقد العلم موت العلماء .

[التعليق :]

باب :

ما جاء أنَّ سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

والغلو هو مجاوزة الحدّ بأن يُجْعَلَ للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيء، فإنَّ حقّ الله الذي لا يشاركه فيه مشارك هو الكمال المطلق والغِنى المطلق

والتصرف المطلق، من جميع الوجوه، وأَنَّه لا يستحقّ العبادة والتألُّه أَحدٌ سواه.

فمن غلا بأَحد من المخلوقين حتى جعلَ له نصيباً من هذه الأَشياء فقد ساوى به ربّ العالمين، وذلك أَعظم الشرك. ومن رفع أحداً من الصالحين فوق منزلته التي أنزله الله بها فقد غلا فيه وذلك وسيلة إلى الشرك وترك الدين والناس في معاملة الصالحين ثلاثة أَقسام:

* **أَهل الجفاء** الذين يهضمونهم حقوقهم، ولا يقومون بحقهم من الحب والموالاة لهم والتوقير والتبجيل.

* **وأَهل الغلو** الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التي أَنزلهم الله بها.

* **وأَهل الحق** الذين يحبونهم ويوالونهم، ويقومون بحقوقهم الحقيقية، ولكنهم يبرؤون من الغلو فيهم، وادِّعاء عصمتهم، والصالحون أَيضًا يتبرؤون من أَن يدَّعوا لأَنفسهم حقًّا من حقوق ربهم الخاصة، كما قال الله عن عيسى ﷺ: ﴿ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ [المائدة: ١١٦].

* **واعلم أَنَّ الحقوق ثلاثة:**

حقٌّ خاص لله لا يشاركه فيه مشارك وهو التألُّه له وعبادته وحده لا شريك له، والرغبة والإِنابة إِليه حبًّا وخوفاً ورجاءً.

وحقٌّ خاص للرسل وهو توقيرهم وتبجيلهم والقيام بحقوقهم الخاصة.

وحقٌّ مشترك وهو الإِيمان بالله ورسله وطاعة الله ورسله ومحبة الله ومحبة رسله، ولكن هذه لله أَصلاً وللرسل تبعاً لحقِّ الله.

فأَهل الحقِّ يعرفون الفرقان بين هذه الحقوق الثلاثة، فيقومون بعبودية الله وإِخلاص الدِّين له، ويقومون بحقِّ رسله وأَوليائه على اختلاف منازلهم ومراتبهم. والله أَعلم.

بـــاب

ما جاء في التغليظ فيمن عبدَ الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟

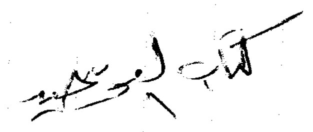
في الصحيح عن عـائشـة أنَّ أُم سَلمَـة ذكَرتْ لـرسـول الله ﷺ كنيسـةً رأتها بـأَرضِ الحبشـة وما فيهـا من الصُّـورِ، فقـال: «**أُولـٰئِكِ إذا مـاتَ فيهم الـرجل الصـالح ـ أَو العبـدُ الصالح ــ بَنَـوا على قبره مسجداً وصَـوَّرُوا فيه تلكَ الصُّـوَرَ، أُولـٰئِكِ شِرَارُ الخلـقِ عند الله**»[1]. فهؤلاءِ جَمَعُـوا بينَ الفتنتين: فتنة القبـور وفتنة التماثيل.

ولهما[2] عنهـا قالـت: لما نُزِل بـرَسـولِ الله ﷺ طَفِقَ يطـرح خميصَةً لـه على وجهه، فإذا اغْتَمَّ بها كشفها فقال وهو كذلك: «**لَعْنَةُ الله على اليهود والنصارىٰ، اتَّخذُوا قبورَ أَنبيـائهم مسـاجدَ**»، يُحَذِّر ما صنعـوا، ولولا ذلك أُبْـرِزَ قَبرُه، غير أَنَّه خَشيَ أَن يُتَّخَذَ مسجداً. أَخرجاه.

ولمسلم عن جَنـدُبِ بن عبـدالله قـال: سمعتُ النبي ﷺ قبل أَنْ يمـوتَ بخمسٍ وهو يقول: «**إنِّي أَبْرأُ إلىٰ الله أَن يكونَ لي منكم خليـلٌ، فإنَّ الله قد اتَّخَذَني خليلاً، كما اتَّخَذَ إبراهيمَ خليلاً. ولو كنتُ مُتَّخِذاً من أُمَّتي خليلاً لاتخذتُ أَبا بكرٍ خليـلاً، أَلا وإنَّ من كانَ قبلكم كـانوا يتخـذون قبـور أَنبيائهم مسـاجدَ، أَلا فـلا**

ب الصلاة بـاب هل تنبش قبـور مشركي الجاهلية ويتخـذ مكانها مسـاجد م (٤١٧). ومسلم: كتاب المساجد ومـواضع الصلاة باب النهي عن بناء إتخاذ الصـور فيهـا والنهي عن اتخاذ القبـور مساجـد (١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦)

ب الصـلاة بـاب الصـــلاة في البيعـة (١/ ١٦٨) حـديث رقم (٤٢٥). ـد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجـد على القبور واتخاذ الصور قبور مساجد (١/ ٣٧٧) حديث رقم (٥٣١) عن عائشة وابن عباس.



تتخذوا القبور مساجد، فإنِّي أَنهاكم عن ذلك»[١].

فقَدْ نهىٰ عنه في آخر حياته ثم إِنه لعنَ ـ وهو في السياق ـ مَن فعله. والصلاةُ عندها من ذلك، وإِنْ لم يُبْنَ مسجدٌ، وهو معنى قولها: خشِيَ أَن يُتَّخَذَ مسجداً. فإِنَّ الصحابة لم يكونوا ليبنوا حولَ قبرِه مسجداً وكل موضع قُصِدَت الصلاةُ فيه فقد اتُّخِذَ مسجداً، بل كل موضع يُصَلَّى فيه يُسمَّى مسجداً كما قال ﷺ: «**جُعِلَتْ لِيَ الأَرضُ مَسجداً وطَهُوراً**»[٢].

ولأَحمد بسندٍ جيِّدٍ عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «**إِنَّ من شِرَارِ النَّاسِ من تُدْرِكُهُمُ الساعة وهم أَحياء، والذين يَتَّخذونَ القبورَ مساجدَ**». ورواه أَبو حاتم في صحيحه[٣].

□ **فيه مسائل:**

- **الأولى:** ما ذكرَ الرسول فيمن بنى مسجداً يُعبَد الله فيه عند قبر رجل صالح ولو صحَّت نية الفاعل.
- **الثانية:** النهي عن التماثيل وغلظ الأَمر في ذلك.
- **الثالثة:** العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك. كيف بيَّنَ لهم هذا أَولاً، ثم قبل موته بخمسٍ قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتفِ بما تقدَّم.

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها (١/ ٣٧٧، ٣٧٨) حديث رقم (٥٣٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «جُعلت لي الأَرض مسجداً وطهوراً» (١/ ١٦٨) حديث رقم (٤٢٧) ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (١/ ٣٧٠ ـ ٣٧١) حديث رقم (٥٢١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) (المسند) ١/ ٤٣٥ وابن حبان كما في (موارد الظمآن) ص ١٠٤ حديث رقم (٣٤٠) و (٣٤١) ولم يسق لفظ الطريق الثاني، قال ابن تيمية (اقتضاء الصراط المستقيم) ٢/ ٦٧٤: (وروى الإمام أحمد في مسنده بإسناد جيد عن عبد الله بن مسعود... الحديث).

• الرابعة : نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

• الخامسة : أنَّه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم .

• السادسة : لعنه إيَّاهم على ذلك .

• السابعة : أنَّ مراده تحذيره إيانا عن قبره .

• الثامنة : العلة في عدم إبراز قبره .

• التاسعة : في معنى اتخاذها مسجداً .

• العاشرة : أنَّه قَرَنَ بين من اتَّخَذَها مسجداً ، وبين من تقوم عليهم الساعة ، فذكر الذريعة إلىٰ الشرك قبل وقوعه مع خاتمته .

• الحادية عشرة : ذكره في خطبته قبل موته بخمس : الردّ على الطائفتين اللتين هما أَشرُّ أَهلِ البدع ، بل أَخرجهم بعض أَهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة ، وهما الرافضة والجهمية . وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد .

• الثانية عشرة : ما بُلي به ﷺ من شدة النزع .

• الثالثة عشرة : ما أُكْرِمَ به من الخلَّة .

• الرابعة عشرة : التصريح بأَنَّها أعلىٰ من المحبَّة .

• الخامسة عشرة : التصريح بأَنَّ الصدِّيق أَفضل الصحابة .

• السادسة عشرة : الإشارة إلىٰ خلافته .



بـــاب

ما جاء أَنَّ الغلو في قبور الصالحين يصيِّـرها أوثاناً تُعبَدُ من دون الله

روىٰ مـالكٌ في المُوطَّأ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قـال: «اللهُمَّ لا تجعل قبري وَثَناً يُعْبَدُ، اشتدَّ غضب الله على قومٍ اتخذوا قبور أَنبيائهم مساجد»(١).

ولابن جرير (٢) بسنده عن سُفيان عن منصور عن مجاهد:

﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩].

قال: كان يَلُتُّ لهم السويقَ، فمات فعكفُوا على قبره.

وكذا قال أَبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يَلتُّ السَّويقَ للحاجِّ(٣).

وعن ابن عبـــاس رضي الله عنهما قـــال: «لَعَنَ رســـول الله ﷺ زَائِرَاتِ القُبُور، والمتَّخِذينَ عليها المساجِدَ والسُّرُجَ». رواه أَهل السنن(٤).

---

(١) (الموطأ ـ مع تنوير الحوالك) ١/ ١٨٥ ـ ١٨٦ (جامع الصلاة) مرسلاً.

(٢) (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ٢٧/ ٣٥.

(٣) رواه البخاري: كتاب التفسير باب (﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ﴾)، (٤/ ١٨٤١) حديث رقم (٤٥٧٨).

(٤) رواه أبـو داود (السنن) ٣/ ٥٥٨ (كتـاب الجنائز) (بـاب في زيـارة النساء القبـور) حـديث رقم ٣٢٣٦ والترمـذي (السنن) ٢/ ١٣٦ ـ ١٣٧ (كتـاب الصلاة) (بـاب مـا جاء في كـراهية أن يتخـذ على القبر مسجـداً). حديث رقم (٣٢٠) وقـال: حـديث حسن. اهـ. وتعقبه المنـذري في (مختصر سنن أبي داود) ٤/ ٣٤٩ بقوله: (وفيما قـاله نظر). ثم حكى أقوال الأئمة في تضعيف أبي صالح بـاذام ـ ويقال بـاذان ـ مـولى أم هانـئ بنت أبي طالـب. وقال ابـن حجر (تقـريب التهـذيب) ١/ ٩٣ في تـرجمتـه: (ضعيف مدلس). والحديث رواه ـ أيضاً ـ النسـائي (السنن) ٤/ ٩٤ ـ ٩٥ (كتاب الجنائز) (بالتغليظ في اتخاذ السرج على القبور) وابن ماجـه (السنن) ١/ ٥٠٢ (كتاب الجنائز) (باب مـا جاء في النهي عن زيارة النساء القبور) حديث ١٥٧٥ دون قوله (والمتخذين . . .) من طريق باذام.

وقال الألبـاني (قد جـاء غالب الحديث من طـرق أخرى: فلعن زائرات القبـور رواه ابن ماجـة ولعن المتخذين على القبور المساجد متواتـر عنه ﷺ). (سلسلة الأحاديث الضعيفة) ١/ ٢٥٩ حديث رقم ٢٢٥.

□ فيــــه مســــائل :

• الأولــى : تفسير الأَوثان .

• الثانيـة : تفسير العبادة .

• الثـالثـة : أَنَّه ﷺ لم يستعذ إلاَّ مما يخاف وقوعه .

• الـرابعـة : قرنه بهذا اتخاذ قبور الأَنبياء مساجد .

• الخامسـة : ذكر شدة الغضب من الله .

• السادسة : ــ وهي من أَهمها ــ صفة معـرفـة عبادة الـلاَّت التي هي من أَكبر الأَوثان .

• السابعـة : معرفة أَنَّه قبر رَجُلٍ صالح .

• الثـامنـة : أَنَّه اسم صاحب القبر وذكر معنى التسمية .

• التـاسعـة : لعنه زوارات القبور.

• العــاشرة : لعنه من أَسرجها .

[التعليــــق :]

بـــــاب :

ما جاء من التغليظ فيمن عبدَ الله عِندَ قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟

بـــــاب :

ما جاء أَنَّ الغلو في قبور الصالحين يصيرها أَوثاناً تُعبَدُ من دون الله

ما ذكـر المصنف في البابين يتضح بذكـر تفصيل القول فيما يُفعَل عنـد قبور الصالحين وغيرهم .

وذلكَ أَنَّ ما يُفعَل عندها نوعان : مشروع وممنوع .

أَمَّا المشروع فهـو ما شرعه الشـارع من زيارة القبور على الـوجه الشرعي من غير شدّ رحل ، يزورها المسلم متبعاً للسنة فيدعـو لأَهلها عموماً ولأَقاربه ومعارفه خصـوصاً فيكـون محسناً إِليهم بـالـدعاء لهم وطلب العفـو والمغفرة والـرحمة لهم ،

ومحسناً إلىٰ نفسه باتباع السنة وتذكُّر الآخرة والاعتبار بها والاتعاظ.

أما الممنوع فإنَّه نوعان :

أحدهما : محرَّم ووسيلة للشرك كالتمسح بها والتوسل إلىٰ الله بأَهلها، والصلاة عندها، وكإسراجها والبناء عليها، والغلو فيها وفي أَهلها إذا لم يبلغ رتبة العبادة.

والنوع الثاني : شرك أَكبر كدعاء أَهل القبور والاستغاثة بهم وطلب الحوائج الدنيوية والأُخروية منهم، فهذا شرك أَكبر، وهو عين ما يفعله عُبَّاد الأَصنام مع أَصنامهم.

ولا فرقَ في هذا بين أَن يعتقد الفاعل لذلك أَنَّهم مستقلون في تحصيل مطالبه، أَو متوسطون إلىٰ الله، فإِنَّ المشركين يقولون :

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر : ٣]. ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس : ١٨].

فمن زعمَ أَنَّه لا يَكْفُر من دعا أَهلَ القبور حتى يعتقد أَنَّهم مستقلون بالنفع ودفع الضرر، وأَنَّ من اعتقد أَنَّ الله هو الفاعل وأَنهم وسائط بين الله وبين من دعاهم واستغاث بهم [لم] يكفر. من زعم ذلك فقد كذَّبَ ما جاء به الكتاب والسنة، وأَجمعَت عليه الأُمة من أَنَّ من دعا غير الله فهو مُشرِكٌ كافرٌ في الحالين المذكورين سواء اعتقدهم مستقلين أَو متوسطين.

وهذا معلوم بالضرورة من دينِ الإسلام. فعليكَ بهذا التفصيل الذي يحصل به الفرقان في هذا الباب المهم الذي حصل به من الاضطراب والفتنة ما حصلَ، ولم ينجُ من فتنته إلاَّ من عرفَ الحقّ واتبعه.

❧❧❧

بـــاب

ما جاء في حماية المصطفى ﷺ

جناب التوحيد وسدّه كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

[التوبة: ١٢٨، ١٢٩]

عن أَبي هريـرة رضي الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلُوا بيوتكم قُبوراً، ولا تجعلـوا قبري عيداً، وصلُّوا عَلَيَّ، فـإِنَّ صلاتكم تبلُغني حيث كُنتم**». رواه أَبو داود بإِسناد حسن[1]. ورواته ثقاتٌ.

وعن علي بن الحسين رضي الله عنـه: أَنَّه رأىٰ رجُـلاً يجيء إلىٰ فُرجةٍ كـانت عندَ قبر النبيِّ ﷺ، فَيدْخُلُ فيها فيدعو فنهاه، وقال: أَلا أُحَدِّثكم حديثاً سمعته من أَبي عن جدي عن رسـول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيـداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلُّوا عليَّ فإِنَّ تسليمكم يبلُغُني حيث كنتم**». رواه في المختارة[2].

(١) (السنن) ٢/ ٥٣٤ (كتاب المناسك) (باب في زيارة القبور) حديث رقم ٢٠٤٢ قال شيخ الإسلام ابن تيميـة (اقتضاء الصراط المستقيم) ص ٣٢١ عقب ذكـره للحـديث بإسناد أبي داود: (وهـذا إسنـاده حسن، فإن رواتـه كلهم ثقـات مشـاهير لكن عبـد الله بن نـافع الصـائغ الفقيـه المدني صاحب مالك فيه لين لا يقدح في حديثـه) وصحح النووي إسناده في (الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ) ص ١٠٦، وفي تصحيح إسنـاده نظر، لأن فيه (عبد الله بن نـافع) وهو ابن أبي نافع الصائغ قال فيه الحافظ ابن حجـر (تقريب التهذيب) ١/ ٤٥٦: (ثقة صحيح الكتاب وفي حفظه لين).

(٢) (الأحاديث المختارة) للضياء المقدس ٢/ ٤٩ حـديث رقم ٤٢٨ دون قوله (وصلوا عليّ. . .) وفي إسنـاده (علي بن عمـر) وهو ابـن علي بن الحسين قال ابن حجـر (تقـريب التهـذيب) ٢/ ٤١: (مستور). ونسبـه في المطبوع (علي بن عمر بن الحسين وجـاء في أصله (تهذيب الكمال) ٢/ ٩٨٦ (علي بن عمر بن علي بن الحسين).

□ فيـــه مســـائل :

• **الأولــى :** تفسير آية براءة .

• **الثانيــة :** إبعاده أُمَّته عن هذا الحمى غاية البعد .

• **الثــالثــة :** ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته .

• **الـرابعـة :** نهيه عـن زيارة قبره على وجه مخصـوص ، مع أَنَّ زيارتـه من أَفضل الأَعمال .

• **الخامســة :** نهيه عن الإِكثار من الزيارة .

• **السادسة :** حَثُّه على النافلة في البيت .

• **السابعة :** أَنَّه متقرر عندهم أَنَّه لا يصلى في المقبرة .

• **الثـامنــة :** تعليل ذلك بـأَنَّ صلاة الرجل وسـلامه عليـه يبلغه وإِنْ بعُـدَ ، فلا حاجة إِلىٰ ما يتوهمه من أَراد القرب .

• **التـاسعـة :** كونه ﷺ في البرزخ تعرض أَعمال أُمته في الصلاة والسلام عليه .

[التعليـــق :]

بــــاب :

ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التـوحيد وسده كل طريق يوصل إِلىٰ الشرك

من تـأَمَّل نصوص الكتـاب والسنة في هـذا الباب رأىٰ نصـوصاً كثيرة تحثُّ على القيام بكل مـا يقوي التوحيد وينميـه ويغذيه ، من الحث على الإِنـابة إِلىٰ الله وانحصار تعلُّق القلب بالله رغبة ورهبة ، وقـوة الطمع في فضله وإِحسانه والسعي لتحصيل ذلك ، وإِلىٰ التحـــرر من رق المخلـوقين وعـدم التعلُّق بهم بـــوجـهٍ من الوجوه ، أَو الغلوّ في أَحد منهم ، والقيام التام بالأَعمال الظاهرة والباطنة وتكميلها وخصوصاً حثّ النصوص على روح العبودية وهو الإِخلاص التام لله وحده .

ثم في مقابلة ذلك نهىٰ عن أَقوال وأَفعـال فيها الغلو بالمخلوقين ، ونهى عن التشبُّه بالمشركين لأَنَّه يدعو إِلىٰ الميل إِليهم .

ونهىٰ عن أَقوال وأَفعال يخشى أَن يتوصل بها إِلىٰ الشرك كل ذلك حماية للتوحيد.

ونهى عن كل سبب يوصل إِلىٰ الشرك، وذلك رحمةً بالمؤمنين ليتحققوا بالقيام بما خلقوا له من عبودية الله الظاهرة والباطنة وتكميلها، لتكمل لهم السعادة والفلاح.

وشواهد هذه الأُمور كثيرة معروفة.



بـــاب
ما جاءَ أَنَّ بعض هذه الأُمة يعبد الأوثان

وقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ .

[النساء : ٥١]

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ ﴾ [المائدة : ٦٠] .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ .

[الكهف : ٢١]

عن أَبي سعيدٍ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال : **«لتتبعنَّ سَنَنَ من كان قبلكم ، حذْو القُذَّةِ بالقذة ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضبٍّ لدخلتمُوهُ»** . قالوا : يا رسول الله : اليهود والنصارى؟ قال : «فَمَن؟» . أخرجاه(١) .

ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال : **«إِنَّ الله زوىٰ لي الأَرض فرأيتُ مشارقها ومغاربها ، وإِنَّ أُمتي سيبلغُ مُلكُها ما زُوي لي منها ، وأُعطيتُ الكنزين : الأَحمرَ والأَبيض ، وإِني سأَلتُ ربِّي لأُمَّتي أَن لا يُهلِكها بسنةٍ بعَامة ، وأَن لا يُسَلِّطَ عليهم عدُوًّا من سِوى أَنفسِهِم ، فيستبيح بيضتَهُمْ ، وإِنَّ ربي قال : يا محمد ، إِنِّي إِذا قضيتُ قضاءً فإِنَّه لا يُرَدُّ ، وإِنِّي أَعطيتك لأُمَّتكِ أَن لا أُهلكهم بسنةٍ بعامةٍ ، وأَن لا أُسلِّطَ عليهم عدوًّا من سِوىٰ أَنفسِهم فيستبيح**

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ : «لتتبعن سنن من كان قبلكم» (٦/ ٢٦٦٩) حديث رقم (٦٨٨٩) . ومسلم : كتاب العلم ، باب اتباع سنن اليهود والنصارىٰ (٤/ ٢٠٥٤) حديث رقم (٢٦٦٩) .

بيضتهم، ولو اجتمعَ عليهم من بأَقطارها، حتى يكون بعضُهُم يُهلِكُ بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً»(١).

ورواهُ البرقاني في صحيحه، وزاد: «وإِنَّما أَخافُ على أُمَّتي الأَئمَّة المُضلِّين، وإِذَا وقعَ عليهم السيف لم يُرفعْ إِلىٰ يوم القيامة، ولا تقوم الساعةُ حتى يلحقَ حيٌّ من أُمَّتي بالمشركين، وحتى تعبُدَ فِئَامٌ من أُمَّتي الأَوثان، وإِنَّه سيكون في أُمتي كذَّابون ثلاثون، كلهم يَزْعُمُ أَنَّه نبيٌّ، وأَنَا خاتَمُ النبيين، لانبيَّ بعدي، ولا تزال طائفةٌ من أُمَّتي على الحقِ منصورةٌ، لا يَضُرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أَمرُ الله تبارك وتعالى»(٢).

□ **فيه مسائل:**

• **الأولى:** تفسير آية النساء.

• **الثانية:** تفسير آية المائدة.

• **الثالثة:** تفسير آية الكهف.

• **الرابعة:** ــ وهي أَهمُّها ــ: ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع؟ هو اعتقاد قلب؟ أَو هو موافقة أَصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟.

• **الخامسة:** قولهم: إِنَّ الكفَّار الذين يعرفون كفرهم أَهْدىٰ سبيلاً من المؤمنين.

• **السادسة:** ـ وهي المقصود بالترجمة ــ أَنَّ هذا لابدَّ أَن يوجد في هذه الأُمة كما تقرر في حديثِ أَبي سعيدٍ.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الفتن وأَشراط الساعة، باب هلاك الأُمة بعضهم ببعض (٤/ ٢٢١٥) حديث رقم (٢٨٨٩).

(٢) هذه الزيادة رواها من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ أَبو داود: (السنن) ٤/ ٤٥١ ـ ٤٥٢ (باب في ذكر الفتن ودلائلها) حديث رقم (٤٢٥٢) وابن ماجه: (السنن) ٢/ ١٣٠٤ (كتاب الفتن) (باب ما يكون في الفتن) حديث رقم (٣٩٥٢) والإمام أحمد (المسند) ٥/ ٢٧٨ و٢٨٤. والحديث سكت عنه أبو داود ثم المنذري في (مختصر سنن أبي داود) ٦/ ١٣٦ ـ ١٣٨.

• **السابعة :** تصريحه بوقوعها : أُعني عبادة الأَوثان في هذه الأُمة في جموع كثيرة .

• **الثامنة :** العجب العجاب : خروج من يدَّعي النبوة مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأَنَّه من هذه الأُمَّة ، وأَنَّ الرسول حقّ ، وأَنَّ القرآن حقّ ، وفيه أَنَّ محمداً خاتَمُ النبيين ، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح ، وقد خرجَ المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثيرة .

• **التاسعة :** البشارة بأَنَّ الحقّ لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى ، بل لا تزال عليه طائفة .

• **العاشرة :** الآيــة العظمى : أَنَّهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم .

• **الحادية عشرة :** أَنَّ ذلك الشرط إِلىٰ قيام الساعة .

• **الثانية عشرة :** ما فيه من الآيات العظيمة منها :

إِخباره بأَنَّ الله زوى له المشارق والمغارب ، وأَخبرَ بمعنى ذلك فوقع كما أَخبرَ بخلاف الجنوب والشمال .

وإِخباره بأَنَّه أُعطي الكنزين .

وإِخباره بإِجابة دعوته لأُمته في الاثنتين .

وإِخباره بأنه مُنع الثالثة .

وإِخباره بوقوع السيف ، وأنه لا يرفع إذا وقع .

وإِخباره بإِهلاك بعضهم بعضاً ، وسبي بعضهم بعضاً ، وخوفه على أُمَّته من الأَئمة المضلين .

وإِخباره بظهور المتنبئين في هذه الأُمة .

وإِخباره ببقاء الطائفة المنصورة .

وكل هذا وقعَ كما أَخبرَ مع أَنَّ كل واحدةٍ منها من أَبعد ما يكون في العقول .



• **الثالثة عشرة :** حصر الخوف على أُمته من الأَئمة المضلين .

• **الرابعة عشرة :** التنبيه على معنى عبادة الأَوثان .

[التعليق :]

بـــاب:
ما جاء أَنَّ بعض هذه الأُمَّة يعبُدُ الأَوثان

مقصود هـذه الترجمة الحذر من الشرك والخوف منه ، وأَنَّه أَمـرٌ واقعٌ في هذه الأُمة لا محالـة ، والرد على من زَعمَ أَنَّ من قال : لا إلٰه إلاَّ الله ، وتسمَّى بـالإِسلام أَنَّه يبقـىٰ على إِسلامه ولـو فعل ما ينـافيه مـن الاستغاثة بـأَهل القبور ودعـائهم ، وسمَّى ذلك توسُّلاً لا عبادة فإِنَّ هذا باطل .

فـإِنَّ الـوثن اسم جـامـع لكل مـا عُبِـدَ من دون الله لا فـرقَ بين الأَشجـار والأَحجار والأَبنيـة ، ولا بين الأَنبياء والصالحين والطـالحين في هذا الموضع ــ وهو العبادة ــ فإِنَّها حقّ الله وحـده ، فمن دعَا غير الله أَو عبـده فقد اتخذه وثنـاً وخرجَ بـذلك عن الدِّين ، ولم ينفعـه انتسابـه إِلىٰ الإِسلام ، فكم انتسبَ إِلىٰ الإِسـلام من مشركٍ وملحِـدٍ وكافـر ومنافق والعبرة بـروح الدين وحقيقتـه لا بمجرد الأَسَـامي والأَلفاظ التي لا حقيقة لها .



بــاب
مـا جـاء في السحــر

وقولِ الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴾ . [البقرة : ١٠٢]

وقوله : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ [النساء : ٥١] .

قال عمرُ: الجِبتُ : السِّحْر، والطَّاغوتُ : الشيطانُ(١) .

وقـال جابـرٌ: «الطَّواغيتُ كُهَّـانٌ كـان يَنزل عليهم الشيطـان، في كلِّ حَيٍّ واحدٌ»(٢) .

وعن أَبي هـريـرة رضي الله عنـه ، أَنَّ رسـول الله ﷺ قـال : **«اجتنبِـوا السَّبْعَ الموبِقَاتِ»** قـالـوا : يا رسـول الله ومـا هُنَّ؟ قـال : **«الشِّرْكُ بالله ، والسحـرُ، وقتلُ النفْس التي حـرَّمَ الله إلاَّ بـالحقِّ ، وأَكلُ الــرّبـا ، وأَكل مـال اليتيم ، والتَّـوَلِّي يـومَ الزَحْفِ ، وقذفُ المحصناتِ الغافلات المؤمنات»**(٣) .

---

(١) رواه البخـاري (الصحيح) ٤/ ١٦٧٣ (كتـاب التفسير) (باب وإن كنتم مـرضى أو على سفـر أو جاء أحـد منكم من الغـائط) [سورة المائدة : ٦] معلقاً قـال ابن حجر (فتـح الباري) ٨/ ٢٥٢ : (وصله عبد بن حميد في تفسيره، ومسدد في مسنـده، وعبد الرحمن بن رستة في كتاب الإيمان . . . وإسناده قوي . اهـ) .

(٢) رواه البخاري (الصحيح) ٤/ ١٦٧٣ (كتـاب التفسير) (باب وإن كنتم مرضى . . .) معلقاً قال ابن حجر (فتح الباري) ٨/ ٢٥٢ : (وصله ابن أبي حاتـم . . . فذكره وسكت عنه ، وكذا سكت عنه في (تغليق التعليق) ٤/ ١٩٥ .

(٣) رواه البخاري : كتاب الـوصايا باب قـول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (٣/ ١٠١٧ ، ١٠١٨) حـديث رقم (٢٦١٥) . ومسلم : كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها (١/ ٩٢) حديث رقم (٨٩) .

وعن جُنْدَبٍ مرفوعاً: «حَدُّ الساحِرِ ضَرْبةُ بالسَّيْفِ». رواه الترمذي. وقال: الصحيحُ أَنَّه موقوف(١).

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال: كتبَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أَن اقتلُوا كلَّ ساحِرٍ وساحرةٍ، قال: فقتلنا ثلاث سواحِر(٢).

وصحَّ عن حفصة رضي الله عنها أَنَّها أمرتْ بقتلِ جارية لها سَحرتها، فَقُتِلَتْ(٣). وكذلك صحَّ عن جُنْدَبٍ(٤). قال أَحمد: عن ثلاثة من أَصحاب النبي ﷺ.

□ **فيه مسائل:**

- **الأولى:** تفسير آية البقرة.
- **الثانية:** تفسير آية النساء.
- **الثالثة:** تفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما.

---

(١) (سنن الترمذي) ٤/ ٦٠ (كتاب الحدود) (باب ما جاء في حد الساحر) حديث رقم ١٤٦٠ وقال: (هذا حديث لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث... والصحيح عن جندب موقوف). وضعف المرفوع ـ أيضاً ـ الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) ١٠/ ٢٣٦ وقال: (في سنده ضعف. اهـ).

(٢) رواه البخاري: كتاب فرض الخمس باب الجزية والموادعة مع أَهل الذمة والحرب (٣/ ١١٥١) حديث رقم (٢٩٨٧). لكن لم يذكر قتل السواحر، أَما الحديث بلفظه فقد رواه أَحمد (١/ ١٩٠ ـ ١٩١) وأَبو داود: كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في أَخذ الجزية من المجوس (٣/ ٤٣١) حديث رقم (٣٠٤٣)، وصححه الأَلباني في صحيح أَبي داود (٢٦٢٤).

(٣) رواه البيهقي (السنن الكبرى) ٨/ ١٣٦ (كتاب القسامة) (باب تكفير الساحر وقتله إن كان ما يسحر به كلام كفر صريح).

(٤) قال البخاري (التاريخ الكبير) ٢/ ٢٢١ في ترجمة (جندب بن كعب): (قاتل الساحر) ثم روى بسنده قال: حدثنا إسحاق حدثنا خالد الواسطي عن خالد الحذاء عن أبي عثمان كان عند الوليد رجل يلعب فذبح إنساناً وأبان رأسه فعجبنا، فأعاد رأسه فجاء جندب الأزدي فقتله. وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات. ورواه ـ أيضاً ـ البيهقي (السنن الكبرى) ٨/ ١٣٦ (كتاب القسامة) (باب تكفير الساحر وقتله إن كان ما يسحر به كلام كفر صريح).

• **الرابعة :** أَنَّ الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الإنس .

• **الخامسة :** معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي .

• **السادسة :** أَنَّ الساحر يكفر.

• **السابعة :** أَنَّه يقتل ولا يُستتاب .

• **الثامنة :** وجود هذا في المسلمين على عهد عمر فكيف بعده؟ .

بـــاب

بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد : حدَّثنا محمد بن جعفر، حدَّثنا عُوفٌ عن حيَّان بن العلاءِ، حدَّثنا قطنُ بن قُبيصة عن أَبيه، أنَّه سمعَ النبي ﷺ قال: **«إنَّ العِيافة والطَّرْق والطِّيرة مِن الجِبْتِ»**.

قال عوفٌ: العِيافةُ: زَجْرُ الطَيْرِ، والطَّرْقُ: الخَطُّ يُخَطُّ بالأَرض. والجبتُ: قال الحسنُ: إنّه الشيطانَ. إسناده جيد.

ولأَبي داود والنسائي وابن حِبَّان في صحيحه المُسْنَدُ منه(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن اقتبسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجومِ فقد اقتبسَ شُعبَةً من السِّحرِ، زاد ما زاد»**. رواه أَبو داود وإسناده صحيحٌ(٢).

---

(١) رواه الإمام أحمد (المسند) ٣/ ٤٧٧ و٥/ ٦٠ كما ذكر المؤلف، وأبو داود في (السنن) ٤/ ٢٢٨ (كتاب الطب) (باب في الخط وزجر الطير) حديث رقم ٣٩٠٧، والنسائي في (الكبرى) في (كتاب التفسير) كما في (تحفة الأشراف) ٨/ ٢٧٥ وابن حبان (موارد الظمآن) ص ٣٤٥ حديث رقم (١٤٢٦) قال النووي (رياض الصالحين) ص ٥٩١ حديث رقم ١٦٧٨ : (رواه أبو داود بإسناد حسن). وضعفه بالإضطراب الألباني في (غاية المرام في تخريج الحلال والحرام) ص ١٨٤ لاختلاف الرواة في إسناده عن عوف ـ وهو ابن أبي جميلة ـ حيث قال بعضهم: (حيان) لم ينسبه، وقال بعضهم: (حيان أبي العلاء)، وقال بعضهم: (حيان بن العلاء)، وقال بعضهم: (حبان بن مخارق أبي يعلى).

(٢) (السنن) ٤/ ٢٢٦ (كتاب الطب) (باب في النجوم) حديث رقم ٣٩٠٥ ولفظه: (من اقتبس علماً من النجوم) ولم يقل (شعبة)، ورواه ـ أيضاً ـ ابن ماجة (السنن) ٢/ ١٢٢٨ (كتاب الأدب) (باب تعلم النجوم). قال النووي (رياض الصالحين) ص ٥٩١ حديث رقم (١٦٧٩): (رواه أبو داود بإسناد صحيح). وقال مثله الذهبي كما عزاه إليه المناوي في (فيض القدير) ٦/ ٨٠ وذكر أنه في (الكبائر)، وقد ذكر الإمام الذهبي هذا الحديث في (الكبائر) في (الكبيرة السادسة والأربعون) ولم أقف على ما نسبه إليه المناوي ـ رحمه الله ـ.

وللنسائي من حديث أَبي هريرة : «من عقدَ عُقْدَةً ثم نَفثَ فيها فقد سحرَ، ومن سحرَ فقد أَشركَ. ومن تعلَّقَ شيئاً وُكِلَ إِليه»[(١)].

وعن ابن مسعود أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «أَلاَ هل أُنبِّئُكم ما العَضهُ؟ هي النَّميمةُ، القالةُ بين الناس». رواه مسلم[(٢)].

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ من البيانِ لَسِحراً»[(٣)].

□ فيه مسائل:

- **الأولى :** أَنَّ العيافة والطرق والطيرة من الجبت.
- **الثانية :** تفسير العيافة والطرق.
- **الثالثة :** أَنَّ علم النجوم نوع من أَنواع السحر.
- **الرابعة :** أَنَّ العقد مع النفث من ذلك.
- **الخامسة :** أَنَّ النميمة من ذلك.
- **السادسة :** أَنَّ من ذلك بعض الفصاحة.

---

(١) (السنن) ٧/ ١١٢ (كتاب تحريم الدم) (الحكم في السحرة) حديث رقم ٤٠٧٩ قال الذهبي (ميزان الاعتدال) ٢/ ٣٧٨: (هذا الحديث لا يصح للين عباد، وانقطاعه). يريد بالانقطاع رواية الحسن له عن أبي هريرة، ولقوله (من تعلق شيئاً وكل إليه). شاهد من حديث عبد الله بن عكيم يرتقي به المنزلة الحسن لغيره وقد تقدم (باب ما جاء في الرقى والتمائم).

(٢) رواه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم النميمة (٤/ ٢٠١٢) حديث رقم (٢٦٠٦) وزاد فيه: (وأن محمداً ﷺ قال: أن الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، ويكذب حتى يكتب كذاباً).

(٣) رواه البخاري: كتاب النكاح باب الخطبة (٥/ ١٩٧٦) حديث رقم (٤٨٥١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. ومسلم: كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة (٢/ ٥٩٤) حديث رقم: (٨٦٩) عن عمار بن ياسر رضي الله عنه.

[التعليـــق :]

بـــاب السحـــر

وباب شيء من أَنواع السحر

وجه إِدخال السحر في أَبواب التوحيد أَنَّ كثيراً من أَقسامه لا يتأتى إِلاَّ بالشركِ والتوسل بالأَرواح الشيطانية، إِلىٰ مقاصد الساحر فلا يتم للعبد توحيد حتى يدع السحر كله قليله وكثيره.

ولهذا قرنه الشارع بالشرك، فالسحر يدخل في الشرك من جهتين:

من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ومن التعلُّق بهم وربما تقرب إِليهم بما يحبون ليقوموا بخدمته ومطلوبه.

ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله في علمه وسلوك الطرق المفضية إِلىٰ ذلك، وذلك من شعب الشرك والكفر.

وفيه أَيضاً من التصرفات المحرَّمة والأَفعال القبيحة كالقتل والتفريق بين المتحابين والصرف والعطْفِ والسعي في تغيير العقول، وهذا من أَفظع المحرمات، وذلك من الشرك ووسائله ولذلك تعيَّن قتل الساحر لشدة مضرته وإِفساده.

ومن أَنواعه الواقعة في كثير من الناس النميمة، لمشاركتها للسحر في التفريق بين الناس، وتغيير قلوب المتحابين وتلقيح الشرور.

فالسحر أَنواع ودركات بعضها أَقبح وأَسفل من بعض.



بـــاب
ما جاء في الكُهَّان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه عن بعض أَزواج النبيِّ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**مَن أَتىٰ عَرَّافاً فسأله عن شيء فصدَّقه لم تُقبَل له صلاة أَربعين يوماً**»(١).

وعن أَبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: «**مَن أَتىٰ كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفرَ بما أُنزِلَ على محمدٍ ﷺ**». رواه أَبو داود(٢).

وللأَربعةِ والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما، عن (٣): «**من أَتىٰ عرَّافاً أَو كاهناً فصدَّقَه بما يقول فقد كفرَ بما أُنزِلَ على محمد ﷺ**»(٤).

ولأَبي يَعْلىٰ بسندٍ جيد عن ابن مسعودٍ مثلُهُ موقوفاً.

---

(١) رواه مسلم: كتاب السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكهَّان (٤/ ١٧٥١) حديث رقم: (٢٢٣٠). دون زيادة لفظة «فصدقه» وهي عند أَحمد (٤/ ٦٨) (٥/ ٣٨٠).

(٢) (السنن) ٤/ ٢٢٥ (كتاب الطب) (باب في الكاهن) حديث رقم (٣٩٠٤) قال الترمذي (السنن) ١/ ٢٤٢ حديث (١٣٥): (وضعف محمد هذا الحديث من قبل إسناده). وقال المناوي (فيض القدير) ٦/ ٢٤: (قال البغوي: سنده ضعيف. وهو كما قال. وقال ابن سيد الناس: فيه أربع علل: التفرد عن غير ثقة وهو موجب للضعف، وضعف رواته، والانقطاع، ونكارة متنه. وأطال في بيانه. وقال الذهبي في (الكبائر) ليس إسناده بالقائم... وقال البخاري: لا يعرف لأبي تميمة سماع من أبي هريرة. اهـ).

(٣) قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ في «فتح المجيد» ص٢٥٦: هكذا بيض المصنف لاسم الراوي، وقد رواه أَحمد والبيهقي والحاكم عن أَبي هريرة مرفوعاً.

(٤) ليس هو عند الأربعة بلفظ (من أتى عرافاً أو كاهناً) وإنما رووه بلفظ (من أتى كاهناً) فقط دون ذكر العراف، ولفظ المؤلف رواه الحاكم ــ كما قال ـ (المستدرك) ١/ ٨٨ وقال: (هذا حديث صحيح على شرطهما جميعاً من حديث ابن سيرين ولم يخرجاه). وقال الذهبي: (على شرطهما). وقال المناوي (فيض القدير) ٦/ ٢٣: (قال الحافظ العراقي في أماليه: حديث صحيح، ورواه عنه البيهقي في (السنن) ٨/ ١٣٥ فقال الذهبي: إسناده قوي. اهـ).

وعن عمران بن حُصين مرفوعاً: «لَيْسَ مِنَّا مَن تطيَّرَ أَو تُطُيِّرَ له، أَو تَكَهَّنَ أَو تُكُهِّنَ له، أَو سحر أَو سُحِرَ له، ومن أَتىٰ كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفرَ بِما أُنْزِلَ على محمد ﷺ». رواه البزَّارُ بإسنادٍ جيِّدٍ(١).

ورواه الطَّبراني في الأوسط بإسنادٍ حسنٍ من حديث ابن عباس دون قوله «ومن أَتىٰ» إلىٰ آخرِه(٢).

قال البغويُّ: العَرَّافُ: الذي يَدَّعي معرفة الأُمور بمقدمات يستدلُّ بها على المسروق ومكان الضالَّة ونحو ذلك.

وقيل: هو الكاهنُ. والكاهنُ: هو الذي يُخبِرُ عن المغيبات في المستقبل.

وقيل: الذي يُخْبِرُ عما في الضمير.

وقال أَبو العباس بن تيمية: العَرَّافُ اسمٌ للكاهن والمُنَجِّم والرَّمَّال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأُمور بهذه الطرُقِ.

وقال ابن عباس في قومٍ يكتُبون «أَبا جادٍ» وينظرون في النُّجوم: ماأَرىٰ من فعل ذلك له عند الله من خلاقٍ(٣).

---

(١) رواه الطبراني (المعجم الكبير) ١٠/ ٩٣ حديث رقم (١٠٠٠٥) قال الهيثمي (مجمع الزوائد) ٥/ ١١٨: (... رجال الكبير والبزار ثقات). وقال المنذري (الترغيب والترهيب) ٤/ ٣٦: (رواه البزار وأبو يعلى بإسناد جيد موقوفاً). ولم أقف عليه في (كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي (كتاب الطب) منه.

(٢) كما في (كشف الأستار) ٣/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠ (كتاب الطب) (باب الطيرة والكهانة والسحر) حديث رقم ٣٠٤٤ من طريق شيبان عن أبي حمزة العطار عن الحسن عن عمران بن حصين مرفوعاً وزاد فيه: (ومن عقد عقدة أو قال عُقد عُقدة). قال البزار: (قد روى بعضه من غير وجه فأما بتمامه ولفظه فلا نعلمه إلا عن عمران بهذا الطريق، وأبو حمزة بصري لا بأس به). وقال الهيثمي (مجمع الزوائد) ٥/ ١١٧: (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة. اهـ).
ورواه ـ أيضاً ـ البزار كما في (كشف الأستار) ٣/ ٣٣٩ (كتاب الطب) (باب الطيرة والكهانة والسحر). حديث رقم ٣٠٤٣ من طريق زمعة عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً نحوه. قال البزار: (لا نعلمه يروي عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه). قال الهيثمي (مجمع الزوائد) ٥/ ١١٧: (فيه زمعة بن صالح وهو ضعيف. اهـ).

(٣) رواه عبد الرزاق (المصنف) ١١/ ٢٦ حديث رقم ١٩٨٠٥ نحوه.

□ فيــــه مســـــائل :

• الأولـــى : أنه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن .
• الثـانيـة : التصريح بأنَّه كفر.
• الثـالثـة : ذكر من تُكُهِّنَ له .
• الـرابعـة : ذكر من تُطيِّرَ له .
• الخامسـة : ذكرُ من سُحِرَ له .
• السادسة : ذكْر من تعلَّم أَبا جاد .
• السابعة : ذكر الفرق بين الكاهن والعرَّاف .

[التعليـــق :]

بـــــاب :

ما جاء في الكُهَّان ونحوهم

أَي من كل من يـدَّعي علم الغيب بـأَي طـريق من الطـرق . وذلك أَنَّ الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب ، فمن ادَّعىٰ مشـاركة الله في شيء من ذلك بكهانة أَو عـرافـة أَو غيرهما أَو صـدَّق من ادَّعىٰ ذلـك ، فقـد جعلَ لله شريكـاً فيما هـو من خصائصه ، وقد كذَّبَ الله ورسوله .

وكثير من الكهـانـة المتعلقـة بالشيـاطين لا تخلـو من الشرك ، والتقـرُّب إلىٰ الوسـائط التي تستعين بها على دعوى العلوم الغيبيـة ، فهو شرك من جهـة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختصَّ به ، ومن جهة التقرُّب إلىٰ غير الله .

وفيه إبعاد الشارع للخلق عن الخرافات المفسدة للأَديان والعقول .

بـــاب
ما جاء في النشــرة

عن جــابـر: أَنَّ رسـولَ الله ﷺ سُئِلَ عـن النُّشرةِ فقـال: «هي من عمل الشيطان»(١). رواه أَحمد بسندٍ جيدٍ، وأَبو داود وقال: سُئِلَ أَحمد عنها فقال: ابن مسعود يَكره هذا كلَّه.

وفي البخاري(٢) عن قتـادة: قلتُ لابن المُسيَّب: رجلٌ بـه طبٌّ أَوَ يؤخَـذُ عن امرأته، أَتحلُّ عنه أَو يُنْشَرُ؟ قال: لا بأَسَ به، إِنَّما يريدون به الإِصلاح، فأَما ما ينفع فلم يُنهَ عنه. إِ هـ.

وروُي عن الحسن أَنَّه قال: لا يحلُّ السحرَ إِلاَّ ساحِرٌ.

قال ابنُ القيِّم: النُّشْرةُ حلُّ السحرِ عن المسحور، وهي نوعان:

أَحدهما: حلّ بسحر مثلِه، وهو الـذي من عمل الشيطان، وعليه يُحمَل قـولُ الحسن، فيتقـرَّب النـاشر والمنتشر إِلىٰ الشَّيطـان بما يُحبُّ، فيبطِلُ عملـه عن المسحور.

والثاني: النُّشرةُ بالرُّقْيةِ والتعوذات والأَدوية والدعوات المباحة فهذا جائزٌ.

☐ **فيـــه مســـائل:**

• **الأولــى**: النهي عن النُّشرة.

• **الثـانيـة**: الفرق بين المنهي عنه والمرخَّص فيه، مما يزيل الإِشكال.

---

(١) (المسنـد) ٣/ ٢٩٤، و(سنن أبي داود) ٤/ ٢٠١ (كتـاب الطب) (بـاب في النشرة) حـديث رقم ٣٨٦٨ وإسنـاده حسن لأجل (عقيل بن معقل) وهـو ابن منبـه اليماني ابن أخي وهب قـال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٢/ ٢٩: صدوق.

(٢) (الصحيح) ٥/ ٢١٧٥ (كتاب الطب) (بـاب هل يستخرج السحـر، وقال قتـادة: قلت لسعيد ابن المسيب: رجل به طب. . . فذكره معلقاً. قال ابن حجر (تغليق التغليق) ٥/ ٤٩): وصله الطبري في (تهذيب الأثار). (إسنـاده صحيح. اهـ). وكـذا وصله ابن عبـد البر في (التمهيد) وصحح ابن حجر إسناده أيضاً.

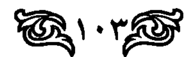
[التعليق]

باب:

النشرة

وهو حل السحر عن المسحور، ذكرَ فيه المصنف كلام ابن القيم في التفصيل بين الجائز منه والممنوع، وفيه كفاية.





بـــاب
ما جـــاء في التطيُّـــر

وقولِ الله تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[الأعراف : ١٣١]

وقولِه : ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس : ١٩].

عن أَبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لا عدْوىٰ، ولا طِيرة، ولا هامَةَ، ولا صَفَر**». أَخرجاه(١).

زادَ مُسلِمٌ : «**ولا نوْء، ولا غُولَ**»(٢).

ولهما عن أَنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا عَـدْوَى، ولا طِيَرَةَ، ويُعجبُني الفألُ**»، قالوا: وما الفألُ؟ قال: «**الكلمةُ الطيبة**»(٣).

ولأَبي داود بسندٍ صحيح، عن عروة بن عامر، قال: ذُكِرَت الطِّيَرةُ عند رسولِ الله ﷺ فقالَ: «**أَحسنُها الفألُ، ولا تَرُدُّ مسلمًا، فإذا رأىٰ أَحدُكم ما يكره،**

---

(١) رواه البخاري: كتاب الطب، باب لا هامة ولا صفر (٥/ ٢١٧١ ـ ٢١٧٢) حديث رقم (٥٤٢٥). ومسلم: كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر (٤/ ١٧٤٢) حديث رقم (٢٢٢٠).

(٢) رواه مسلم: كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول (٤/ ١٧٤٤)حديث رقم (٢٢٢٠) و(٢٢٢٢) قوله: لا نوء من حديث أبي هريرة، وقوله: لا غول من حديث جابر.

(٣) رواه البخاري: كتاب الطب باب لا عدوى (٥/ ٢١٧٨) حديث رقم: (٥٤٤٠)، ومسلم: كتاب السلام باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم (٤/ ١٧٤٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه برقم (٢٢٢٤).

فليقل: **اللهُمَّ لا يأتي بالحسنات إلاَّ أَنتَ، ولا يَدْفع السيئات إلاَّ أَنتَ، ولا حولَ ولا قوة إلاَّ بك»**[١].

وله من حديث ابن مسعود مرفوعًا: **«الطيرةُ شِرْكٌ، الطيرةُ شِركٌ، وما مِنَّا إلاَّ... ولكن الله يُذْهِبُهُ بالتوكُّل»**. رواه أبو داود والترمذي وصححه[٢]. وجعلَ آخِرهُ من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو: **«من ردَّتْه الطِّيرَةُ عن حاجته فقد أَشرَكَ»**، قالوا: فما كفَّارةُ ذلك؟ قال: **«أَنْ يقول: اللهم لا خيرَ إلاَّ خيرك، ولا طيرَ إلاَّ طيرُك، ولا إلـه غيْرُك»**[٣].

---

(١) (السنن) ٤/ ٢٣٥ (كتاب الطب) (باب في الطيرة) حديث رقم ٣٩١٩ قال المنذري (مختصر سنن أبي داود) ٥/ ٣٧٩: (عروة ــ هذا ـ قيل فيه القرشي... وقيل فيه: الجهني حكاهما البخاري، وقال أبو القاسم الدمشقي: ولا صحبة له تصح، وذكر البخاري وغيره أنه سمع من ابن عباس، فعلى هذا يكون الحديث مرسلاً). وقال ابن حجر (تهذيب التهذيب) ٧/ ١٨٥: (عروة بن عامر القرشي، ويقال الجهني روى عن النبي ﷺ مرسلاً في الطيرة). وقال: (أثبت غير واحد له صحبة، وشك فيه بعضهم، وروايته عن بعض الصحابة لا تمنع أن يكون صحابياً، والظاهر أن رواية حبيب عنه منقطعة). قلت: وهذا الحديث من رواية حبيب ـ وهو ابن أبي ثابت ــ عنه، وانظر ـ أيضاً ـ (الإصابة في تمييز الصحابة) ٦/ ٤١٥ في ترجمة (عروة بن عامر).

(٢) (سنن أبي داود) ٤/ ٢٣٠ (كتاب الطب) (باب في الطيرة) حديث رقم ٣٩١٠ و(سنن الترمذي) ٤/ ١٦١ (كتاب السير) (باب ما جاء في الطيرة) حديث رقم ١٦١٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح. اهـ. وقال ــ أيضاً ــ: (سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كان سليمان بن حرب يقول في هذا الحديث: وما منا ولكن الله يذهبه بالتوكل. قال سليمان: هذا عندي من قول عبد الله ابن مسعود: وما منا. اهـ).

(٣) (المسند) ٢/ ٢٢٠ من طريق حسن ثنا ابن لهيعة أنا ابن هبيرة عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً... الحديث وإسناده ضعيف لأجل ابن لهيعة قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ١/ ٤٤٤ (صدوق خلط بعد احتراق كتبه ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما). وهذا من رواية الحسن بن موسى الأشيب عنه.

وله من حديث الفضل بنِ عباس: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ ما أَمضاك أَو ردَّكَ»[١].

□ **فيـــه مســـائل:**

• **الأولـى:** التنبيـه على قـولـه: «**إنما طـائرهم عنـد الله**» مع قـولـه «**طـائركم معكم**».

• **الثانيـة:** نفي العدوى.

• **الثـالثـة:** نفي الطيرة.

• **الرابعـة:** نفي الهامة.

• **الخامسـة:** نفي الصفر.

• **السادسة:** أَنَّ الفأل ليس من ذلك، بل مستحبٌّ.

• **السابعة:** تفسير الفأل.

• **الثامنـة:** أَنَّ الواقـع في القلوب من ذلك مع كـراهته لا يضر، بل يـذهبه الله بالتوكل.

• **التاسعة:** ذكر ما يقول من وجده.

• **العـاشرة:** التصريح بأَنَّ الطيرة شِرْك.

• **الحادية عشرة:** تفسير الطيرة المذمومة.

[التعليـــق:]

بـــاب:

الطيـــرة

وهو التشاؤم بالطيور والأَسماء والأَلفـاظ والبقاع وغيرها، فنهىٰ الشارع عن التطيُّر وذمّ المتطيرين، وكان يحبُّ الفأل ويكره الطيرة.

---

(١) (المسنـد) ١/ ٢١٣ من طريق حماد بن خـالد ثنـا ابن عـلاثة عن مسلمـة الجهني قال: سمعتـه يحدث عن الفضل بن عباس قال: خرجت مع رسول الله ﷺ يوماً... وفي آخره: إنما الطيرة ما أمضـاك أو ردك. و(ابن عـلاثـة) هـو محمـد بن عبـد الله بن عـلاثـة قـال ابن حجـر (تقـريب التهذيب) ٢/ ١٧٩: (صدوق يخطئ. اهـ).

والفرق بينهما: أَنَّ الفأل الحسن لا يخل بعقيـدة الإِنسان ولا بعقله، وليس فيـه تعليق القلب بغيرِ الله، بـل فيـه من المصلحـة: النشـاط والسرور وتقـويـة النفوس على المطالب النافعة.

وصِفـة ذلك أَنْ يعـزِم العبد على سفـر أَو زواج أَو عقـد من العقـود أَو على حالة من الأَحوال المهمَّة ثم يرى في تلك الحال ما يسره، أَو يسمع كلامًا يسره مثل يا راشـد أَو سالم أَو غانم، فيتفاءل ويـزداد طمعه في تيسير ذلك الأَمر الـذي عزمَ عليه، فهذا كله خير وآثاره خير، وليس فيه من المحاذير شيء.

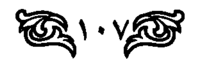
وأَما الطيرة فإِنَّه إِذا عزمَ على فعلِ شيءٍ من ذلك من الأُمور النافعة في الدِّين أو في الدُّنيا، فيرى أَو يسمع مـا يكره أَثَّر في قلبه أَحـد أَمرين، أَحدهما أَعظم من الآخر.

أَحدهمـا: أَن يستجيب لذلك الـدَّاعي فيترك ما كـان عازمًـا على فعله أَو بالعكس، فيتطير بذلك وينكص عن الأَمرِ الذي كان عازمًا عليه، فهذا كما ترى قد علَّـقَ قلبه بذلـك المكروه غايـة التعليق وعمل عليه، وتصرفَ ذلـك المكروه في إرادته وعـزمه وعمله، فـلا شكَّ أَنَّه على هذا الوجـه أَثَّر على إِيمانه وأَخلَّ بتـوحيده وتوكلـه، ثم بعد هـذا لا تسأل عمَّا يُحدِثهُ لـه هذا الأَمرِ من ضعـفِ القلب ووهنه وخوفـه من المخلوقين وتعلُّقه بالأَسبـاب وبأمور ليست أَسبابًا، وانقطـاع قلبه من تعلُّقِه بـالله، وهذا من ضعف التوحيـد والتوكُّل ومن طرق الشرك ووسـائله، ومن الخرافات المفسدة للعقل.

الأَمـر الثـاني: أَن لا يستجيب لذلك الـدَّاعي ولكنه يـؤثِّر في قلبه حـزنًا وهمّاً وغمّاً، فهـذا وإِنْ كـانَ دونَ الأَول لكنه شرٌّ وضررٌ على العبـد، وضعفٌ لقلبـه وموهنٌ لتـوكله، وربما أَصـابه مكـروه فظنَّ أَنَّه من ذلك الأَمـر فقوي تطيُّره، وربما تدرجَ إِلىٰ الأَمرِ الأَول.

فهذا التفصيل يبين لك وجـه كراهة الشـارع للطيرة وذمَّها، ووجه منـافاتها للتوحيد والتوكُّل.

وينبغي لمن وجدَ شيئًا من ذلك وخافَ أَن تغلبـه الدواعي الطبيعية أَن يُجاهد نفسه على دفعها ويستعين الله على ذلك، ولا يركَن إِليها بوجهٍ ليندفِع الشرَّ عنه.



باب
ما جاءَ في التنجيم

قال البخاري في صحيحه[١]: قالَ قَتَادةُ: خَلقَ الله هـذه النجومَ لثلاثٍ: زينةً للسماءِ، ورجومًا للشياطين، وعـلاماتٍ يُهتَدَىٰ بها، فمن تأوَّلَ فيها غير ذلك أَخطأ وأَضاع نصيبه، وتكلَّفَ ما لا عِلْمَ له به. انتهى.

وكره قتادة تعلُّمَ منازِلِ القمرِ، ولم يُرخِّص ابنُ عُيينة فيه، ذكرهُ حربٌ عنهما.

ورخَّصَ في تعلُّم المنازل أَحمد وإِسحاق.

وعن أَبي مـوسى قـال: قال رسـول الله ﷺ: «ثـلاثـةٌ لايدْخُلـونَ الجنـة: مُـدْمِنُ الخمـر، وقـاطِعُ الرَّحِـم، ومُصَدِّقٌ بـالسِّحْـرِ». رواه أَحمد وابن حبَّـان في صحيحه[٢].

□ **فيــه مســائل:**

- **الأولــى:** الحكمة في خلق النجوم.
- **الثـانيـة:** الرد على من زَعمَ غير ذلك.
- **الثـالثـة:** ذكر الخلاف في تعلم المنازل.
- **الرابعـة:** الوعيد فيمن صدَّقَ بشيءٍ من السحرِ، ولو عرف أَنَّه باطل.

---

(١) رواه البخاري معلقاً: كتاب بدء الخلق بابٌ في النجوم (٣/ ١١٦٨ ـ ١١٦٩).

(٢) (المسند) ٤/ ٣٩٩ و(مـوارد الظمآن) ص ٣٣٥ حديث رقم ١٣٨٠ و ١٣٨١ قـال الهيثمي (مجمع الـزوائد) ٥/ ٧٤: (رواه أحمد وأبـو يعلى والطبراني، ورجال أحمد وأبي يعلى ثقـات. اهـ) ورواه ـ أيضاً ـ الحاكم (المستدرك) ٤/ ١٤٦ وقـال: (هذا حـديث صحيح الإسناد ولم يخرجـاه). وقال الذهبي: صحيح. اهـ. وفي تصحيح إسناده نظر، لأن فيـه (أبا حريز) وهو عبد الله بن الحسين الأزدي قـال الـذهبي (ميزان الاعتـدال) ٢/ ٤٠٦: (فيـه شيء). وقـال المزي (تهذيب الكمال) ٢/ ٦٧٥: (استشهـد به البخـاري في الصحيح وروى لـه في الأدب). وقـال ابن حجر (هـدي الساري) ص ٤٥٧: (وثقة أبو زرعة واختلف فيه قول يحيى بن معين، وضعفه النسائي. اهـ).

[التعليق :]

باب :

ما جاء في التنجيم

التنجيم نوعان :

نوع يُسمّى علم التأثير : وهو الاستدلال بالأَحوال الفلكية على الحوادث الكونية ، فهذا باطلٌ ودعوىٰ لمشاركة الله في علم الغيب الذي انفردَ به ، أَو تصديق لِمَن ادَّعىٰ ذلك ، وهذا ينافي التوحيد لما فيه من هذه الدعوىٰ الباطلة ، ولما فيه من تعلُّق القلب بغيرِ الله ، ولما فيه من فساد العقل ، لأَنَّ سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأَديان .

النوع الثاني : علم التسيير: وهو الاستدلال بالشمسِ والقمر والكواكب على القبلة والأَوقات والجهات ، فهذا النوع لا بأْسَ به ، بل كثيرٌ منه نافعٌ قد حثَّ عليه الشارع ، إِذا كانَ وسيلة إِلىٰ معرفة أَوقات العبادات ، أَو إِلىٰ الاهتداء به في الجهات .

فيجب التفريق بين ما نهىٰ عنه الشارع وحرمه ، وبين ما أَباحه أَو استحبه أَو أَوجبه ، فالأَول هو المنافي للتوحيد دون الثاني .





بـــاب
ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢].

وعن أَبي مـالك الأَشعريِّ رضي الله عنـه، أَنَّ رسول الله ﷺ قـال: **«أَربعٌ في أُمَّتي من أَمـرِ الجاهليـة لا يتركـونهنَّ: الفخرُ بـالأَحسـاب، والطعنُ في الأَنسـاب والاستسقاءُ بالنجوم، والنِّياحة»**.

وقال: **«النائحـةُ إِذا لم تَتُب قبل موتها تُقـامُ يوم القيـامةِ وعليهـا سِرْبَالٌ من قَطرانٍ، ودِرْعٌ من جَرَبٍ»**. رواه مسلم[(١)].

ولهما عن زيدِ بن خـالد رضي الله عنه، قال: صلَّىٰ لنـا رسول الله ﷺ صلاةَ الصُّبْحِ بـالحُديبيـة على إِثْـرِ سماءٍ كـانت من الليل، فلمَّا انصرفَ أَقبلَ على النـاسِ فقال: **«هل تدرون ماذا قال ربُّكم؟»**. قالوا: الله ورسوله أَعلمُ، قال: **«قال: أَصبحَ من عِبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ، فأَمَّا من قال: مُطرْنا بفضلِ الله ورحمتِهِ، فذلك مؤمنٌ بي كـافرٌ بالكوكب، وأَمَّـا من قال: مُطِرْنَا بنـوءِ كذا وكذا، فذلك كـافرٌ بي مؤمِنٌ بالكوكب»**[(٢)].

ولهما[(٣)] من حديث ابـن عباس معناه، وفيـه: قال بعضهـم: «لَقَـد صدقَ

---

(١) رواه مسلم: كتاب الجنائز باب التشديد في النياحة (٢/ ٦٤٤) حديث رقم (٩٣٤).

(٢) رواه البخـاري: كتاب الاستسقـاء بـاب قول الله تعـالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (١/ ٣٥١) حديث رقم (٩٩١). ومسلم: كتاب الإيمان بـاب بيان كفر من قال مطرنـا بالنوء، (١/ ٨٣ ـ ٨٤) حديث رقم (٧١).

(٣) رواه مسلم: كتـاب الإيمان باب بيـان كفر من قـال مطـرنا بـالنوء (١/ ٨٤) حـديث رقم (٧٣) ولفظـه: عن ابن عباس قـال: مُطِر النـاس على عهد النبي ﷺ. فقـال النبي ﷺ: «أَصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله. وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا» قال: فنزلت هـذه الآية: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ حتى بلغ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ الواقعـة آية (٧٥ ـ ٨٢). والحديث رواه مسلم ولم يروه البخـاري كما عزاه المؤلف (رحمه الله). ولم يعزه المزي في (تحفة الأشراف) ٤/ ٤٦٩ حديث رقم ٥٦٧٢ للبخاري.

نوءُ كذا وكذا، فأَنزلَ الله هذه الآية :

(﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۞ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۞ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۞ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۞ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۞ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) [الواقعة : ٧٥-٨٢] .

□ **فيــــه مســـــائل :**

- **الأولــى :** تفسير آية الواقعة .
- **الثـانيـة :** ذكر الأَربع التي من أَمرِ الجاهلية .
- **الثـالثـة :** ذكر الكفر في بعضها .
- **الـرابعـة :** أَنَّ من الكفرِ ما لا يخرج عن الملة .
- **الخامسـة :** قوله : «**أَصبحَ من عبادي مؤمِنٌ بي وكافر**» بسبب نزول النعمة .
- **السادسة :** التفطُّن للإِيمان في هذا الموضع .
- **السابعة :** التفطُّن للكفرِ في هذا الموضع .
- **الثـامنـة :** التفطُّن لقوله : «**لقد صدقَ نوءُ كذا وكذا**» .
- **التـاسعـة :** إخراج العـالم للمتعلم المسألة بـالاستفهام عنها لقـوله : «**أَتدرونَ ماذا قال ربكم؟**» .
- **العـاشرة :** وعيد النائحة .

[التعليــــق :]

بـــــاب :

الاستسقاء بالنجوم

لما كان من التوحيـد الاعتراف لله بتفرده بالنعم ودفع النقم ، وإِضـافتها إِليه قولاً واعترافًـا واستعانةً بها على طاعتـه كان قول القـائل : مطرنا بنوءِ كـذا وكذا ، ينافي هذا المقصود أَشدَّ المنافاة لإِضافة المطر إِلىٰ النوء .

والواجب إضافة المطر وغيره من النعم إلىٰ الله ، فإنَّه الذي تفضَّلَ بها على عباده .

ثم الأَنواء ليست من الأَسباب لنزول المطـر بوجهٍ من الوجوه ، وإنما السبب عنـاية المولى ورحمتـه وحاجـة العباد وسـؤالهم لربهم بلسـان الحال ولسان المقـال ، فينزل عليهم الغيث بحكمته ورحمته في الوقت المناسب لحاجتهم وضرورتهم .

فـلا يتم توحيـد العبد حتى يعترف بنِعَمِ الله الظـاهرة والبـاطنة عليـه وعلى جميع الخلق ، ويضيفها إليه ويستعين بها على عبادته وذكره وشكره .

وهذا الموضع من محققات التوحيد ، وبه يُعرَفُ كامل الإيمان وناقصه .



بـــاب

قـــول الله تـعـالـــى

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ الآية

[البقرة : ١٦٥]

وقوله : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [التوبة : ٢٤] .

عن أَنسٍ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال : «**لا يُؤمِنُ أَحدُكم حتى أَكونَ أَحبَّ إِليه من وَلَدِهِ ووالِدِهِ والنّاسِ أَجْمَعين**» أَخرجاه[١] .

ولهما عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «**ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجدَ بهنَّ حلاوةَ الإيمان : أَن يكون اللهُ ورسولُهُ أَحبَّ إليه مما سواهما ، وأَن يُحِبَّ المرءَ لا يُحِبُّه إلاَّ لله ، وأَن يكرَه أَن يعودَ في الكفرِ بعد إِذْ أَنقذَهُ الله منه ، كما يكره أَن يُقذَفَ في النار**»[٢] .

وفي رواية : «**لا يَجِدُ أَحـدٌ حلاوةَ الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلاّ لله**» إلىٰ آخره[٣] .

---

(١) رواه البخاري : كتاب الإيمان باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (١/ ١٤) حديث رقم (١٥) . ومسلم : كتاب الإيمان باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين ، (١/ ٦٧) حديث رقم : (٤٤) .

(٢) رواه البخاري : كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان (١/ ١٤) حديث رقم (١٦) ومسلم : كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (١/ ٦٦) حديث رقم (٤٣) .

(٣) رواه البخاري : كتاب الأدب باب الحب في الله (٥/ ٢٢٤٦) حديث رقم (٥٦٩٤) . وتمامه : «وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله ، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» .

وعن ابن عباس، قال: «مَن أَحَبَّ في الله، وأَبغضَ في الله، ووَالَىٰ في الله، وعادَىٰ في الله، فإِنَّما تُنَالُ ولاية الله بذلك، ولن يجِدَ عبدٌ طعمَ الإِيمان ـ وإِنْ كثُرت صلاتـه وصومه ـ حتى يكـون كذلك، وقد صارت عـامَّةُ مؤاخاة النـاس على أَمرِ الدُّنيا، وذلك لا يُجْدِي على أَهله شيئًا». رواهُ ابنُ جرير[١].

وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ [البقرة: ١١٦].

قال: المودَّةُ[٢].

□ فيـــه مســـائل:

• الأولـى: تفسير آية البقرة.

• الثانيـة: تفسير آية براءة.

• الثالثـة: وجوب [تقديم] محبته ﷺ على النفسِ والأَهلِ والمال.

• الرابعـة: أَنَّ نفي الإِيمان لا يدل على الخروج من الإِسلام.

• الخامسـة: أَنَّ للإِيمان حلاوة قد يجدها الإِنسان وقد لا يجدها.

• السادسة: أَعمال القلب الأَربع التي لا تُنـال ولايـة الله إِلاَّ بها، ولا يجد أَحـد طعمَ الإِيمان إِلاَّ بها.

• السابعة: فهم الصحابي للواقع: أَنَّ عامة المؤاخاة على أَمرِ الدنيا.

• الثامنـة: تفسير: ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾.

• التاسعة: أَنَّ من المشركين من يحبُّ الله حبًّا شديدًا.

• العـاشرة: الوعيد على من كان الثمانية أَحبَّ إِليه من دينه[٣].

---

(١) لم أقف عليه من قول ابن عباس عند ابن جريـر، ووقفت عليه عند ابن المبارك (الزهد) ص ١٢١ حديث رقم ٣٥٣ (بـاب جليس الصدق) وفي إسناده (ليث) وهو ابن أبي سليم قـال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٢/ ١٣٨: (صدوق اختلط أخيراً ولم يتميز حديثه فترك. اهـ).

(٢) رواه ابن جـرير (جامع البيـان عن تأويل آي القـرآن) ٢/ ٤٣ من طريق محمـد بن عمرو ثنـا أبو عاصم عن عيسى قال أخبرني قيس بن سعد عن عطاء عن ابن عباس قوله.

(٣) وهي الآباء والأَبناء والإِخوان والأَزواج والعشيرة والأَموال والتجارة والمساكن.

• **الحادية عشرة :** أَنَّ من اتَّخذَ نِدّاً تساوي محبته محبة الله فهو الشِرْك الأَكبر.

[التعليق :]

بـــاب :

قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾

أَصل التوحيد وروحه : إِخلاص المحبَّة لله وحده وهي أَصل التألُّه والتعبُّد له ، بل هي حقيقة العبادة ، ولا يتم التوحيد حتى تكمُل محبة العبد لربه ، وتسبق محبته جميع المحابّ وتغلبها ، ويكون لها الحكم عليها بحيث تكون سائر محابّ العبد تبعًا لهذه المحبَّة التي بها سعادة العبدِ وفلاحُهِ .

ومن تفريعها وتكميلها الحبّ في الله ، فيحب العبد ما يحبُّه الله من الأَعمال والأَشخاص ، ويبغض ما يبغضه الله من الأَشخاص والأَعمال ، ويوالي أَولياءه ويعادي أَعداءه ، وبذلك يكمل إِيمان العبد وتوحيده .

أَمَّا اتِّخاذ أَنداد من الخلق يحبهم كحبِّ الله ، ويقدِّم طاعتهم على طاعة الله ، ويلهج بذكرهم ودعائهم فهذا هو الشرك الأَكبر الذي لا يغفره الله ، وصاحب هذا الشرك قد انقطع قلبه من ولاية العزيز الحميد ، وتعلَّق بغيره ممن لا يملك له شيئًا ، وهذا السبب الواهي الذي تعلَّق به المشركون سينقطع يوم القيامة أَحوج ما يكون العبد لعمله ، وستنقلب هذه المودة والموالاة بُغضاًوعداوةً .

واعلم أَنَّ أَنواع المحبة ثلاثة أَقسام :

الأول : محبة الله التي هي أَصل الإِيمان والتوحيد .

الثاني : المحبة في الله وهي محبَّة أَنبياء الله ورسله وأَتباعهم ، ومحبة ما يحبه الله من الأَعمال والأَزمنة والأَمكنة وغيرهم ، وهذه تابعة لمحبَّة الله ومكملة لها .

الثالث : محبة مع الله وهي محبة المشركين لآلهتهم وأَندادهم من شجرٍ وحجَرٍ وبشرٍ ومَلَكٍ ، وغيرها وهي أَصل الشرك وأَساسه .

وهنا قسمٌ رابع : وهو المحبة الطبيعية التي تتبع ما يلائم العبد ويوافقه من طعام وشراب ونكـاح ولباس وعشرة وغيرها ، وهـذه إذا كانت مباحـة ، إنْ أَعانَت على محبة الله وطاعته دخلتْ في بـابِ العبادات ، وإنْ صدَّت عن ذلك وتُوسِّلَ بها إلىٰ مـا لا يحبـه الله دخلَتْ في المنهيـات ، وإلاَّ بقيت من أَقسَـام المبـاحـات . والله أَعلم .



باب

قول الله تعالى

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾
[آل عمران : ١٧٥]

وقولِهِ : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة : ١٨].

وقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ الآية . [العنكبوت : ١٠].

وعن أَبي سعيدٍ رضي الله عنه مرفوعاً : «**إِنَّ من ضَعْفِ اليقين أَن تُرضِيَ الناسَ بِسَخطِ الله ، وأَن تحمَدَهم على رِزْقِ الله ، وأَن تَذُمَّهُم على ما لم يؤتِكَ الله ، إِنَّ رزق الله لا يجرُّهُ حِرْصَ حَريصٍ ، ولا يَرُدُّهُ كراهيةُ كارِهٍ**»[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رسول الله ﷺ قال : «**من التمسَ رِضَا الله**

---

(١) رواه أبو نعيم (الحلية) ٥/١٠٦، ١٠/٤١ من طريق علي بن محمدبن مروان ـ وهو السدى ـ ثنا أبي ثنا عمرو وبن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد مرفوعاً. قال أبو نعيم : (غريب من حديث عمرو، تفرد به علي بن محمد بن مروان عن أبيه). وقال المناوي (فيض القدير) ٢/ ٥٣٩ حكاية عن البيهقي : (محمد بن مروان السدي أحد رجاله ضعيف). وقال : وفيه ـ أيضاً ـ عطية العوفي أورده الذهبي في الضعفاء والمتروكين وقال : ضعفوه. وللحديث طريق أخرى رواها أبو نعيم (الحلية) ١٠/ ٤١ من طريق شيخه أبي الفتح بن الحمصي أحمد بن الحسين بن محمد بن سهل فذكر أن علي بن جعفر البغدادي حدثهم قال : قال أبو موسى الدؤلي ثنا أبو يزيد البسطامي ثنا أبو عبد الرحمن السفدي عن عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً. وقال : (وهذا الحديث مما ركب على أبي يزيد، والحمل فيه على شيخنا أبي الفتح فقد عثر منه على غير حديث ركبه). وفيه ـ أيضاً ـ عطية العوفي المتقدم.

بِسَخطِ النَّاسِ رَضِيَ الله عنه وأَرضى عنه النـاس ، ومن الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ الله سَخِطَ الله عليه ، وأَسخَط عليه النَّاسَ» . رواه ابنُ حِبَّانَ في صحيحه[1] .

□ فيـــه مســـائل :

• **الأولــى :** تفسير آية آل عمران .

• **الثانيـة :** تفسير آية براءة .

• **الثـالثـة :** تفسير آية العنكبوت .

• **الـرابعـة :** أَنَّ اليقين يضعف ويقوى .

• **الخامسـة :** علامة ضعفه ، ومن ذلك هذه الثلاث .

• **السادسـة :** أَنَّ إِخلاص الخوف لله من الفرائض .

• **السابعـة :** ذكر ثواب من فعله .

• **الثـامنـة :** ذكر عقاب من تركه .

[التعليـــق :]

بـــــاب :

قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ الآية .

هـذا البـاب عقده المصنـف رحمه الله لوجـوب تعلُّق الخوف والخشيـة بـالله وحده ، والنهي عن تعلُّقه بالمخلوقين ، وبيان أَنَّه لا يتم التوحيد إِلَّا بذلك .

ولابدَّ في هذا الموضع من تفصيل يتضح به الأَمر ويزول الاشتباه .

اعلم أَنَّ الخوف والخشيـة تارة يقع عبـادة ، وتـارة يقع طبيعة وعـادة وذلك بحسب أَسبابه ومتعلقاته .

---

(١) مـوارد الظمآن) ص ٣٧٠ حديث رقم ١٥٤١ و ١٥٤٢ (كتـاب الإمـارة) (باب فيمن يـرضى الله بسخط الناس) من طريقين عن عـائشة . قال المناوي (فيض القـدير) ٦ / ٥١ : (رمز المصنف ـ يعني السيوطي ـ لحسنه) . وأورده الألباني في (صحيح الجامع) ٦٠٩٧ وصححه .

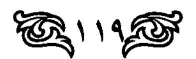
فـإنْ كَانَ الخوف والخشيـة خوفَ تألُّـهٍ وتعبـدٍ وتقرب بـذلك الخوف إلىٰ من يخافه وكـان يدعو إلىٰ طاعـة باطنة وخـوف سري يزجر عن معصية من يخافـه كان تعلُّقه بالله من أَعظم واجبات الإِيمان، وتعلقه بغير الله من الشركِ الأَكبر الذي لا يغفره الله، لأَنَّه أَشْرَكَ في هـذه العبادة التي هي من أَعظم واجبات القلب غير الله مع الله، وربما زاد خوفه من غير الله على خوفه من الله.

وأَيضاً فمن خشي الله وحده على هذا الوجه فهو مخلصٌ موحدٌ، ومن خشي غيره فقـد جعلَ لله نـدًّا في الخشيـة، كمن جعـل لله نـدًّا في المحبـة. وذلك كمن يخشى من صـاحب القبر أَن يوقع بـه مكروهـاً، أَو يغضب عليه فيسلبـه نعمة أَو نحو ذلك، مما هو واقع من عُبَّاد القبور.

وإِنْ كان الخوف طبيعيًّا كمن يخشى من عـدو أَو سبع أَو حية أَو نحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهـري، فهذا النوع ليسَ عبادة وقـد يوجد من كثير من المؤمنين ولا ينافي الإِيمان.

وهذا إِذا كانَ خوفاً محققاً قد انعقدت أَسباب الخوف فليسَ بمذموم.

وإِنْ كان هذا خوفاً وهمياً كـالخوف الذي ليس له سبب أَصلاً، أَو له سبب ضعيف فهذا مذمـوم يدخل صاحبه في وصفِ الجبنـاء، وقد تعوذ ﷺ من الجبن فهو من الأَخـلاق الرذيلة، ولهذا كان الإِيمان التـام والتوكُّل والشجاعة تـدفع هذا النـوع، حتى إِنَّ خـواص المؤمنين وأَقـويـاءهم تنقلب المخـاوف في حقِّهم أَمنـاً وطمأنينة لقـوة إِيمانهم وشجاعتهم الشجاعة القلبية، وكمال تـوكلهم، ولهذا أَتبعه بهذا الباب.



باب

قول الله تعالى

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة : ٢٣]

وقوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال : ٢].

وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال : ٦٤].

وقوله : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق : ٣].

وعن ابن عباس قال : **(حسبنا الله ونعمَ الوكيل)** قالها إبْراهيم عليه السلام حينَ أُلقيَ في النارِ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له :

﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران : ١٧٣]. رواه البخاري والنسائي(١).

□ فيه مسائل :

- **الأولى :** أَنَّ التوكُّل من الفرائض.
- **الثانية :** أَنَّه من شروط الإيمان.
- **الثالثة :** تفسير آية الأنفال.
- **الرابعة :** تفسير الآية في آخرها.
- **الخامسة :** تفسير آية الطلاق.
- **السادسة :** عظم شأن هذه الكلمة، وأَنَّها قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومحمد ﷺ في الشدائد.

---

(١) رواه البخاري : كتاب التفسير، باب «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم» (٤/ ١٦٦٢) حديث رقم (٤٢٨٧) والنسائي في التفسير من الكبرىٰ، كما في تحفة الأشراف (٥/ ٢٣٨). والنسائي ـ أيضاً ـ في (عمل اليوم والليلة) ص ٣٩٣ حديث رقم (٦٠٣).

[التعليق :]

باب :

قول الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾

التوكُّل على الله من أَعظَم واجبات التوحيد والإيمان، وبحسب قوة توكُّل العبد على الله يقوىٰ إيمانه، ويتم توحيده، والعبد مضطر إلىٰ التوكُّل على الله والاستعانة به في كل ما يريد فعله أَو تركه من أُمور دينه أَو دنياه.

وحقيقة التوكُّل على الله : أَن يعلم العبد أَنَّ الأَمرَ كله لله، وأَنَّه ما شاءَ الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأَنَّه هو النافعُ الضار المعطي المانع، وأَنَّه لا حولَ ولا قوة إلاَّ بالله، فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربِّه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذلٌ جهده في فعلِ الأَسباب النافعة.

فمتى استدام العبد هذا العلم وهذا الاعتماد والثقة فهو المتوكل على الله حقيقة، وليبشر بكفاية الله له ووعده للمتوكلين، ومتى علق ذلك بغير الله فهو شركٌ، ومن توكَّل على غير الله، وتعلَّق به، وُكِلَ إليه وخابَ أَمله.





باب

قول الله تعالى

﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩]

وقوله: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦].

وعن ابن عباس: أنَّ رسول الله ﷺ سُئِلَ عن الكبائر، فقال: «**الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأَمن من مكرِ الله**»(١).

وعن ابن مسعود قال: أكبرُ الكبائر: الإشراك بالله، والأَمن من مكر الله، والقنوط من رحمةِ الله، واليأس من روح الله» رواه عبدالرزّاق(٢).

□ **فيه مسائل:**

- **الأولى:** تفسير آية الأعراف.
- **الثانية:** تفسير آية الحجر.
- **الثالثة:** شدَّة الوعيد فيمن أَمِنَ مكر الله.
- **الرابعة:** شدَّة الوعيد في القنوط.

---

(١) رواه البزار كما في (كشف الأستار) ١/ ٧١ حديث رقم (١٠٦) وابن أبي حاتم كما في (تفسير ابن كثير) ١/ ٤٨٤ عند تفسير قوله تعالى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه...) الآية ٣١ البقرة من طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً. قال ابن كثير: (وفي إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفاً فقد روى عن ابن مسعود نحو ذلك). وقال الهيثمي (مجمع الزوائد) ١/ ١٠٤: (رجاله موثوقون) وحسن إسناده السيوطي في (الدر المنثور) ٢/ ١٤٧ والعراقي في (تخريج إحياء علوم الدين) ٤/ ١٧.

(٢) (المصنف) ١٠/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠ حديث رقم ١٩٧٠١ من طريق معمر عن أبي إسحاق عن وبرة عن عامر بن الطفيل عن ابن مسعود قال: أكبر الكبائر... الحديث قال ابن كثير (التفسير) ١/ ٤٨٤: (هو صحيح إليه بلا شك). وقال الهيثمي (مجمع الزوائد) ١/ ١٠٤: (إسناده صحيح. اهـ).

[التعليق :]

بـــاب :

قول الله تعالى (﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ﴾)

مقصود الترجمة أَنَّه يجب على العبد أَن يكون خائفاً من الله، راجياً له راغباً راهباً، إِنْ نظرَ إِلىٰ ذنوبه وعدل الله وشدة عقابه خشي ربه وخافه، وإِنْ نظرَ إِلىٰ فضلِهِ العام والخاص وعفوه الشامل رجا وطمع إِن وُفِّقَ لطاعة رجا من ربه تمام النعمة بقَبولها، وخافَ من ردِّها بتقصيره في حقِّها، وإِن ابتُلي بمعصية رجا من ربِّه قبول توبته ومحوها، وخشي بسبب ضعف التوبة والالتفات للذنب أَن يُعاقب عليها، وعند النعم والمسار يرجو الله دوامها والزيادة منها والتوفيق لشكرها، ويخشىٰ بإخلاله بالشكر من سلبها، وعند المكاره والمصائب يرجو الله دفعها وينتظر الفرج بحلِّها، ويرجو أَيضاً أَن يثيبه الله عليها حين يقوم بوظيفة الصبر، ويخشىٰ من اجتماع المصيبتين فوات الأَجْرِ المحبوب، وحصول الأَمْرِ المكروه إِذا لم يوفق للقيام بالصبرِ الواجب، فالمؤمن الموحد في كل أحواله ملازم للخوف والرجاء وهذا هو الواجب وهو النافع، وبه تحصل السعادة، ويخشى على العبد من خلقين رذيلين :

أحدهما : أَن يستولي عليه الخوف حتى يقنط من رحمة الله وروحه .

الثاني : أَن يتجارىٰ به الرجاء حتى يأمن مكر الله وعقوبته، فمتى بلغت به الحال إِلىٰ هذا فقد ضيَّعَ واجب الخوف والرجاء اللذين هما من أَكبر أُصولِ التوحيد وواجبات الإِيمان .

وللقنوط من رحمةِ الله واليأس من روحه سببان محذوران :

أحدهما : أَن يُسرِف العبد على نفسه ويتجرأ على المحارم فيصر عليها ويُصمم على الإِقامة على المعصية، ويقطع طمعه من رحمة الله، لأَجل أَنَّه مقيم على الأَسباب التي تمنع الرحمة، فلا يزال كذلك حتى يصير له هذا وصفاً وخلقاً

لازماً، وهذا غاية ما يريده الشيطان من العبد، ومتى وصلَ إلىٰ هذا الحدِّ لم يرجَ له خيرٌ إلاَّ بتوبةٍ نصوحٍ وإقلاعٍ قويٍ.

الثاني: أَن يقوى خوف العبد بما جنت يداه من الجرائم ويضعف علمه بما لله من واسع الرحمة والمغفرة، ويظن بجهله أَنَّ الله لا يغفر له ولا يرحمه ولو تابَ وأَنابَ، وتضعُفَ إرادته فييأس من الرحمة، وهذا من المحاذير الضارة الناشئة من ضعفِ علم العبد بربه، وماله من الحقوق، ومن ضعفِ النفسِ وعجزِها ومهانتها.

فلو عرف هذا ربه ولم يخلد إلىٰ الكسل، لعلم أَنَّ أدنىٰ سعيٍ يوصله إلىٰ ربه، وإلىٰ رحمته وجوده وكرمه.

وللأَمن من مكر الله أَيضاً سببان مهلكان:

أحدهما: إعراض العبد عن الدِّين وغفلته عن معرفة ربه وماله من الحقوقِ، وتهاونه بذلك فلا يزال معرضاً غافلاً مقصِّراً عن الواجبات، منهمكاً في المحرمات، حتى يضمحل خوف الله من قلبه، ولا يبقىٰ في قلبه من الإيمان شيءٌ، لأَنَّ الإيمان يحمل على خوف الله وخوف عقابه الدنيوي والأُخروي.

السبب الثاني: أَنْ يكون العبد عابداً جاهِلاً معجباً بنفسه مغروراً بعمله فلا يزال به جهله حتى يُدِلَّ بعمله ويزول الخوف عنه، ويرى أَنَّ له عند الله المقامات العالية، فيصير آمناً من مكرِ الله متكلاً على نفسه الضعيفة المهينة، ومن هنا يُخذَلُ ويُحَالُ بينه وبين التوفيق، إذْ هو الذي جنىٰ على نفسه.

فبهذا التفصيل تعرف منافاة هذه الأُمور للتوحيد.



بــــاب

من الايمان بالله: الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[التغابن: ١١]

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنَّها من عند الله فيرضىٰ ويسلم.

وفي صحيح مسلم عن أَبي هريرة: أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت**»(١).

ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً: «**ليسَ مِنَّا مَنْ ضربَ الخدود، وشقَّ الجُيوب، ودعا بدَعْوىٰ الجاهلية**»(٢).

وعن أَنس أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا أَرادَ الله بعبدِه الخيرَ عجَّلَ لهُ العقوبة في الدُّنيا، وإِذا أَرادَ بعبده الشرَّ أَمسكَ عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة**».

وقال النبي ﷺ: «**إنَّ عِظَمَ الجزاء مع عِظَمِ البلاء، وإِنَّ اللهَ تعالى إذا أَحبَّ قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرِضا، ومن سَخِطَ فله السخط**». حسَّنه الترمذي(٣).

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في السن والنياحة (١/ ٨٢) حديث رقم (٦٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجنائز باب ليس منا من شق الجيوب (١/ ٤٣٥) حديث رقم (١٢٣٢).

ومسلم: كتاب الإيمان باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية. (١/ ٩٩) حديث رقم (١٠٣).

(٣) (السنن) ٤/ ٦٠١ (كتاب الزهد) (باب ما جاء في الصبر على البلاء) حديث رقم (٢٣٩٦) وقال: (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. اهـ). قال المناوي (فيض القدير) ١/ ٢٥٨: (قال الذهبي في موضع سعد ليس بحجة، وفي موضع آخر كأنه غير صحيح. اهـ) وسعد المشار إليه هو (سعد بن سنان).

□ فيــه مســـائل :

• **الأولــى :** تفسير آية التغابُن .

• **الثانيـة :** أَنَّ هذا من الإيمان بالله .

• **الثالثـة :** الطعن في النسب .

• **الرابعـة :** شـدَّة الـوعيد فيمـن ضربَ الخدود وشقَّ الجيوب ، ودعَـا بـدعـوىٰ الجاهلية .

• **الخامسة :** علامة إرادة الله بعبده الخير.

• **السادسة :** علامة إرادة الله به الشر.

• **السابعة :** علامة حبّ الله للعبد .

• **الثامنـة :** تحريم السخط .

• **التاسعة :** ثواب الرضا بالبلاء .

[التعليــــق :]

بـــــاب :

من الإيمان بالله: الصبر على أَقدار الله

أَمَا الصبر على طاعة الله ، والصبر عن معصيته ، فهـو ظاهر لكل أَحد أَنَّهما من الإيمان بل هما أَساسـه وفرعـه ، فإِنَّ الإيمان كله صبر على مـا يحبه الله ويـرضاه ويقرب إِليه ، وصبر عن محارم الله .

فإِنَّ الدِّين يدور على ثلاثة أُصول :

تصديق خبر الله ورسوله ، وامتثال أَمر الله ورسوله ، واجتناب نهيهما .

فـالصبر على أَقدار الله المؤلِمة داخل في هـذا العموم ، ولكن خُصَّ بـالذِكـر لشدَّة الحاجة إِلىٰ معرفته والعمل به .

فإِنَّ العبد متى علِمَ أَنَّ المصيبة بإِذن الله، وأَن لله أَتَمَّ الحكمة في تقديرها، وله النعمة السابغة في تقديرها على العبد رضي بقضاء الله وسلَّمَ لأَمرِه وصبرَ على المكارِه، تقرباً إِلىٰ الله، ورجاءً لثوابه، وخوفاً من عقابه، واغتناماً لأَفضلِ الأَخلاق، فاطمأَنَّ قلبه وقوي إِيمانه وتوحيده.





بـــاب

ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وعن أَبي هريرة مرفوعًا: قال الله تعالى: «أَنَا أَغنىٰ الشركاء عن الشرك، من عمِلَ عملاً أَشركَ معي فيه غيري تركتُه وشِركَه». رواه مسلم(١).

وعن أَبي سعيد مرفوعًا: «أَلاَ أُخبركم بما هو أَخْوَفُ عليكم عندي من المسيح الدجَّال؟» قالوا: بلى قال: «الشرك الخفي: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل» رواه أَحمد(٢).

□ **فيـــه مســـائل:**

- **الأولـى:** تفسير آية الكهف.
- **الثانيـة:** الأَمر العظيم في ردِّ العمل الصالح إِذا دخله شيء لغير الله.
- **الثالثـة:** ذِكْر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى.
- **الرابعـة:** أَنَّ من الأَسباب أَنَّه خير الشركاء.
- **الخامسـة:** خوف النبي ﷺ على أَصحابه من الرياء.
- **السادسـة:** أَنَّه فسَّرَ ذلك بـأَنَّ المرء يصلي لله، لكن يُزَيِّنها لما يـرى من نظر رجلٍ.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الزهد والرقائق باب من أَشرك في عمله غير الله (٤/ ٢٢٨٩) حديث رقم (٢٩٨٥).

(٢) (المسند) ٣/ ٣٠ وابن ماجه (السنن) ٢/ ١٤٠٦ (كتاب الزهد) (باب الرياء والسمعة) من طريق ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن أبي سعيد قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال... الحديث. قال البوصيري (مصباح الزجاجة) ٣/ ٢٩٦ (هذا إسناد حسن، كثير بن زيد وربيح بن عبد الرحمن مختلف فيهما. اهـ).

بـــاب

من الشرك : إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود : ١٥ ، ١٦] .

في الصحيح عن أَبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : **«تَعِسَ عبدُ الدينارِ، تِعسَ عبدُ الدرهمِ ، تِعِسَ عبدُ الخميصة ، تِعِسَ عبدُ الخميلة ، إن أُعطيَ رضيَ ، وإن لم يُعطَ سَخِط ، تِعِسَ وانتكس ، وإذا شِيكَ فلا انتُقِش ، طوبىٰ لعبدٍ آخذٍ بعنانِ فرَسه في سبيل الله ، أَشعثَ رأسهُ ، مُغبَّرةٌ قدماه ، إنْ كان في الحِراسة كان في الحِراسة ، وإنْ كانَ في الساقة كان في الساقة ، إن استأذنَ لم يُؤذَنَ له ، وإن شَفَعَ لم يُشَفَّع»**(١) .

☐ **فيـــه مســـائل :**

- **الأولـى :** إرادة الإِنسان الدنيا بعمل الآخرة .
- **الثانيـة :** تفسير آية هود .
- **الثـالثـة :** تسمية الإِنسان المسلم عبدَ الدينار والدرهم والخميصة .
- **الـرابعـة :** تفسير ذلك بأ نَّه إن أُعطي رضي وإِن لم يُعطَ سخِطَ .
- **الخامسـة :** قوله : **«تِعِسَ وانتكس»** .
- **السادسـة :** قوله : **«وإذا شيك فلا انتقش»** .
- **السابعـة :** الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات .

---

(١) رواه البخاري : كتاب الجهاد باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ، (٣/ ١٠٥٧ ــ ١٠٥٨) حديث رقم (٢٧٣٠) .

[التعليق:]

باب:

ما جاء في الرياء

ثم قال:

باب:

من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا

اعلم أَنَّ الإخلاص لله أَساس الدِّين، وروح التوحيد والعبادة، وهو أَن يقصد العبد بعمله كله وجه الله وثوابه وفضله، فيقوم بأُصول الإيمان الستة وشرائع الإسلام الخمس، وحقائق الإيمان التي هي الإحسان، وبحقوق الله، وحقوق عباده، مكملاً لها قاصدًا بها وجه الله والدار الآخرة، لا يريد بذلك رياءً ولا سمعةً ولا رياسةً، ولا دنيا، وبذلك يتم إيمانه وتوحيده.

ومن أَعظم ما ينافي هذا مراءاة الناس والعمل لأَجل مدحهم وتعظيمهم، أَو العمل لأَجلِ الدنيا، فهذا يقدح في الإخلاص والتوحيد.

واعلم أَن الرياء فيه تفصيل:

فإنْ كان الحامل للعبد على العمل قصد مراءاة الناس، واستمر على هذا القصد الفاسد، فعمله حابط وهو شركٌ أَصغَر، ويخشى أَن يتذرع به إلىٰ الشرك الأَكبر.

وإن كان الحامل على العمل إرادة وجه الله مع إرادة مراءاة الناس، ولم يقلع عن الرياء بعمله، فظاهر النصوص أَيضًا بطلان هذا العمل.

وإن كان الحامل للعبد على العمل وجه الله وحده، ولكن عرضَ له الرياء في أَثناء عمله، فإن دفعه وخلص إخلاصه لله لم يضره، وإن ساكنه واطمأن إليه نقص العمل، وحصل لصاحبه من ضعف الإيمان والإخلاص بحسب ما قام في

قلبه من الرياء، وتقاوم العمل لله وما خالطه من شائبة الرياء.

والرياء آفةٌ عظيمةٌ، ويحتاج إلىٰ علاج شديدٍ، وتمرين النفس على الإخلاص، ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء والأغراض الضارة، والاستعانة بالله على دفعها لعلَّ الله يخلص إيمان العبد ويحقق توحيده.

وأَما العمل لأَجل الدنيا وتحصيل أَغراضها:

فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا المقصد، ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة، فهذا ليسَ له في الآخرة من نصيب.

وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن، فإنَّ المؤمن ولو كان ضعيف الإيمان، لابدَّ أَن يريد الله والدار الآخرة.

وأَما من عمل العمل لوجه الله ولأَجل الدنيا، والقصدان متساويان أَو متقاربان فهذا وإن كان مؤمنًا فإنَّه ناقص الإيمان والتوحيد والإخلاص، وعمله ناقص لفقده كمال الإخلاص.

وأَما من عمل لله وحده وأَخلصَ في عمله إخلاصاً تامًّا ولكنه يأخذ على عمله جُعْلاً ومعلوماً يستعين به على العمل والدِّين، كالجعالات التي تجعل على أَعمال الخير، وكالمجاهد الذي يترتب على جهاده غنيمة أَو رزق، وكالأَوقاف التي تُجعَل على المساجد والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها، فهذا لا يضر أَخذه في إيمان العبد وتوحيده لكونه لم يرد بعمله الدنيا، وإنَّما أَراد الدين وقصدَ أَن يكون ما حصل له معيناً له على قيام الدِّين.

ولهذا جعلَ الله في الأَموال الشرعية كالزكوات وأَموال الفيء وغيرها جزءاً كبيراً لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة، كما قد عرفَ تفاصيل ذلك.

فهذا التفصيل يبين لك حكم هذه المسألة كبيرة الشأن ويوجب لك أَن تُنزِل الأُمور منازلها والله أَعلم.

باب
من أطاع العلماء والأُمراء في تحريم ما أحلَّ الله أَو تحليل ما حرَّمه فقد اتخذهم أَرباباً

وقال ابن عباس: يوشِكُ أَن تنزلَ عليكم حجارة من السماء، أَقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أَبو بكر وعمر.

وقال أَحمد بن حنبل: عجبتُ لقومٍ عرفوا الإِسناد وصحته، ويذهبون إِلىٰ رأي سفيان، والله تعالى يقول:

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]

أَتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إِذا ردَّ بعض قوله أَن يقع في قلبه شيءٌ من الزيغ فيهلك.

وعن عدي بن حاتم: أَنَّه سمعَ النبي ﷺ يقرأ هذه الآية:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

فقلتُ له: إِنَّا لسنا نعبدهم. قال: **«أَليسَ يُحرِّمونَ ما أَحلَّ الله فتُحرمونه، ويحلُّون ما حرَّمَ الله فتُحِلونه»**. فقلت: بلى. قال: **«فتِلكَ عبادتهم»**. رواه أَحمد والترمذي وحسَّنه[1].

---

(١) لم أقف عليه في مسند الإمام أحمد، ورواه الترمذي في (السنن) ٥/ ٢٧٨ (كتاب تفسير القرآن) (باب ومن سورة التوبة) حديث رقم (٣٠٩٥) وقال: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث. اهـ)، وقد حسنه شيخ الإسلام في الإيمان ص (٦٤).

□ **فيــــه مســـــائل :**

- **الأولــى :** تفسير آية النور.
- **الثانيــة :** تفسير آية براءة .
- **الثـالثـة :** التنبيه على معنى العبادة التي أَنكرها عدي .
- **الـرابعـة :** تمثيل ابن عباس بأَبي بكرٍ وعمر، وتمثيل أَحمد بسفيان .
- **الخامسـة :** تغير الأَحوال إِلىٰ هـذه الغايـة حتى صار عند الأَكثـر عبادة الـرهبان هي أَفضل الأَعمال وتسمى الـولايــة ، وعبـادة الأَحبــار هي العلم والفقـه ، ثـم تغيَّرت الأَحـوال إِلىٰ أَن عُبِـدَ مـن دون الله من ليسَ من الصالحين ، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين .





باب

قول الله تعالى

(أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا) .

[النساء : ٦٠-٦٢]

وقوله : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) .

[البقرة : ١١]

وقوله : (وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ) [الأعراف : ٥٦] .

(أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [المائدة : ٥٠] .

وعن عبدالله بن عمرو، أَنَّ رسول الله ﷺ قال : «**لا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حتى يكون هواهُ تبعاً لما جئتُ به**»[1] . قال النووي : حديثٌ صحيحٌ ، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح .

---

(١) ذكره النووي في (الأربعين) ص ١٠٧ وقال : حديث حسن صحيح . اهـ والمراد بكتاب الحجة (كتاب الحجة على تاركي سلوك طريق المحجة) لابن الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي . والحديث رواه ابن أبي عاصم (السنة) ١/ ١٢ حديث رقم (١٥) والبغوي (شرح السنة) ١/ ٢١٢ حديث رقم (١٠٤) من طريق نعيم بن حماد بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عقبة بن أوس عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً .
قال ابن رجب (جامع العلوم والحكم) ص ٣٦٤ متعقباً النووي تصحيح الحديث : (تصحيح هذا الحديث بعيد جدًا من وجوه :

=

وقال الشَّعْبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خُصومةٌ، فقال اليهودي: نتحاكم إلىٰ مُحمدٍ ـ عرف أنَه لا يأخذ الرشوة ـ وقال المنافق: نتحاكم إلىٰ اليهود ـ لعلمه أَنهم يأخذون الرِّشوَةَ ـ فاتَّفقَا أَن يأتيا كاهِناً في جُهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [النساء: ٦٠] الآية(١).

وقيل: نَزلتْ في رجلين اختصما، فقال أَحدهما: نترافعُ إلىٰ النبي ﷺ، وقال الآخرُ: إلىٰ كعب بن الأَشرف، ثم ترافعا إلىٰ عمر، فذكرَ له أَحدهما القصة، فقال للذي لم يرضَ برسول الله ﷺ: أَكذلك؟ قال: نعم، فضربهُ بالسيفِ فقتله(٢).

= ◻ ١ - منها: أنه حديث ينفرد به نعيم بن حماد المروزي، ونعيم هذا وإن خلفه كان وثقه جماعة من الأئمة، وخرج له البخاري فإن أئمة الحديث كانوا يحسنون به الظن لصلابته في السنة، وتشدده في الرد على أهل الأهواء وكانوا ينسبونه إلى أنه يتهم، ويشبه عليه في بعض الأحاديث، فلما كثر عثورهم على مناكيره حكموا عليه بالضعف... وأين كان أصحاب عبد الوهاب الثقفي؟ وأصحاب ابن سيرين؟ عن هذا الحديث حتى ينفرد به نعيم.

◻ ٢ - ومنها: أنه قد اختلف على نعيم في إسناده. ثم حكى الاختلاف.

◻ ٣ - ومنها: أن في إسناده عقبة بن أوس السدوسي البصري ويقال فيه يعقوب بن أوس ثم حكى خلاف العلماء في توثيقه وتضعيفه.

◻ ٤ - وذكر عن الغلابي في (تاريخه): يزعمون أنه ـ يعني عقبة بن أوس ـ لم يسمع من عبد الله ابن عمرو، وإنما يقول: قال عبد الله بن عمرو، فعلى هذا تكون رواياته عن عبد الله بن عمرو منقطعة. والله أعلم.

(١) (جامع البيان) لابن جرير ٥/ ٩٧ من طرق عن داود عن عامر الشعبي مرسلاً.

(٢) ذكره معلقاً الواحدي (أسباب النزول) ص ١٠٧ ـ ١٠٨ في التحاكم إلى كعب بن الأشرف فقال: وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: نزلت في رجل من المنافقين... فذكره مطولاً، وكذا ذكره معلقاً البغوي (معالم التنزيل ـ بهامش تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل) ١/ ٥٥٢ وجعله عن أبي صالح وابن عباس وهو تحريف. وهذا الإسناد مع تعليقه فيه (الكلبي) وهو محمد بن السائب بن بشر قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٢/ ١٦٣: (متهم بالكذب ورمي بالرفض).

=

□ **فيـــه مســـائل :**

• **الأولــى :** تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت .

• **الثانيـة :** تفسير آية البقرة : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ .

• **الثـالثـة :** تفسير آية الأعراف : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾

• **الـرابعـة :** تفسير : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾

• **الخامسـة :** ما قاله الشعبي في سبب نزول الآية الأولى .

• **السادسة :** تفسير الإيمان الصادق والكاذب .

• **السابعة :** قصة عمر مع المنافق .

• **الثـامنـة :** كون الإيمان لا يحصل لأحدٍ حتى يكـون هواه تبعاً لما جاءَ بـه الرسول ﷺ .

[التعليـــق :]

بـــاب :

من أطـاع العلماء والأُمراء في تحريم مـا أحلَّ الله أو تحليل مـا حـرَّمه فقد اتخذهم أرباباً

بـــاب :

قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾

ووجـه ما ذكـره المصنف ظـاهر، فـإنَّ الربَّ والإلـٰـه هـو الذي لـه الحكم القـدري، والحكم الشرعي، والحكم الجزائي، وهو الـذي يؤلَّـه ويُعبَد وحـده لا

= وللحـديث طريق أخـرى عن ابن عبـاس رواها الـواحدي (أسبـاب النزول) ص ١٠٦ ــ ١٠٧ والطبراني (المعجم الكبير) ١١/ ٣٧٣ حـديث رقم ١٢٠٤٥ من طريق أبي اليمان حـدثنا صفـوان ابن عمرو عن عكـرمة عن ابن عبـاس قال : كان أبـو برزة الأسلمي كاهنـاً يقضي بين اليهود فيما يتنافـرون إليه ، فتنافر إليـه أناس من أسلم فأنزل الله تعالى ﴿ألم تـر إلى الذين يزعمون﴾ إلى قـوله (رفيقاً) . قال الهيثمي في (مجمـع الزوائد) ٧/ ٦ : (رجاله رجال الصحيح . اهـ) . وذكره الشيخ مقبل في (الصحيح المسند من أسباب النزول) ص ٤٥ .

شريكَ له، ويُطاع طاعةً مطلقةً فلا يُعصى، بحيث تكون الطاعات كلها تبعاً لطاعته، فإذا اتخذَ العبد العلماء والأُمراء على هذا الوجه، وجعلَ طاعتهم هي الأَصل، وطاعة الله ورسوله تبعاً لها فقد اتَّخذهم أَرباباً من دونِ الله يتألهم ويحاكم إليهم، ويقدِّم حكمهم على حكم الله ورسوله، فهذا هو الكفر بعينه، فإنَّ الحكم كله لله، كما أَنَّ العبادة كلها لله.

والواجب على كل أَحد أَنْ لا يتخِذ غير الله حكماً، وأَن يردّ ما تنازع فيه الناس إلىٰ الله ورسوله، وبذلك يكون دين العبد كله لله وتوحيده خالصاً لوجه الله.

وكل من حاكم إلىٰ غير حكم الله ورسوله فقد حاكم إلىٰ الطاغوت، وإِنْ زَعَمَ أَنَّه مؤمِنٌ فهو كاذِب.

فالإيمان لا يصح ولا يتم إلاَّ بتحكيم الله ورسوله في أُصول الدِّين وفروعه، وفي كل الحقوق كما ذكره المصنف في الباب الآخر.

فمن حاكم إلىٰ غيرِ الله ورسوله فقد اتَّخذَ ذلك ربًّا، وقد حَاكَمَ إلىٰ الطاغوت.





بـــاب
مَن جَحَدَ شيئاً من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد : ٣٠].

وفي صحيح البخاري: قـال عليٌّ: حدِّثوا النـاسَ بما يعرفون، أتـريدونَ أن يُكذَّبَ الله ورَسُولُهُ؟[١].

وروى عبدالـرَّزاق عن مَعْمر عن ابن طَاوس عن أَبيه عن ابن عبـاس: أنَّه رأىٰ رجـلاً انتفضَ لمَّا سَمِعَ حديثـاً عن النبي ﷺ في الصِّفَـات استنكاراً لـذلك، فقـال: مـا فَـرَقُ هـؤلاءِ؟ يجدون رِقَّةً عِنـدَ مُحْكَمِـه، ويَهلَكـون عنـد مُتشـابهه؟ انتهى[٢].

ولمَّا سمعتْ قُرِيشٌ رسـول الله ﷺ يذكُـرُ الرحمٰـن، أَنكرُوا ذلك، فـأَنزلَ الله فيهم: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِۚ﴾.

---

(١) رواه البخاري: كتاب العلم بـاب من خص بالعلم قوماً دون قومٍ كـراهية ألا يفهموا (١/ ٥٩) حديث رقم (١٢٧).

(٢) (المصنف) ١١/ ٤٢٣ حديث رقم ٢٠٨٩٥ والحديث المشار إليـه في (الصفات) رواه عبد الرزاق ـ أيضـاً في (المصنف) ١١/ ٤٢٢ حديـث رقم ٢٠٨٩٣ من حديث أبي هـريرة ـــ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: (تحاجت الجنة والنار فقـالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقال الجنة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفـاء الناس وسقطهم وعـرتهم؟ فقال الله للجنـة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبـادي، وقال للنار: إنما أنت عـذابي أعذب بك من أشاء من عبـادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النـار فإنهم يلقون فيها (وتقول هل من مزيد) فـلا تمتلئ حتى يضع رجله ـ أو قال: قدمه ـ فيهـا فتقول: قط قط قط، فهنالك تملأ وتنزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها ما شاء. اهـ).

□ فيــــه مســـــائل :

• **الأولـــى** : عدم الإيمان بجحد شيءٍ من الأَسماء والصفات .

• **الثانيــة** : تفسير آية الرعد .

• **الثـالثـة** : ترك التحديث بما لا يفهم السامع .

• **الـرابعـة** : ذكر العلة أَنه يفضي إِلىٰ تكذيب الله ورسوله ، ولو لم يتعمد المنكر.

• **الخامسـة** : كلام ابن عباس لمن استنكرَ شيئاً من ذلك ، وأَنَّه أَهلكه .

[التعليـــق :]

بـــــاب :

من جحد شيئاً من الأَسماء والصفات

أَصل الإيمان وقـاعـدتـه التـي ينبني عليهـا هـو الإيمان بـالله ، وبـأَسمائه ، وصفاته .

وكلما قوي علم العبد بذلك وإِيمانه به ، وتعبَّدَ لله بذلك قوي توحيده ، فإِذا علِمَ أَنَّ الله متـوحِّد بصفـات الكمال متفرد بـالعظمة والجلال والجمال ليس لـه في كماله مثيل ، أَوجبَ له ذلك أَن يعرف ويتحقق أَنـه هو الإلـٰه الحقّ ، وأَنَّ إِلـٰهية ما سواه باطلـة ، فمن جَحدَ شيئاً من أَسماءِ الله وصفاته فقد أَتىٰ بما ينـاقض التوحيد وينافيه ، وذلك من شعب الكفر.



بـــاب

قـــول الله تـعـالــى

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل : ٨٣] .

قال مجاهِدٌ ما معناه : هو قول الرجل : هذا مالي ورِثتهُ عن آبائي .

وقال عَوْنُ بن عبدالله : لولا فلانٌ لم يكنْ كذا .

وقال ابن قُـتَيْبَةَ : يقولون : هذا بِشفَاعةِ آلهتِنَا .

وقال أَبو العباس بعـدَ حديث زيد بن خالد الـذي فيه : أَنَّ الله تعالى قال : «أَصبحَ من عبـادي مُـؤمِنٌ بي وكافـرٌ»[1] ، الحديث ـــ وقد تقـدَّم ـ وهـذا كثيرٌ في الكتاب والسُّنة ، يَذُمُّ سبحانه من يُضِيفُ إنعامَه إلىٰ غيره ويُشْرِكُ به .

قـال بعضُ السَّلف : هو كقـولهم : كانـت الرِّيحُ طيِّـبةً ، والملاَّحُ حاذِقـاً ، ونحوِ ذلك مما هو جارٍ على أَلسنة كثير [من الناس] .

□ **فيـــه مســـائل :**

• **الأولـــى :** تفسير معرفة النعمة وإنكارها .

• **الثـانيـة :** معرفة أَنَّ هذا جار على أَلِسنة كثير [من الناس] .

• **الثـالثـة :** تسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة .

• **الـرابعـة :** اجتماع الضدين في القلب .

[التـعليـــق :]

بـــــاب :

قول الله تـعـالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل: ٨٣].

---

(١) تقدم تخريجه انظر ص (١٠٩) حاشية رقم (٢) (باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء) .

الـواجب على الخلق إضافـة النعم إلىٰ الله قولاً واعترافـاً كما تقدَّمَ، وبـذلك يتم التوحيـد، فمن أَنكرَ نعم الله بقلبه ولسـانه فذلـك كافرٌ ليس معـه من الدِّين شيء.

ومن أَقرَّ بقلبـه أَنَّ النعم كلها من الله وحده، وهـو بلسانه تـارة يضيفها إلىٰ الله، وتـارة يضيفها إلىٰ نفسـه وعمله وإلىٰ سعي غيره كما هـو جارٍ على أَلسنـة كثيرٍ من النـاس، فهـذا يجب على العبـد أَن يتـوب منـه، وأَن لا يضيف النعم إلاَّ إلىٰ موليهـا، وأَن يجاهد نفسه على ذلك ولا يتحقق الإِيمان التـوحيد إلاَّ بإِضـافة النعم إلى الله قولاً واعترافاً.

فإِنَّ الشكر الذي هو رأس الإِيمان مبني على ثلاثة أَركان:

اعتراف القلب بنعم الله كلها عليه وعلى غيره.

والتحدُّث بها والثناء على الله بها.

والاستعانة بها على طاعة المنعم وعبادته، والله أَعلم.



بـــاب

قــول الله تـعالــى

﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢]

قـال ابن عباس في الآيـة : الأَنداد هـو الشِّركُ ، أَخفىٰ من دبيب النَّمْلِ على صفـاةٍ سوداء في ظلمـةِ الليل ، وهو أَن تقـول : والله وحياتِكَ يـا فُلان وحيـاتي ، وتقول : لولا كُلَيْبَـةُ هذا لأَتانَا اللصـوصُ ، ولولا البطّ في الدار لأَتـانا اللصوص ، وقول الـرجل لصـاحبه : ما شـاءَ الله وشئت ، وقول الـرجل : لـولا الله وفلانٌ ، لا تجعل فيها فلاناً ، هذا كلُّهُ به شِرْكٌ . رواهُ ابن أَبي حاتم(١) .

وعن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنـه ، أَنَّ رسول الله ﷺ قال : «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فقد كَفَر ، أَو أَشْرَكَ» . رواه الترمذي وحسَّنهُ ، وصححه الحاكم(٢) .

---

(١) قال ابـن كثير (التفسير) ١/ ٥٧ ـ ٥٨ : قال ابن أبي حـاتم حدثنـا أحمد بن عمرو بن أبي عـاصم حدثنا أبي عمرو حدثنا أبي الضحاك بن مخلد أبو عاصم حدثنا شبيب بن بشر حدثنا عكرمة عن ابن عباس في قول الله عـز وجل : ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ الحديث بنحـوه . وفي إسناده (شبيب ابن بشر) وهو النجلي قال ابن حجر (تهـذيب التهـذيب) ٤/ ٣٠٦ : (قال الدوري عن ابن معين ثقة . . . وقال أبو حـاتم : لين الحديث حديثه حديث الشيوخ وذكره ابـن حبان في الثقات وقال يخطئ كثيراً . اهـ) .

(٢) لم أقف عليـه عنـد الترمـذي والحاكم عن (عمـر بن الخطـاب) رضي الله عنـه وإنما وقفت عليـه عندهما عن ابن عمر، رواه الترمذي (السنن) ٤/ ١١٠ (كتـاب النذور والإيمان) (باب ما جاء في كـراهيـة الحلف بغير الله) حـديث رقم ١٥٣٥ وقـال : هـذا حـديث حسن . اهــ . والحاكم في (المستدرك) ١/ ١٨ (كتاب الأيمان) وقال : هـذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا بمثل هـذا الإسنـاد وخرجـاه في الكتاب ، وليـس له علـة ولم يخرجـاه) . ورواه في مـوضع آخـر (المستـدرك) ٤/ ٢٩٧ (كتـاب الأيمان والنـذور) وقــال : : (هـذا حـديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . اهـ) .

وقال ابن مسعود: لَأَنْ أَحْلِفَ بالله كاذباً، أَحبُّ إِليَّ مِن أَنْ أَحْلِفَ بغيره صادقاً[(١)].

وعن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقولوا ما شاءَ الله وشاءَ فلانٌ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاءَ فُلان**». رواه أَبو داود بسندٍ صحيح[(٢)].

وجاء عن إِبراهيم النَّخعِي: أَنَّهُ يكرهُ: أَعوذُ بالله وبكَ، ويجوز أَن يقول: بالله ثم بِكَ، قال: ويقول: لولا الله ثم فلانٌ، ولا تقولوا: لولا الله وفلانٌ.

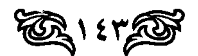
□ **فيه مسائل:**

- **الأولى:** تفسير آية البقرة في الأَنداد.
- **الثانية:** أَنَّ الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأَكبر بأَنَّها تعم الأَصغر.
- **الثالثة:** أَنَّ الحِلف بغيرِ الله شرك.
- **الرابعة:** أَنَّه إِذا حلفَ بغيرِ الله صادقاً فهو أَكبر من اليمين الغموس.
- **الخامسة:** الفرق بين الواو وثم في اللفظ.

---

(١) رواه عبد الرزاق (المصنف) ٨/ ٤٦٩ (كتاب الإيمان والنذور) (باب الأيمان ولا يحلف إلا بالله). حديث رقم ١٥٩٢٩ من طريق الثوري عن أبي سلمة عن وبرة قال: قال عبد الله ـ لا أدري ابن مسعود، أو ابن عمر ـ: لأن أحلف بالله كاذباً... مثله. قال الهيثمي (مجمع الزوائد) ٤/ ١٧٧: (رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح. اهـ) وأبو سلمة المذكور في إسناد عبد الرزاق لم أهتد إليه. ورواية الطبراني المشار إليها في (المعجم الكبير) ٩/ ٢٠٥ حديث رقم (٨٩٠٢) من طريق مسعر بن كدام عن وبرة بن عبد الرحمن قال: قال عبد الله: لأن أحلف... الحديث.

(٢) (السنن) ٥/ ٢٥٩ (كتاب الأدب) (باب لا يقال خبثت نفسي) حديث رقم ٤٩٨٠ وسكت عليه أبو داود ثم المنذري في (مختصر سنن أبي داود) ٧/ ٢٧٤.



[التعليق :]

باب :

قولُ الله تعالى : (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) .

الترجمة السابقة على قوله تعالى :

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا) الآية ، يقصد بها الشرك الأكبر بأَن يجعل لله ندًّا في العبادة والحب والخوف والرجاء وغيرها من العبادات .

وهـذه الترجمة المراد بها الشرك الأَصغر كـالشرك في الأَلفـاظ كـالحلف بغير الله ، وكـالتشريك بين الله وبين خلقـه في الأَلفاظ كـ لـولا الله وفـلان وهذا بـالله وبك ، وكإِضافة الأَشياء ووقوعهـا لغيرِ الله كلولا الحارس لأَتانا اللصوص ، ولولا الدواء الفلاني لهلكت ، ولولا حـذق فلان في المكسب الفلاني لما حصل فكل هذا ينافي التوحيد .

والـواجب أَن تُضَاف الأُمـور ووقـوعها ونفع الأَسبـاب إِلىٰ إِرادة الله وإِلىٰ الله ابتداء ، ويُـذكر مع ذلك مرتبـة السبب ونفعه ، فيقول : لـولا الله ثم كذا ليعلم أَنَّ الأَسباب مربوطة بقضاء الله وقدره .

فلا يتم توحيد العبد حتى لا يجعل لله ندًّا في قلبه وقوله وفعله .



بـــاب

ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر: أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تحلِفوا بآبَائِكُمْ، من حُلِفَ بالله فليُصَدِّق، ومن حُلِفَ له بالله فلْيَرْضَ، ومن لم يَرْضَ فليسَ من الله**». رواه ابن ماجه بسندٍ حسنٍ(١).

☐ **فيـــه مســـائل:**

• **الأولــى:** النهي عن الحلِف بالآباء.

• **الثانيـة:** الأَمر للمحلوف له بالله أَن يرضىٰ.

• **الثـالثـة:** وعيد من لم يرضَ.

[التعليـــق:]

بـــــاب:

ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

ويُراد بهذا إذا توجهت اليمين على خصمك وهو معروف بالصِّدق أَو ظاهره الخير والعدالة، فإِنَّه يتعيَّن عليك الرِضَا والقناعة بيمينه، لأَنَّه ليسَ عندكَ يقين يعارض صدقه.

وما كان عليه المسلمون من تعظيم ربهم وإِجلالهم يوجب عليك أَن ترضىٰ بالحلِف بالله.

---

(١) (السنن) ١/ ٦٧٩ (كتاب الكفارات) (باب من حلف له بالله فليرض) حديث رقم ٢١٠١ قال البوصيري (مصباح الزجاجة) ٢/ ١٤٣: (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات). وقال الألباني (الإرواء) ٨/ ٣١٤: (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات كما قال البوصيري في الزوائد). وفي تصحيح إسناده نظر، لأن فيه (محمد بن عجلان) قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٢/ ١٩٠: (صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة).

وكذلك لو بذلت له اليمين بالله فلـم يرضَ إلاَّ بالحلِف بالطلاق ، أَو دعاء الخصم على نفسه بـالعقوبـات ، فهو داخلٌ في الـوعيد لأَنَّ ذلك سـوء أَدب وترك لتعظيم الله ، واستدراك على حكم الله ورسوله .

وأَما من عرفَ منه الفجور والكذب ، وحلف على مـا تيقن كذبه فيه ، فإِنَّه لا يدخـل تكذيبه في الـوعيد للعلم بكـذبه ، وأَنَّـه ليسَ في قلبه من تعظيـم الله ما يطمئن الناس إِلىٰ يمينه ، فتعين إِخراج هذا النوع من الوعيد لأَنَّ حالته متيقنة والله أَعلم .



بـــاب

قول: ما شاء الله وشئت

عن قُتَيْلَـة: أَنَّ يهوديًّا أتىٰ النبي ﷺ فقـالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تقـولون: مـا شـاء الله وشئتَ، وتقولـون: والكعَبـةِ، فأمرهم النبي ﷺ إذا أَرادوا أَن يحلفـوا أَن يقـولـوا: وربِّ الكعبةِ، وأَن يقـولـوا: مـا شـاء الله ثـم شئتَ، رواه النسـائيُّ وصححه[١].

ولـه أيضاً عن ابن عبـاس: أَنَّ رجـلاً قـال للنبي ﷺ ما شـاء الله وشئْتَ، فقال: «أَجْعلْتَني لله نِدًّا؟ بل ما شاء الله وحدَهُ»[٢].

ولابن ماجه، عن الطُّفيل أَخي عـائشة لأُمِّها، قال: رأيتُ كأنِّي أَتَيْتُ على نفرٍ من اليهود، قلتُ: إِنَّكُمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ لولا أَنَّكُمْ تقـولون عُزيْرٌ ابنُ الله، قالوا: وأنتم لأَنْتُمُ القومُ لـولا أَنَّكُم تقولون: مـا شاء الله وشاء محمد، ثم مـرَرْتُ بنفرٍ من النصارى، فقلت: إِنَّكم لأَنتُم القـومُ لولا أَنكم تقولون: المسيح ابن الله، قـالوا: وأنتم لأَنتُمُ القـوم، لولا أَنَّكم تقـولـون: ما شـاء الله وشاء محمـد، فلمَّا أَصبحتُ أَخبرتُ بها من أَخبرتُ، ثم أَتيـتُ النبيّ ﷺ فـأَخبرتُــه، قـال: «هل أَخبرتَ بها أَحداً؟» قلت: نعم، قـال: فحمِدَ الله وأَثنـىٰ عليه، ثم قـال: «أَمَّـا بعدُ، فـإِنَّ طُفَيْـلاً رأى رُؤيَـا أَخْبَرَ بها من أَخبرَ منكم، وإِنَّكم قلتم كلمـةً كـان يَمْنَعُني كـذا

---

(١) (السنن) ٧/ ٦ (كتـاب الأيمان والنذور) (باب الحلف بـالكعبة) ولم أقف على تصحيـح النسائي له، وقال ابن حجر (الإصابة في تمييز الصحابة) ١٣/ ٩٤: (سنده صحيح. اهـ).

(٢) (عمل اليوم والليلة) ص ٥٤٥ ـ ٥٤٦ (النهي أن يقال ما شاء الله وشاء فلان) حديث رقم ٩٨٨ وابن مـاجه (السنن) ١/ ٦٨٤ (كتـاب الكفارات) (بـاب النهي أن يقـال ما شـاء الله وشئت). حديث رقم ٢١١٧ قال البوصيري (مصباح الزجاجة) ٢/ ١٥٠ (هذا إسناد فيه الأجلح بن عبد الله مختلف فيه ضعفه أحمد وأبـو حاتم وأبو داود وابن سعد، ووثقـه ابن معين والعجلي ويعقوب ابن سفيان، وباقي رجال الإسناد ثقات).

وكذا أَن أَنْهاكُم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده»[١].

□ فيه مسائل:

- **الأولى:** معرفة اليهود بالشرك الأَصغر.
- **الثانية:** فهم الإِنسان إِذا كان له هوى.
- **الثالثة:** قوله ﷺ: «**أَجعلتني لله ندّاً**». فكيفَ بمن قال: يا أَكرمَ الخلق مالي من أَلوذُ به سواك. والبيتين بعده؟.
- **الرابعة:** أَنَّ هذا ليس من الشرك الأَكبر لقوله: «**يمنعني كذا وكذا**».
- **الخامسة:** أَن الرؤيا الصالحة من أَقسام الوحي.
- **السادسة:** أَنها قد تكون سبباً لشرع بعض الأَحكام.

[التعليق:]

باب:

قول: ما شاء الله وشئت

هذه الترجمة داخلة في الترجمة السابقة ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾.

---

(١) (السنن) ١/ ٦٨٥ (كتاب الكفارات) (باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت). حديث رقم ٢١١٨ ولم يسق لفظه، قال البوصيري (مصباح الزجاجة) ٢/ ١٥٢: (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات على شرط مسلم).

بـــاب

من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«قال الله تعالى: يُؤْذِيني ابنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهارَ»**[(١)]. وفي رواية: **«لا تَسُبُّوا الدَّهرَ، فإِنَّ الله هُوَ الدَّهْرُ»**[(٢)].

□ **فيــه مســـائل:**

• **الأولــى:** النهي عن سب الدهر.

• **الثانيــة:** تسميته أذىً لله.

• **الثـالثـة:** التأمُّل في قوله: **«فإِنَّ الله هو الدَّهر»**.

• **الـرابعـة:** أَنه قد يكون سابًّا ولو لم يقصده بقلبه.

[التعليـــق:]

بـــاب:

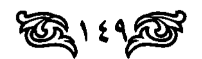
من سبَّ الدهر فقد سبَّ الله

وهـذا واقع كثير في الجاهليـة، وتبعهم على هذا كثير من الفسـاق والمجـان والحمقى، إذا جرت تصـاريف الدهـر على خلاف مرادهم جعلـوا يسبون الـدهر

---

(١) رواه البخاري: كتاب التفسير تفسير سـورة الجاثية باب ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ (٤/ ١٨٢٥-١٨٢٦) رقم (٤٥٤٩) ومسلم: كتـاب الأَلفـاظ من الأَدب بـاب النهي عن سب الـدهـر (٤/ ١٧٦٢) رقم (٢٢٤٦).

(٢) رواه مسلم: كتـاب الأَلفاظ من الأَدب بـاب النهي عن سب الـدهر (٤/ ١٧٦٣) حـديث رقم (٢٢٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.



والـوقـت، وربما لعنـوه. وهـذا نـاشيء من ضعف الـديـن ومن الحمق والجهل العظيم، فإنَّ الدهـر ليس عنده من الأمر شيء، فإنَّـه مدبَّـرٌ مصرَّفٌ والتصاريف الواقعة فيه تدبير العزيز الحكيم، ففي الحقيقة يقع العيب والسب على مدبره.

وكما أنَّه نقـص في الدِّين فهو نقـصٌ في العقل، فيه تزداد المصـائب ويعظم وقعها ويغلق باب الصبر الواجب، وهذا مُنافٍ للتوحيد.

أَما المؤمِن فإنـه يعلم أَنَّ التصاريف واقعة بقضاء الله وقـدره وحكمته، فلا يتعرض لعيب ما لم يعبه الله ولا رسوله، بل يرضى بتدبير الله ويسلم لأَمره وبذلك يتم توحيده وطمأنينته.



بـــاب
التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن أَبي هـريرة عن النبي ﷺ قـال: «**إِنَّ أَخْنَعَ اسمٍ عندَ الله، رجلٌ تسمَّى مَلِكَ الأَملاكِ، لا مَالِكَ إِلَّا الله**»[1].

قال سُفيان: مثلُ شَاهَانْ شَاهْ.

وفي رواية: «**أَغْيَظُ رَجُلٍ على الله يومَ القيامةِ وأَخْبَثُهُ**»[2].

قوله: «**أَخْنَعَ**» يعني: أَوْضَع.

□ **فيـــه مســـائل:**

- **الأولـــى:** النهي عن التسمي بملك الأَملاك.
- **الثـانيـة:** أَنَّ ما في معناه مثله كما قال سفيان.
- **الثـالثـة:** التفطن للتغليظ في هـذا ونحـوه، مـع القطع بـأَن القلب لم يقصـد معناه.
- **الرابعـة:** التفطن أَنَّ هذا لإجلال الله سبحانه.

---

(١) رواه البخاري: كتـاب الأَدب باب أَبغض الأَسماء إلى الله (٥/ ٢٢٩٢) حـديث رقم (٥٨٥٣). ومسلم: كتـاب الآداب بـاب تحريم التسمـي بملك الأَمـلاك، وبملك الملـوك، (٣/ ١٦٨٨) حديث رقم (٢١٤٣).

(٢) رواه مسلم: كتـاب الآداب بـاب تحريم التسمـي بملك الأَمـلاك وبملك الملـوك (٣/ ١٦٨٨) حديث رقم (٢١٤٣). وتمام الحديث: «وأغيظـه عليه رجل كـان يسمى ملك الأملاك لا ملك إلا الله».

بـــاب
احترام أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أَبي شُرَيْح: أَنَّه كان يكنى أَبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: «إِنَّ الله هو الحكمُ، وإِليه الحُكْمُ»، فقال: إِنَّ قومي إِذا اختلفوا في شيء أَتوني فَحَكَمتُ بينهم، فرضيَ كلا الفريقين، فقال: «ما أَحسنَ هذا! فما لَكَ من الوَلَدِ؟» قلتُ: شريحٌ، ومسلمٌ، وعبدالله، قال: «فمن أَكبَرُهم؟». قلت: شريحٌ، قال: «فأَنتَ أَبو شريح». رواه أَبو داود وغيره(١).

□ فيــــه مســـائل:

• **الأولــى:** احترام صفات الله وأسماء الله ولو لم يُقصَد معناه.

• **الثانيـة:** تغيير الاسم لأَجل ذلك.

• **الثـالثـة:** اختيار أَكبر الأَبناء للْكُنية.

[التعليـــق:]

بـــاب:

التسمي بقاضي القضاة ونحوه

وباب احترام أَسماء الله، وتغيير الاسم لذلك

وهاتان الترجمتان من فروع الباب السابق، وهو أَنَّه يجب أَن لا يُجعَل لله ندٌّ في النيات والأَقوال والأَفعال، فلا يسمى أَحدٌ باسم فيه نوع مشاركة لله في أَسمائه وصفاته، كقاضي القضاة وملك الملوك ونحوها، وحاكم الحكام، أَو بأَبي الحكم

---

(١) (السنن) ٥/ ٢٤٠ (كتاب الأدب) (باب في تفسير الاسم القبيح) حديث ٤٩٥٥ ورواه ـ أيضاً ـ النسائي (السنن) ٨/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧ (كتاب آداب القضاء) (باب إذا حكموا رجلاً فقضى بينهم). وسكت عليه أبو داود ثم المنذري (مختصر سنن أبي داود) ٧/ ٢٥٤ وفي إسناده (يزيد ابن المقدام بن شرع) قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٢/ ٣٧١: (صدوق أخطأ عبد الحق في تضعيفه). فالإسناد لأجله حسن لذاته.

ونحوه، وكل هذا حفظٌ للتوحيد ولأَسماء الله وصفـاته، ودفعٌ لوسائل الشرك حتى في الأَلفـاظ التي يُخشى أَن يُتـدرَّجَ منها إِلىٰ أَن يُظـنَّ مشاركـةُ أَحـدٍ لله في شيء من خصائصه وحقوقه.



بـــاب

من هزلَ بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥].

وعن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة ـ دخلَ حديثُ بعضهم في بعض ـ أَنَّه قال رجلٌ في غزْوَةِ تبُوك: ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء، أَرْغَبُ بطوناً، ولا أَكْذَبُ أَلْسُناً، ولا أَجْبَنُ عند اللِّقَاءِ، يعني رسولَ الله ﷺ وأصحابه القُرَّاء، فقال له عَوْفُ بن مالكٍ: كَذَبتَ، ولكنك مُنَافِقٌ، لأُخبِرَنَّ رسول الله ﷺ فذهبَ عوفٌ إلىٰ رسول الله ﷺ، ليُخْبِرَهُ، فوجدَ القرآن قد سبقهُ، فجاء ذلك الرَّجلُ إلىٰ رسول الله ﷺ وقد ارتحلَ وركِبَ ناقتَهُ. فقال: يا رسول الله، إنَّما كُنَّا نخوضُ ونتحدَّثُ حديثَ الركْبِ نقطعُ به عناء الطريق، قال ابن عمر: كأنِّي أَنْظُرُ إليه متعلِّقاً بِنِسْعَةِ نَاقةِ رسول الله ﷺ وإنَّ الحِجَارة تنكبُ رِجْلَيْه، وهو يقول: إنَّما كُنَّا نخوضُ ونلعبُ، فيقول له رسول الله ﷺ:

﴿ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [سورة التوبة: ٦٥-٦٦]. ما يَلْتَفِتُ إليه وما يزيدُهُ عليه»[١].

☐ **فيـــه مســـائل:**

- **الأولـى:** ـ وهي العظيمة ـ أَنَّ من هزلَ بهذا، أنَّه كافر.
- **الثانيـة:** أَنَّ هذا تفسير الآية فيمن فعلَ ذلك كائناً من كان.

---

(١) حديث ابن عمر رواه ابن جرير (جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ محمود شاكر) ١٤/ ٣٣٣ حديث رقم ١٦٩١٢، وحديث محمد بن كعب رواه ابن جرير حديث رقم ١٦٩١٦، وحديث زيد بن أسلم رواه ابن جرير حديث رقم ١٦٩١١ وحديث قتادة رواه ابن جرير حديث ١٦٩١٤ وحديث ١٦٩١٥.

• **الثـالثـة :** الفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ولرسوله .

• **الـرابعـة :** الفرق بين العفو الذي يحبه الله ، الغلظة على أعداء الله .

• **الخامسـة :** أَنَّ من الاعذار مالا ينبغي أَن يُقبَل .

[التعليـــق :]

بـــــاب :

من هزلَ بشيء فيه ذكر الله أَو القرآن أَو الرسول

أَي فإن هذا منـافٍ للإيمان بـالكلية ، ومخرج من الديـن . لأَن أصل الدين الإيمان بالله وكتبه ورسله .

ومن الإيمان تعظيم ذلك ، ومن المعلـوم أَنَّ الاستهزاء والهزل بشيء من هـذه أَشدّ من الكفر المجرد ، لأَنَّ هذا كفر وزيادة احتقار وازدراء .

فإِنَّ الكفار نوعان : معرضون ومعارضون .

فالمعـارض المحارب لله ورسـوله ، القادح بـالله وبدينـه ورسولـه أَغلظ كفراً وأَعظم فساداً .

والهازل بشيء منها من هذا النوع .



بـــاب
ما جاء في قول الله تعالى

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [فصلت: ٥٠].

قال مجاهد: هذا بعملي، وأنا محقوقٌ به.

وقال ابن عباس: يُريدُ من عندي.

وقوله: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص: ٧٨].

قال قتادة: على علم مني بوجوهِ المكاسب وقال آخرون: على علم من الله أنّي له أهلٌ وهذا معنى قول مجاهد: أُوتيتُهُ على شرفٍ.

وعن أَبي هريرة، أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ ثلاثةً من بني إسرائيلَ: أَبْـرَصَ وأَقْـرَعَ وأَعْمَى، فأَرادَ الله أَن يبتليَهُمْ، فبعـثَ إليهم مَلَكاً، فـأَتى الأَبـرَصَ فقال: أَيُّ شَيءٍ أَحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حسنٌ وجلدٌ حسنٌ، ويَذهبُ عنّي الذي قـد قذرني النـاسُ به، قـال: فمسحهُ، فـذهبَ عنه قَـذَرُهُ، فأُعطيَ لـوناً حسنـاً وجلداً حسناً، قال: فأَيُّ المال أَحبُّ إليك؟ قال: الإبلُ أَو البقرُ ـ شكَّ إسحاق ـ فأُعطيَ ناقَةً عُشَراء، فقال: بارك الله لك فيها.

قـال: فـأَتىٰ الأَقْرَعَ، فقـال: أَيُّ شيءٍ أَحبُّ إليكَ؟ قـال: شَعْـرٌ حسن، ويذهـب عني الذي قـد قَذَرني الناسُ بـه، فمسحهُ فـذهبَ عنه، وأُعطـيَ شَعْراً حسناً، فقال: أَيُّ المال أَحبُّ إليك؟ قال: البقرُ، أَو الإبـلُ، فأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً، قال: بـاركَ الله لك فيها. قال: وأَتىٰ الأَعمى فقـال: أَي شيءٍ أَحبُّ إليك؟ قال: أَن يَرُدَّ الله إليَّ بَصري، فـأُبصرَ به النـاس، فمسحهُ فـردَّ الله إليه بصره، قـال: فأَيُّ

المال أَحبُّ إليك؟ قال: الغنَمُ، فأُعطيَ شاةً والداً، فأَنتجَ هٰذَانِ وولَّد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم.

قال: ثم إِنَّهُ أَتى الأَبرص في صورته وهيئتهِ، فقال: رجلٌ مسكينٌ وابن سبيل قد انقطعت بي الحبالُ في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلَّا بالله ثم بكَ، أَسْأَلُكَ بالذي أَعطَاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال ــ بعيراً أَتبلَّغُ به في سفري، فقال: الْحُقُوقُ كثيرةٌ، فقال له: كأَنِّي أَعرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبَرصَ يقذركَ الناسُ فقيراً، فأَعطاك الله عز وجل المال؟ فقال: إِنَّمَا وَرِثْتُ هذا المال كابراً عن كابر، فقال: إِنْ كنتَ كاذِباً فصَيَّرَكَ الله إِلىٰ ما كُنْتَ.

قال: وأَتىٰ الأَقْرَعَ في صورته، فقال لـه مثل ما قال لهذا، وردَّ عليه مثل ما ردَّ عليه هذا، فقال: إِنْ كنتَ كاذِباً فصَيَّرَكَ الله إِلىٰ ما كنت.

قال: ثم أنه أتىٰ الأَعمى في صورته، فقال: رَجُلٌ مسكينٌ وابْنُ سَبيل، قد انقطعت بي الحبالُ في سفري، فلا بلاغَ لي اليومَ إِلَّا بالله ثُمَّ بك، أَسْأَلُكَ بالَّذي ردَّ عليك بَصَرَكَ شاةً أَتبلَّغُ بها في سفري، فقال: قَد كنتُ أَعمى فردَّ الله إِليَّ بصري، فَخذْ ما شِئْتَ، ودَعْ ما شِئتَ، فوالله لا أَجْهَدُكَ اليوم بشيءٍ أَخذْتَهُ لله، فقال: أَمْسِكْ مالَكَ، فإِنَّما ابْتليتُمْ، فقد رضي الله عنك وسخِطَ على صَاحِبَيْكَ». أَخرجاه[1].

☐ فيه مسائل:

• **الأولى**: تفسير الآية.

• **الثانية**: ما معنى: (لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي).

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأنبياء باب حديث أبرص وأعمى وأقرع بني إسرائيل (٣/ ١٢٧٦) حديث رقم (٣٢٧٧). ومسلم: كتاب الزهد والرقائق (٤/ ٢٢٧٥ ـ ٢٢٧٧) حديث رقم (٢٩٦٤).

• **الثالثة** : ما معنى قوله : ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ .

• **الرابعة** : ما في هذه القصة العجيبة من العِبَرِ العظيمة .

[التعليق :]

بـــاب :

قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ﴾ .

مقصود هذه الترجمة أَنَّ كل من زَعَمَ أَنَّ ما أُوتِيَهُ من النعم والرزق فهو بكده وحذقه وفطنته، أَو أَنَّه مستحق لذلك لما يظن له على الله من الحقّ فإِنَّ هذا منافٍ للتوحيد لأَنَّ المؤمن حقًّا من يعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة ويثني على الله بها، ويضيفها إِلىٰ فضله وإِحسانه، ويستعين بها على طاعته ولا يرىٰ له حقًّا على الله، وإِنَّما الحقّ كله لله، وأَنَّه عبد محض من جميع الوجوه، فبهذا يتحقق الإِيمان والتوحيد، وبضده يتحقق كفران النعم، والعجب بالنفس والإِدلال الذي هو من أَعظم العيوب .



بـــاب

قـــول الله تعالـــى

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

[الأعراف : ١٩٠]

قال ابـن حَزْمٍ : اتَّفَقوا على تحريم كـلِّ اسم مُعبَّد لغيرِ الله ، كعبـد عمرو، وعبدِ الكعبةِ ، وما أَشبه ذلك ، حاشا عبدَ المطَّلب(١) .

وعن ابن عبـاس في الآية : قـال : لمَّا تغشَّـاهـا آدمُ حملت ، فأتـاهما إبليس فقال : إني صاحِبُكُما الـذي أَخرجتكما من الجنةِ لَـتُطيعاني أَو لأَجْعلنَّ لـه قرنَيْ إبل فيخرُجُ من بطنِكِ فيشقُّه ، ولأَفعلنَّ ولأَفعلنَّ ، يُخوِّفُهما ، سمِّياهُ عبدَ الحارث ، فأَبيا أَن يُطيعاهُ ، فخـرج ميتًا ، ثم حملت ، فأَتاهما ، فقـال مثل قوله ، فأَبيـا أَن يطيعاه ، فخـرجَ ميتًا ، فـأَتـاهما فذكـرَ لهما ، فأَدركهما حبُّ الـولـد ، فسمَّياهُ عبـدالحارث ، فذلك قوله : ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ ﴾. رواه ابن أَبي حاتم(٢) .

وله بسندٍ صحيحٍ عن قتادة ، قال : شركاء في طاعته ، ولم يكن في عبادته .

وله بسند صحيح عن مجاهد ، في قوله :

﴿ لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ [الأعراف : ١٨٩].

---

(١) وذلك لأَن تسميته بهذا الإسم لا محذور فيها ، لأَنَّ أَصله من عبودية الرق .

(٢) ذكـره ابن كثير (التفسير) ٢/ ٢٧٥ من طـريق عبـد الله بن المبـارك عـن شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قـوله تعالى ﴿فلما آتاهما صـالحاً﴾[الأعراف : ١٩٠] ثم قال : (وكأنه ــ والله أعلم ـ أصلـه مأخوذ من أهل الكتاب ، فإن ابـن عباس رواه عن أبي بن كعب كما رواه ابن أبي حاتم حـدثنا أبي حدثنـا أبو الجماهر حدثنـا سعيد ـ يعني ابن بشير ــ عن عقبة عن قتادة عن مجاهـد عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال : لما حملت حـواء أتاها الشيطـان) . وقال ابن كثير: (وهذه الآثار يظهـر عليها ـ والله أعلم ـ أنها من آثار أهل الكتاب . اهـ) وقال في بيان المراد في هـذا السياق : (وأمـا نحن فعلى مذهب الحسـن البصري ـ رحمه الله ــ في هذا وأنـه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته . اهـ) .

قال : أَشفقا أَن لا يكون إِنساناً .

وذكرَ معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما .

□ **فيـــه مســـائل :**

• **الأولـــى :** تحريم كل اسم معبد لغير الله .

• **الثانيـة :** تفسير الآية .

• **الثـالثـة :** انَّ هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها .

• **الـرابعـة :** انَّ هبة الله للرجل البنت السوية من النعم .

• **الخامسـة :** ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة .

[التعليـــق :]

بـــــاب :

قول الله تعالى: (فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ) .

مقصود الترجمة أَنَّ من أَنعـم الله عليهم بالأَولاد ، وكمَّل الله النعمـة بهم بأَن جعلهم صـــالحين في أَبـــدانهم ، وتمام ذلـك أَن يصلحـــوا في دينهم ، فعليهم أَن يشكـروا الله على إِنعـامـه وأَن لا يُعبِّـدُوا أَولادَهم لغير الله ، أَو يضيفـوا النعم لغير الله ، فإِنَّ ذلك كفران للنعم مناف للتوحيد .



باب

قول الله تعالى

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ الآية .

[الأعراف : ١٨٠]

ذكرَ ابنُ أَبي حاتم[١] عن ابن عباس : ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ : يُشرِكون .

وعنه : سَمُّوا اللَّات من الإلـٰهِ ، والعُزَّى من العَزِيز.

وعن الأَعمش : يُدخلون فيها ما ليسَ منها .

□ **فيـــه مســـائل :**

• **الأولـى :** إثبات الأَسماء .

• **الثانيـة :** كونها حسنى .

• **الثـالثـة :** الأَمر بدعائه بها .

• **الرابعـة :** ترك من عارض من الجاهلين الملحدين .

• **الخامسـة :** تفسير الإِلحاد فيها .

• **السادسة :** وعيد من أَلحَدَ .

[التعليـــق :]

بـــاب :

قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ .

أَصل التوحيد إثبات ما أَثبته الله لنفسه ، أَو أثبته له رسوله من الأَسماء الحسنى ، ومعرفة ما احتوت عليه من المعاني الجليلة ، والمعارف الجميلة ، والتعبُّد لله بها ودعاؤه بها .

---

(١) (الدر المنثور) ٣/ ١٤٩ وفيه (واللات من الله . . .) .

فكل مطلب يطلبه العبد من ربه من أُمور دينه ودنياه. فليتوسل إليه باسم مناسب له من أَسماء الله الحسنى، فمن دعاه لحصول رزق فليسأله باسمه الرزاق، ولحصول رحمة ومغفرة فباسمه الرحيم الرحمن البر الكريم العفو الغفور التواب ونحو ذلك.

وأَفضل من ذلك أَن يدعوه بأَسمائه وصفاته دعاء العبادة، وذلك باستحضار معاني الأَسماء الحسنى وتحصيلها في القلوب حتى تتأَثَّر القلوب بآثارها ومقتضياتها، وتمتلىء بأَجلّ المعارف.

فمثلاً أَسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تملأ القلوب تعظيماً لله وإِجلالاً له.

وأَسماء الجمال والبر والإِحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة لله وشوقاً له وحمداً له وشكراً.

وأَسماء العزّ والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعاً لله وخشوعاً وانكساراً بين يديه.

وأَسماء العلم والخبرة والإِحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلب مراقبة لله في الحركات والسكنات وحراسة للخواطر عن الأَفكار الردية والإِرادات الفاسدة.

وأَسماء الغنى واللطف تملأ القلب افتقاراً واضطراراً إِليه، والتفاتاً إِليه كل وقت، في كل حال.

فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأَسمائه وصفاته، وتعبُّده بها لله لا يحصِّل العبد في الدنيا أجلَّ ولا أَفضلَ ولا أَكملَ منها، وهي أَفضل العطايا من الله لعبده، وهي روح التوحيد وروحه.

ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخالص، والإِيمان الكامل الذي لا يحصل إِلاَّ للكُمَّل من الموحِّدين.

وإثبات الأَسماء والصفات هو الأَصل لهذا المطلب الأَعلى.

وأَمـا الإلحاد في أَسماء الله وصفاتـه فـإِنَّـه ينافي هـذا المقصـد العظيم أَعظم منافاة.

والإلحاد أَنواع:

إما أَن ينفي الملحد معانيها كما تفعله الجهمية ومن تبعهم.

وإما بتشبيهها بصفات المخلوقين كما يفعله المشبهة من الرافضة وغيرهم.

وإمـا بتسميـة المخلـوقين بها كما يفعلـه المشركـون حيث سمـوا الـلات من الإلـٰه، والعزى من العـزيز، ومناة من المنان، فـاشتقوا لها من أَسماء الله الحسنى، فشبَّهوها بالله ثم جعلوا لها من حقوق العبادة ما هو من حقوق الله الخاصة.

فحقيقـة الإلحاد في أَسماء الله هـو الميل بها عن مقصـودهـا لفظـاً أَو معنىً، تصريحاً أَو تأويلاً أَو تحريفاً، وكل ذلك منافٍ للتوحيد والإيمان.



بـــاب

لا يُقال: السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: كُنَّا إذا كُنَّا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي ﷺ: «لا تقولوا السلام على الله، فإنَّ الله هو السلام»(١).

□ **فيـــه مســـائل:**

- **الأولـى:** تفسير السلام.
- **الثانيـة:** أنَّه تحية.
- **الثـالثـة:** أنَّها لا تصلح لله.
- **الـرابعـة:** العلة في ذلك.
- **الخامسة:** تعليمهم التحية التي لا تصلح لله.

[التعليـــق:]

بـــاب:

لا يُقال السلام على الله

وقَد بيَّن ﷺ هذا المعنى بقوله: «**فإنَّ الله هو السلام**»، فهو تعالى السلام السالم من كل عيب ونقص، وعن مماثلة أَحد من خلقه له، وهو المسلِّم لعباده من الآفات والبليات، فالعباد لن يبلغوا ضره فيضروه، ولن يبلغوا نفعه فينفعوه، بل هم الفقراء إليه، المحتاجون إليه في جميع أَحوالهم، وهو الغني الحميد.

---

(١) رواه البخاري: كتاب صفة الصلاة باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد وليس بواجب (١/ ٢٨٧) حديث رقم (٨٠٠). ومسلم: كتاب الصلاة باب التشهد في الصلاة (١/ ٣٠١ـ ٣٠٢) حديث رقم (٤٠٢).

بـــاب

قول: اللهم اغفر لي إن شئتَ

في الصحيح عن أَبي هريـرة أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا يقُلْ أَحدُكم: اللهمَّ اغفر لي إنْ شِئتَ، اللهم ارحمني إنْ شِئْتَ، ليعزِمِ المسألة فإِنَّ الله لا مُكْرِهَ لهُ**»(١).

ولمسلم: «**وليُعْظِمِ الرغبةَ فإِنَّ الله لا يتعاظمه شيء أَعطاه**»(٢).

□ **فيـــه مســـائل:**

- **الأولـــى:** النهي عن الاستثناء في الدعاء.
- **الثانيـة:** بيان العلة في ذلك.
- **الثـالثـة:** قوله: «**ليعزم المسألة**».
- **الـرابعـة:** إعظام الرغبة.
- **الخامسـة:** التعليل لهذا الأَمر.

[التعليـــق:]

بـــاب:

قول: اللهم اغفر لي إن شِئتَ

الأُمور كلها وإِنْ كانت بمشيئة الله وإِرادته، فالمطالب الدينية كسؤال الرحمة والمغفـرة، والمطالب الـدنيويـة المعينة على الـدِّين كسـؤال العافيـة والرزق وتـوابع ذلك، قـد أُمِرَ العبـد أَن يسألها من ربـه طلباً ملحّـاً جـازماً، وهـذا الطَّلَب عين العبودية ومحلها.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الـدعوات باب ليعزم المسألـة فإِنَّه لا مكره لـه (٥/ ٢٣٣٤). حديث رقم (٥٩٨٠). ومسلم: كتاب الـذكر والدعاء بـاب العزم بالـدعاء ولا يقل إن شئت (٤/ ٢٠٦٣) حديث رقم (٢٦٧٩).

(٢) رواه مسلم: كتاب الـذكر والدعـاء باب العزم بـالدعـاء ولا يقل إن شئت (٤/ ٢٠٦٣) حديث رقم (٢٦٧٩).

ولا يتم ذلك إلاَّ بالطلب الجازم الذي ليسَ فيه تعليق بـالمشيئة، لأَنَّه مأمورٌ به، وهو خيرٌ محضٌ لا ضررَ فيه، والله تعالى لا يتعاظمه شيء.

وبهذا يظهـر الفـرق بين هـذا وبين سـؤال بعـض المطـالب المعينـة التي لا يتحقق مصلحتها ومنفعتهـا، ولا يجزم أَن حصولها خير للعبد. فالعبـد يسأل ربه ويعلقه على اختيـار ربه لـه أَصلح الأَمرين، كـالدُّعـاء المأثور: «**اللهم أَحيني إِذا كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إِذا علمت الوفاة خيراً لي**». وكدعاء الاستخارة.

فـافهم هذا الفـرق اللطيف البديع بين طلب الأُمـور النافعـة لمعلوم نفعهـا وعدم ضررهـا، وأَنَّ الدَّاعي يجزم بطلبهـا ولا يعلقها، وبين طلب الأُمـور التي لا يدري العبـد عن عواقبها، ولا رجحان نفعهـا على ضررها، فالـدَّاعي يعلقها على اختيار ربه الذي أَحاطَ بكل شيء علماً وقدرةً ورحمةً ولطفاً.



بـــاب

لا يَقول: عبدي وأَمتي

في الصحيح عن أَبي هريرة، أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يَقُلْ أَحدُكُم أَطْعِم ربك، وضِّىءْ ربك، ولْيَقُل: سيـدي ومولاي، ولا يقل أَحدُكـم: عبدي وأَمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغُلامي»[(1)].

□ **فيـــه مســـائل:**

• **الأولـى:** النهي عن قول: عبدي وأَمتي.

• **الثانيـة:** لا يقول العبد ربي، ولا يُقال له: أَطعم ربك.

• **الثـالثـة:** تعليم الأَول قول: فتاي وفتاتي وغلامي.

• **الـرابعـة:** تعليم الثاني قول: سيدي ومولاي.

• **الخامسـة:** التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الأَلفاظ.

[التعليـــق:]

بـــــاب:

لا يقل عبدي وأَمتي

وهذا على وجه الاستحباب أَن يعدِل العبـد عن قول عبدي وأَمَتي إلىٰ فتاي وفتـاتي، تحفظـاً عن اللفظ الـذي فيـه إِيهام ومحذور ولـو على وجـه بعيـد، وليس حرامـاً، وإِنَّما الأَدَب كمال التحفُظ بالأَلفـاظ الطيبة التـي لا توهم محذوراً بـوجه. فـإِنَّ الأَدب في الأَلفاظ دليلٌ على كمال الإِخـلاص، خصوصـاً هذه الأَلفـاظ التي هي أَمسّ بهذا المقام.

---

(١) رواه البخـاري: كتـاب العتق بـاب كـراهيـة التطـاول على الـرقيق (٢/ ٩٠١) حـديث رقم (٢٤١٤). ومسلم: كتـاب الأَلفـاظ من الأَدب بـاب حكم إِطـلاق لفظة العبـد والأُمـة والمولى والسيد (٤/ ١٧٦٤) حديث رقم (٢٢٤٩).

بـــاب
لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمـر رضي الله عنهما، قال: قـال رسول الله ﷺ: «**من سـأَلَ بالله فـأَعْطُوهُ، ومن استعـاذَ بـالله فأَعيـذوه، ومن دعَاكـم فأَجيبـوه، ومن صَنَعَ إِليكم معروفاً فكافئـوه، فإِنْ لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا لـه حتى تروا أَنَّكم قد كافأتموه**».

رواه أَبو داود والنسائي بسندٍ صحيحٍ[1].

□ **فيـــه مســـائل:**

- **الأولـى:** إعاذة من استعاذ بالله.
- **الثانيـة:** إعطاء من سأَلَ بالله.
- **الثـالثـة:** إجابة الدعوة.
- **الـرابعـة:** المكافأة على الصنيعة.
- **الخامسـة:** أَنَّ الدعاء مكافأة لمن لم يقدِر إلاَّ عليه.
- **السادسـة:** قوله: «**حتى تروا أَنكم قد كافأتموه**».

---

(١) رواه أبو داود (السنـن) ٢/ ٣١٠ (كتاب الزكـاة) (باب عطيـة من سأل بالله) حـديث رقم ١٦٧٢ والنسائي (السنن) ٥/ ٨٢ (كتاب الزكاة) (بـاب من سأل بالله عز وجل) والحاكم في (المستدرك) ١/ ٤١٢ وقـال: (هذا حـديث صحيح على شرط الشيخين). وقال الـذهبي: (على شرطهما). والحديث سكت عليـه أبـو داود ثم المنـذري (مختصر سنن أبي داود) ٣/ ٢٥٣ وإسناده رجـالـه ثقات ليس فيه إلا ما يخشى من عنعنة الأعمش له عن مجاهد.

بـــاب

لا يسأل بوجه الله إلاَّ الجنة

عن جابر، قـال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُسْأَلُ بِوَجْـهِ الله إِلاَّ الجنة». رواه أبو داود[1].

☐ **فيـــه مســـائل:**

• **الأولــى:** النهي عن أن يُسأَل بوجه الله إلاَّ غاية المطالب.

• **الثانيـة:** إثبات صفة الوجه.

[التعليــق:]

بـــاب:

لا يرد من سألَ بالله

وباب لا يسأل بوجه الله إلاَّ الجنة

الباب الأول خطاب للمسؤول: وأَنَّه إذا أدلىٰ على الإنسان أَحد بحاجة وتوسل إليه بأَعظم الوسائل، وهـو السؤال بالله، أَن يجيبه احتراماً وتعظيماً لحقِّ الله، وأَداءً لحقِّ أَخيه حيث أَدلى بهذا السبب الأَعظَم.

والباب الثاني خطاب للسائل: وأَنَّ عليه أَن يحترم أَسماء الله وصفـاته، وأَن لا يسأل شيئـاً من المطـالب الـدنيـوية بـوجـه الله، بل لا يسأل بـوجهـه إلاَّ أَهـم المطالب وأَعظم المقاصد وهي الجنة بما فيهـا من النعيم المقيم، ورضا الرب والنظر

---

(١) (السنن) ٢/ ٣٠٩ ـ ٣١٠ (كتـاب الزكـاة) (باب كراهيـة المسألة بـوجه الله تعـالى). حديث رقم ١٦٧١ قال المنـذري (مختصر السنن) ٢/ ٢٥٢: (في إسناده سليمان بـن معاذ قال الـدارقطني: سليمان بن معاذ وهـو سليمان بن قرم... تكلم فيـه غير واحد). وقـال المناوي (فيض القـدير) ٦/ ٤٥١: (قـال في المهـذب: سليمان بن معاذ قـال ابن معين: ليس بشيء. وقـال عبـد الحق وابن القطان: ضعيف. اهـ).

إِلىٰ وجهه الكريـم والتلذذ بخطابه ، فهــذا المطلـب الأَسنى هو الذي يسأل بوجه الله .

وأَما المطالب الـدنيوية والأُمور الدنيئة وإِنْ كـانَ العبد لا يسألها إِلاَّ من ربه فإِنَّه لا يسألها بوجهه .



باب
ما جاء في اللو

وقولِ الله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾ .

[آل عمران : ١٥٤]

وقولهِ : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ﴾ [آل عمران : ١٦٨] .

في الصحيح عن أَبي هريرة ، أَنَّ رسول الله ﷺ قال : **«احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ ، واستَعِنْ بالله ، ولا تَعْجِزَنَّ ، وإِن أَصابَكَ شيءٌ فلا تقُل : لو أَني فعلتُ كذا لكانَ كذا وكذا . ولكن قُلْ : قَدَّرَ الله وما شاء فعل ، فإِنَّ لو تفتَحُ عَمَلَ الشيطان»**[1] .

□ **فيه مسائل :**

- **الأولى :** تفسير الآيتين في آل عمران .
- **الثانية :** النهي الصريح عن قول : «لو» إذا أَصابك شيء .
- **الثالثة :** تعليل المسألة بأَنَّ ذلك يفتح عمل الشيطان .
- **الرابعة :** الإِرشاد إِلىٰ الكلام الحسن .
- **الخامسة :** الأَمرُ بالحرص على ما ينفع ، مع الاستعانة بالله .
- **السادسة :** النهي عن ضد ذلك وهو العجز .

[التعليق :]

باب :

ما جاء في اللو

اعلم أَنَّ استعمال العبد للفظة : «لو» تقع على قسمين : مذموم ومحمود .

---

(١) رواه مسلم : كتاب القدر باب في الأَمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (٤/ ٢٠٥٢) حديث رقم (٢٦٦٤) . وأوله : «المؤمن القوي خير وأَحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، أَحرص . . .» .

أَما المذموم فأَن يقع منه أَو عليه أَمرٌ لا يحبه فيقول: لو أَني فعلتُ كذا لكان كذا، فهذا من عمل الشيطان، لأَن فيه محذورين:

أحدهما: أَنها تفتح عليه باب الندم والسخط والحزن الذي ينبغي له إغلاقه، وليسَ فيها نفع.

الثاني: أَنَّ في ذلك سوء أَدَب على الله وعلى قدره فإِنَّ الأُمور كلها والحوادث دقيقها وجليلها بقضاء الله وقدره، وما وقعَ من الأُمور فلابدَّ من وقوعه، ولا يمكن رده، فكأن في قوله: لو كان كذا أَو لو فعلت كذا كان كذا، نوع اعتراض ونوع ضعف إيمان بقضاء الله وقدره.

ولا ريب أَنَّ هذين الأَمرين المحذورين لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد إلاَّ بتركهما.

وأَما المحمود من ذلك فأَن يقولها العبد تمنِّياً للخير.

كقوله ﷺ: «**لو استقبلت من أَمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولأَهللت بالعمرة**»(١).

وقوله في الرجل المتمني للخير: «**لو أَنَّ لي مثل مال فلان لعملت فيه مثل عمل فلان**»(٢).

و «**لو صَبَرَ أَخي موسى لقصَّ الله علينا من نبأهما**»(٣). أَي في قصته مع الخضر.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، باب تقضي الحائض المنسك كلها إلاَّ الطواف بالبيت (٢/ ٥٩٤ ـ ٥٩٥) حديث رقم (١٥٦٨). ومسلم: كتاب الحج باب بيان وجوه الإحرام (٢/ ٨٨٣ ـ ٨٨٤) حديث رقم (١٢١٦). وهو جزء من حديث طويل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) رواه الترمذي (السنن) ٤/ ٥٦٢ (كتاب الزهد) (باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر) حديث ٢٣٢٥ وقال: حسن صحيح. اهـ.

(٣) رواه البخاري: كتاب الأَنبياء باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام (٣/ ١٢٤٦ ـ ١٢٤٨) رقم (٣٢٢٠). ومسلم: كتاب الفضائل، باب فضائل الخضر عليه السلام (٤/ ١٨٥٠ ـ ١٨٥٢) حديث رقم (٢٣٨٠) وهو جزء من حديث طويل عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

وكما أَنَّ (لو) إذا قالها متمنيًّا للخير فهو محمـود. فإذا قالها متمنياً للشر فهو مذموم.

فاستعمال (لو) تكون بحسب الحال الحامل عليها.

إِنْ حمَلَ عليها الضجَر والحزن وضعف الإيمان بالقضاء والقَدَر أَو تمنَّى الشر كان مذموماً.

وإن حملَ عليها الـرغبة في الخير والإرشـاد والتعليم كان محمـوداً ولهذا جعلَ المصنِّف الترجمة محتملة للأَمرين.



بـــاب
النهي عن سبّ الريح

عن أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه، أَنَّ رسـولَ الله ﷺ قال: «**لا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فإذا رأَيْتُم ما تكرهون فقولوا: اللَّهُمَّ إنَّـا نَسْأَلُكَ من خير هذه الريح وخير ما فيها، وخير ما أُمِـرَتْ به، ونعـوذ بك من شرِّ هذه الريح، وشَرِّ مـا فيها، وشرِّ مـا أُمِرَتْ به**». صححه الترمذي(١).

□ **فيـــه مســـائل:**

- **الأولــى:** النهي عن سبِّ الريح.
- **الثانيـة:** الإرشاد إلىٰ الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره.
- **الثـالثـة:** الإرشاد إلىٰ أَنَّها مأمورة.
- **الـرابعـة:** أَنَّها قد تؤمَر بخير، وقد تؤمَرُ بشر.

[التعليـــق:]

بـــاب:

النهي عن سبِّ الريح

وهذا نظير مـا سبقَ في سبِّ الدهـر، إلاَّ أَن ذلك الباب عـام في سب جميع حوادث الـدهر، وهـذا خاص بالـريح، ومع تحريمه فـإِنَّه حمق وضعف في العقل والرأي، فـإن الريح مصرفـة مدبرة بتـدبير الله وتسخيره فالسـابّ لها يقع سبه على من صرفها، ولولا أَنَّ المتكلم بسب الـريح لا يخطر هذا المعنى في قلبه غـالباً لكان الأَمر أَفظع من ذلك، ولكن لا يكاد يخطر بقلب مسلم.

---

(١) (السنن) ٤/ ٥٢١ (كتاب الفتن) (باب النهي عن سب الريـاح) حديث رقم ٢٢٥٢ وقال: هذا حـديث حسن صحيح. اهــ. وقـال: وفي البـاب عن عـائشـة، وأبي هـريـرة، وعثمان بن أبي العاص، وأنس، وابن عبـاس، وجابر، قلت: وفي إسنـاد حديث أبي (محمـد بن فضيل) قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٢/ ٢٠١: (صدوق. اهـ).

بـــاب
قــول الله تـعالـــى

﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقوله: ﴿الظَّانِّينَ بالله ظَنَّ السَّوْءِ، عليهمْ دائرَةُ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦].

قال ابن القيم في الآية الأُولى:

فُسِّرَ هذا بأَنَّـه سبحانه لا يَنصرُ رسولـه وأَنَّ أَمره سيضمحل، وفُسِّرَ بظنهم أَنَّ ما أَصـابهم لم يكن بقدر الله وحكمتـه، ففسر بإِنكـار الحكمة وإِنكـار القدر، وإِنكار أَن يتم أَمـر رسوله ﷺ وأَن يظهره على الـدين كله، وهذا هـو ظنّ السوء، الذي ظَنَّهُ المنـافقون والمشركون في سورة الفتح، وإِنما كان هـذا ظن السوء لأَنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أَنه يُديلُ الباطل على الحق إِدالةً مستقرةً يضمحل معها الحق، أَو أَنكـرَ أَن يكون مـا جـرى بقضائه وقـدَره، أَو أَنكـرَ أَن يكون قَـدَره لحكمـةٍ بالغـةٍ يستحق عليها الحمـد، بل زعم أَنَّ ذلك لمشيئةٍ مجردةٍ، فذلك ظن الـذين كفروا، فويلٌ للذين كفروا من النار.

وأَكثر النـاس يظنون بالله ظن السـوء فيما يختصُّ بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يَسْلَم من ذلك إِلاَّ من عرَفَ الله وأَسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلىٰ الله ويستغفره من ظنّه بربه ظنّ السوء.

ولو فتشتَ من فتشت لرأيتَ عنده تعنتاً على القدَرِ وملامةً له، وأنَّه كان ينبغي أَن يكون كذا وكذا، فمستقِلٌّ ومُستكْثِرٌ، وفتش نفسَك: هل أَنت سالم؟

فإن تَنْجُ منها تَنْجُ من ذي عظيمةٍ
وإلاَّ فإنِّي لا إخالُكَ ناجياً

□ **فيه مسائل:**

- **الأولى:** تفسير آية آل عمران.
- **الثانية:** تفسير آية الفتح.
- **الثالثة:** الإخبار بأَن ذلك أَنواع لا تحصر.
- **الرابعة:** أَنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأَسماء والصفات وعرف نفسه.

[التعليق:]

باب:

قول الله تعالى: ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾

وذلكَ أَنه لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد حتى يعتقد جميع ما أَخبرَ الله به من أَسمائه وصفاته وكماله، وتصديقه بكل ما أَخبرَ إليه به من أسمائه وصفاته وكماله وتصديقه بكل ما أخبر به، وأَنه يفعله، وما وعدَ به من نصر الدين، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل، فاعتقاد هذا من الإيمان، وطمأنينة القلب بذلك من الإيمان.

وكل ظن ينافي ذلك فإنه من ظنون الجاهلية المنافية للتوحيد، لأَنَّها سوء ظن بالله ونفي لكماله وتكذيب لخبره وشك في وعده. والله أَعلم.

بـــاب
ما جاء في منكري القَدَر

وقال ابن عمـر: والذي نَفْسُ ابن عمـرَ بيده، لـو كان لأَحَدِهـمْ مثل أُحُدٍ ذَهَباً، ثم أَنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه، حتى يُؤْمِنَ بالقَدَرِ. ثم استدلَّ بقول النبي ﷺ: «**الإيمانُ أَن تُؤْمِنَ بـالله وملائكتـه وكتبه ورسلـه واليوم الآخـرِ، وتؤمنَ بالقدرِ خَيْرِه وشرِّه**». رواه مسلم(١).

وعن عُبَادة بن الصَّامِت: أَنَّه قال لابنه: يا بُنَيَّ، إِنَّكَ لن تجدَ طعمَ الإيمان حتى تعلمَ أَنَّ مـــا أَصـــابَكَ لم يكُنْ لِيُخْطِئَكَ، ومـــا أَخطـــأَكَ لم يكن لِيُصيبكَ، سمعت رسـول الله ﷺ يقـول: «**إِنَّ أَوَّلَ مـا خَلَقَ الله القَلَمَ، فقـال لـه: اكْتُبْ، فقال: رَبِّ ومـاذا أَكْتُبُ؟ قال: اكتُـبْ مقاديرَ كُـلِّ شيءٍ حتى تقوم السـاعةُ**». يا بُنَيَّ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ماتَ على غيرِ هذا فليس مِني**»(٢).

وفي روايـة لأَحمد: «**إِنَّ أَوَّلَ مـا خلق الله تعـالى القَلَم، فقـال لـه: اكْتُبْ، فَجَرَى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إِلىٰ يومِ القيامة**»(٣).

وفي رواية لابن وَهْبٍ: قـال رسول الله ﷺ: «**فمن لم يُؤْمِنْ بـالقدر خيره وشرِّه أَحْرَقَهُ الله بالنَّارِ**»(٤).

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان بـاب بيان الإيمان والإسلام والإحسـان ووجوب الإيمان بإثبـات قدر الله... (١/ ٣٦، ٣٨) حـديث رقم (٨). جـزء من حديث جبريل المشهـور وهـو في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) رواه بـاللفظ المذكور أبـو داود في (السنن) ٥/ ٧٦ (كتـاب السنـة) (باب في القـدر) حـديث رقم ٤٧٠٠ سكت عنـه أبو داود ثم المنـذري في (مختصر سنن أبي داود ٧/ ٦٩ وله طـرق كثيرة يصح بها. انظر (السنة) لابن أبي عاصم ١/ ٤٨ ـ ٤٩.

(٣) (المسند) ٥/ ٣١٧ من حديث عبادة بن الصامت.

(٤) (القـدر) لابن وهب ص ١٢١ حـديث رقم ٢٦ من طـريق عمـر بن محمـد أن سليمان بن مهـران حدثه قال: قال عبـادة بن الصامت... الحديث وإسناده منقطع بين (سليمان بن مهران) وهو الأعمش وكـان مـولـوده أول إحـدى وستين. (تهذيب التهـذيـب) ٤/ ٢٢٣ وبين (عبـادة بن الصامت) وقد توفي سنة أربع وثلاثين (التقريب) ص ٢٩٢.

وفي المسند والسُّنَنِ عن ابن الدَّيْلَمِيِّ، قال: أَتيتُ أُبَيَّ بن كعب، فقلتُ له في نفسي شيءٌ من القَدر، فحدَّثني بشيءٍ، لعلَّ الله يُذهبهُ من قلبي، فقال: «**لو أَنفقتَ مثل أُحُدٍ ذهباً ما قبلهُ الله منك حتى تُؤْمِنَ بالقدر، وتعلمَ أَنَّ ما أَصَابَكَ لم يكُن لِيُخْطِئَكَ، وما أَخطأَكَ لم يكُن لِيُصيبَكَ، ولو مُتَّ على غير هذا لكنتَ من أَهلِ النار**»، قال: فأَتيتُ عبدالله بن مسعود، وحُذيفَةَ بن اليمان، وزيدَ بن ثابت، فكلُّهُمْ حدَّثني بمثلِ ذلك عن النبي ﷺ. حديث صحيحٌ، روا ه الحاكم في صحيحه(١).

□ **فيـه مسـائل:**

- **الأولى:** بيان فرض الإيمان بالقدر.
- **الثانية:** بيان كيفية الإيمان به.
- **الثالثة:** إحباط عمل من لم يؤمن به.
- **الرابعة:** الإخبار بأَن أَحداً لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمِن به.
- **الخامسة:** ذكر أَول ما خلقَ الله.
- **السادسة:** أَنَّه جرى بالمقادير في تلكَ السَّاعة إِلىٰ قيام الساعة.
- **السابعة:** براءته ﷺ ممن لم يؤمن به.
- **الثامنة:** عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء.
- **التاسعة:** أَنَّ العلماء أَجابوه بما يزيل شبهته، وذلك أَنَّهم نسبوا الكلام إِلىٰ رسول الله ﷺ فقط.

---

(١) رواه أبو داود (السنن) ٥/ ٧٥ (كتاب السنة) (باب في القدر) حديث رقم ٤٦٩٩ وابن ماجة (السنن) ١/ ٢٩ ـ ٣٠ (المقدمة) (باب في القدر) حديث رقم ٧٧ والإمام أحمد (المسند) ٥/ ٨٢، ولم أقف عليه في (المستدرك) للحاكم ولعله أراد ابن حبان في (صحيحه) (موارد الظمآن) ص ٤٥٠ حديث رقم ١٨١٧، قال المنذري في (مختصر السنن) ٧/ ٦٩: (وفي إسناده سعيد بن سنان الشيباني، وثقه يحيى بن معين وغيره، وتكلم الإمام أحمد وغيره). وقال فيه ابن حجر في (تقريب التهذيب) ١/ ٢٩٨: (صدوق له أوهام). وصححه الألباني في تخريج (السنة) لابن أبي عاصم ١/ ١٠٩.

[التعليق :]

بـــــاب :

ما جاء في منكري القدر

قـد ثبتَ بـالكتاب والسنـة وإِجماع الأُمـة : أَنَّ الإِيمان بـالقدر أَحـد أَركـان الإِيمان ، وأَنَّه مـا شاء الله كان ، ومـا لم يشأ لم يكن ، فمن لم يؤمن بهذا فإِنَّـه ما آمن بالله حقيقة .

فعلينا أَن نُؤمِن بجميع مراتب القدر: فنؤمن أَنَّ الله بكل شيء عليم ، وأَنَّه كتب في اللوح المحفـوظ جميع ما كـان وما يكـون إِلىٰ يوم القيـامة وأَنَّ الأُمـور كلها بخلقه وقدرته وتدبيره .

ومن تمام الإِيمان بالقدر: العلم بأَنَّ الله لم يجبر العباد على خلاف ما يريدون بل جعلهم مختارين لطاعتهم ومعاصيهم .





بـــاب
ما جاء في المصورين

عن أَبي هريـرة رضي الله عنه، قال: قـال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: ومَن أَظْلَمُ مِمَّن ذَهَبَ يَخْلُقُ كخلقي، فَلْيخلُقوا ذرَّةً، أَو لِيَخْلُقـوا حَبَّةً، أَو لِيَخلُقوا شعيرةً**». أَخرجاه[1].

ولهما عن عائشة رضي الله عنها، أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أَشدُّ الناس عَذاباً يومَ القيامة الذينَ يُضَاهِئُون بخلقِ الله**»[2].

ولهما عن ابن عباس، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**كُلُّ مُصوِّرٍ في النار، يُجعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعذَّبُ بها في جهنم**»[3].

ولهما عنه مرفـوعاً: «**من صوَّرَ صـورةً في الدنيا كُلِّفَ أَنْ يَنفُخَ فيهـا الرُّوحَ، وليس بنافخٍ**»[4].

---

(١) رواه البخاري (الصحيح) ٦/ ٢٧٤٧ (كتاب التوحيـد) (باب قول الله تعالى: ﴿**والله خلقكم وما تعملون**﴾ حـديث رقم ٧١٢٠. ومسلم: كتاب اللبـاس والـزينة بـاب تحريم تصـوير صـورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صور غير ممتهنة بالفرش ونحوه.... (٣/ ١٦٧١) رقم (٢١١١).

(٢) رواه البخـاري: كتـاب اللبـاس بـاب مـا وطيء من التصـاويـر (٥/ ٢٢٢١) حـديث رقم (٥٦١٠). ومسلم: كتـاب اللبــاس والـزينـة بــاب تحريم تصـويـر صـورة الحيـوان.... (٣/ ١٦٦٨) حديث رقم (٢١٠٦).

(٣) رواه البخاري: كتـاب البيوع بـاب بيع التصاويـر التي ليس فيها روح (٢/ ٧٧٥) حـديث رقم (٢١١٢). ومسلم: كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان... (٣/ ١٦٧٠ ـ ١٦٧١) حديث رقم (٢١١٠) واللفظ لمسلم.

(٤) رواه البخـاري: كتـاب اللبـاس بـاب من صـور صـورة كلف أن ينفخ فيهـا وليس بنـافخ (٥/ ٢٢٢٣) حديث رقم (٥٦١٨). ومسلم: كتاب اللباس والزينـة باب تحريم تصوير صورة الحيوان... (٣/ ١٦٧١) حديث رقم (٢١١٠).

ولمسلم عن أَبي الهَيَّاجِ: قال: قال لي عليٌّ: أَلا أَبْعَثُكَ على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «**أَن لا تَدَعَ صورةً إِلاَّ طَمَستَها، ولا قبراً مُشْرِفاً إِلاَّ سَوَّيته**»[١].

□ **فيـــه مســــائل:**

- **الأولــى:** التغليظ الشديد في المصورين.
- **الثانيـة:** التنبيه على العلة وهو ترك الأَدب مع الله لقوله: «**ومَن أَظلمُ ممن ذهبَ يخلق كخلقي**».
- **الثالثـة:** التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله: (**فليخلقوا ذرَّةً**) أَو (**شعيرةً**).
- **الرابعـة:** التصريح بأَنَّهم أَشدّ الناس عذاباً.
- **الخامسـة:** أَنَّ الله يخلق بعدد كل صورة نفساً يعذب بها المصور في جهنم.
- **السادسة:** أَنَّه يكلف أَن ينفخ فيها الروح.
- **السابعة:** الأَمر بطمسها إِذا وجدتْ.

[التعليـــق:]

بــــاب:

ما جاء في المصورين

وهذا من فروع الباب السابق أَنه لا يحل أَن يجعل لله ندّاً في النيات والأَقوال والأَفعال، والندّ المشابه ولو بوجه بعيد.

فاتخاذ الصور الحيوانية تشبهٌ بخلق الله، وكذب على الخلقة الإِلٰـهية، وتمويه وتزوير، فلذلك زجر الشارع عنه.

(١) رواه مسلم: كتاب الجنائز باب الأَمر بتسوية القبر (٢/ ٦٦٦) حديث رقم (٩٦٩).



باب
ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾[المائدة: ٨٩].

عن أَبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحَلِفُ مَنفَقَةٌ للسِّلعةِ، مَمْحقةٌ لِلكَسب**». أَخرجاه(١).

وعن سلمان، أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُم الله ولا يُزكِّيهم ولهم عذابٌ أَليم: أُشَيْمِطٌ زانٍ، وعائلٌ مُستَكبِرٌ، ورجلٌ جعلَ الله بِضاعَتهُ، لا يشتري إِلَّا بِيمينهِ، ولا يبيع إِلَّا بِيَمينه**». رواه الطبراني بسندٍ صحيح(٢).

وفي الصحيح عن عمران بن حُصَينٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيرُ أُمَّتي قَرْني، ثُمَّ الذينَ يَلونَهُم، ثُمَّ الذينَ يَلونَهُم** ـ قال عمران: فلا أَدْري أَذَكَرَ بعد قَرْنِهِ مرتين أَو ثلاثة؟ ـ **ثم إِنَّ بعدَكُم قومٌ يَشْهدُونَ ولا يُستَشْهدون، ويَخونون ولا يُؤْتَمنون، ويَنذِرون ولا يُوفون، ويَظهَرُ فيهمُ السِّمَنُ**»(٣).

---

(١) رواه البخاري: كتاب البيوع باب يمحق الله الربا ويُربي الصدقات (٢/ ٧٣٥) حديث رقم (١٩٨١). ومسلم: كتاب المساقاة باب النهي عن الحلف في البيع (٣/ ١٢٢٨) حديث رقم (١٦٠٦). في البخاري: ممحقة للبركة، وفي مسلم: ممحقة للربح.

(٢) (المعجم الكبير) ٦/ ٣٠١ حديث رقم ٦١١١ و(المعجم الصغير) ٢/ ٢١ من طريق سعيد بن عمرو الأشعثي حدثنا حفص بن غياث عن عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارس مرفوعاً وقال: لم يروه عن عاصم الأحفص. قال الهيثمي (مجمع الزوائد) ٤/ ٧٨: (رواه الطبري في الثلاثة إلا أنه قال في (الصغير) و(الأوسط): ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. فذكره ورجاله رجال الصحيح. اهـ) ولفظه في (الكبير): ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: أشيمط زان... الحديث.

(٣) رواه البخاري: كتاب فضائل أَصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أَصحاب النبي ﷺ (٣/ ١٣٣٥)، حديث رقم (٣٤٥٠). ومسلم: كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٤/ ١٩٦٤) حديث رقم (٢٥٣٥).

وفيه عن ابن مسعود، أَن النبي ﷺ قال: «**خَيْرُ النَّاس قَرْني، ثُمَّ الذينَ يلونهم، ثم الذين يَلونَهُم، ثُمَّ يَجيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهادَةُ أَحَدِهِمْ يمينَهُ، ويَمينُهُ شَهَادَتَهُ**»(١).

وقال إبراهيم: كانوا يَضْربونَنا على الشَّهادَةِ والعهد ونحن صِغَارٌ.

□ **فيه مسائل:**

• **الأولى:** الوصية بحفظ الأَيمان.

• **الثانية:** الإِخبار بأَنَّ الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة.

• **الثالثة:** الوعيد الشديد فيمن لا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إِلَّا بيمينه.

• **الرابعة:** التنبيه على أَنَّ الذنب يعظم مع قلة الدَّاعي.

• **الخامسة:** ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون.

• **السادسة:** ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة أَو الأَربعة وذكر ما يحدث بعدهم.

• **السابعة:** ذمّ الذين يشهدون ولا يستشهدون.

• **الثامنة:** كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.

[التعليق:]

باب:

ما جاء في كثرة الحلف

أَصل اليمين إنما شرعت تأكيداً للأَمر المحلوف عليه، وتعظيماً للخالق، ولهذا وجبَ أَن لا يُحلَفَ إِلَّا بالله، وكان الحلف بغيره من الشرك.

ومن تمام هذا التعظيم أَن لا يحلف بالله إلا صادقاً.

ومن تمام هذا التعظيم أَن يحترم اسمه العظيم عن كثرة الحلف، بالكذب وكثرة الحلف تنافي التعظيم الذي هو روح التوحيد.

---

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل أَصحاب النبي ﷺ باب فضائل أَصحاب النبي (٣/ ١٣٣٥) حديث رقم (٣٤٥١). ومسلم: كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٤/ ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣) حديث رقم (٢٥٣٣) (٢١٠).

بـــاب

ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقوله تعالى : ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ﴾ [النحل : ٩١].

عن بُـرَيْدَة ، قـال : كـان رسـول الله ﷺ إذا أَمَّر أَميراً على جيشٍ ، أَو سَرِيّـةٍ أَوصاهُ بتقـوى الله ، ومن معه مـن المسلمين خيراً . فقال : «اغْزُوا بسمِ الله في سبيل الله ، قاتِلُـوا من كَفَرَ بِالله ، اغْـزُوا ولا تَغُلُّوا ولا تَغدِروا ولا تُمَثِّلوا ، ولا تقتُلـوا وليداً ، وإِذا لقيت عدُوَّكَ من المشركين فـادْعهُم إِلىٰ ثلاث خصال ــ أَو خِلال ـ فـأَيتهُنَّ ما أَجـابوك فـاقْبَل منهم وكُفَّ عنهم ، ثم ادْعُهُم إِلىٰ الإِسـلام ، فـإِن أَجـابوكَ فـاقبل منهم ، ثم ادْعُهُم إِلىٰ التَّحوُّل من دارِهم إِلىٰ دارِ المُهَاجرين ، وأَخبِرْهم أَنَّهم إِن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجـرين ، وعليهم ما على المهاجرين ، فإِنْ أَبوْا أَن يتحـولوا منها فأَخبرهم أَنَّهم يكونون كأَعراب المسلمين ، يجري عليهم حكم الله تعالى ، ولا يكون لهم في الغنيمة والفـيء شيء ، إِلاَّ أَن يجاهدوا مع المسلمين ، فـإِنْ هم أَبَوا فـاسأَلْهم الجزْيـة ، فإِنْ هم أَجـابـوكَ فاقبل منهم وكُفَّ عنهم ، فـإِنْ هم أَبـوا فاستعِن بـالله وقاتِلهم .

وإِذا حاصَرْت أَهلَ حصنٍ فأَرادوك أَن تجعلَ لهم ذِمَّـة الله وذمَّة نبيِّه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمَّـة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذِمَّتك وذِمَّة أَصحابك ، فـإِنَّكم إِن تخفِروا ذِممكم وذِمَّة أَصحابكم أَهونُ من أَن تُخفِـروا ذِمَّة الله وذِمَّة نبيِّه ، وإِذا حاصرت أَهل حصنٍ فـأَرادوك أَن تُنـزلهم على حُكم الله ، فـلا تُنزلْهُمْ على حُكـم الله ؛ ولكـــن أَنزلْهُـــم على حكمـــك ، فـإِنَّكَ لا تـدري أَتُصيبُ فيهم حكم الله أَم لا ؟» . رواه مسلم[(١)] .

---

(١) رواه مسلم : كتـاب الجهاد والسير بـاب تأمير الإِمام الأُمـراء على البعوث ووصيتـه إِيَّاهم بـآداب الغزو وغيرها . (٣/ ١٣٥٦ ـ ١٣٥٨) حديث رقم (١٧٣١) .

□ فيـــه مســـائل :

- **الأولــى :** الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين .
- **الثانيــة :** الإرشاد إلىٰ أَقل الأَمرين خطراً .
- **الثـالثـة :** قوله : «**اغزوا بسم الله في سبيلِ الله**» .
- **الـرابعـة :** قوله : «**قاتلوا من كفرَ بالله**» .
- **الخامسـة :** قوله : «**استعن بالله وقاتلهم**» .
- **السادسة :** الفرق بين حكم الله وحكم العلماء .
- **السابعة :** في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أَيوافق حكم الله أَم لا ؟ .

[التعليـــق :]

بـــاب :

ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

المقصـود من هذه الترجمة البعـد والحذَر من التعـرض للأَحـوال التي يخشى منها نقض العهـود والإِخلال بها ، بعدما يجعل لـلأَعداء المعاهدين ذمـة الله وذمة رسولـه . فإِنَّـه متى وقع النقض في هذه الحال كان انتهـاكاً من المسلمين لـذمة الله وذمة نبيه ، وتركاً لتعظيم الله ، وارتكاباً لأَكبر المفسدتين كما نبَّه عليه ﷺ .

وفي ذلك أَيضـاً تهوين للديـن والإِسلام وتـزهيـد للكُفَّار بـه ، فـإِنَّ الوفـاء بـالعهود خصـوصاً المؤكَّـدة بأَغلظ المواثيق من محاسن الإِسـلام الداعيـة للأَعـداء المنصفين إلىٰ تفضيله واتِّباعه .



بـــاب

ما جاء في الإقسام على الله

عن جُنْدب بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال رجلٌ: والله لا يغفِر الله لفلانٍ، فقال الله عزَّ وجلَّ: من ذا الذي يتألَّى عليَّ أن لا أغفِر لفلان؟ إنِّي قد غفرتُ له وأَحبطتُ عملك**». رواه مسلم(١).

وفي حديث أَبي هريرة(٢): أَنَّ القائل رجلٌ عابدٌ، قال أَبو هريرة: تكلَّم بكلمةٍ أَوْبَقَتْ دنياه وآخِرته.

☐ **فيـــه مســـائل:**

- **الأولى:** التحذير من التألِّي على الله.
- **الثانية:** كون النار أَقرب إلى أَحدِنا من شراك نعله.
- **الثالثة:** أَنَّ الجنة مثل ذلك.
- **الرابعة:** فيه شاهد لقوله: «**إِنَّ الرجل ليتكلَّم بالكلمة**» إلىٰ آخره.
- **الخامسة:** أَنَّ الرجل قد يغفر له بسبب هو من أَكره الأُمور إِليه.

---

(١) رواه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى (٤/ ٢٠٢٣) حديث رقم (٢٦٢١). وتمامه: أو كما قال. اهـ.

(٢) رواه أبو داود في (السنن) ٥/ ٢٠٧ (كتاب الأدب) (باب النهي عن البغي) حديث رقم ٤٩٠١ وأوله: (كان رجلان في بني إسرائيل...) قال المنذري (مختصر سنن أبي داود) ٧/ ٢٢٥: (في إسناده علي بن ثابت الجزري قال الأزدي: ضعيف، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه. وقال ابن معين: ثقة، وقال أبو زرعة: ثقة لا يأس به). وقال ابن حجر (تقريب التهذيب) ١/ ٣٢: (صدوق ربما أخطأ، وقد ضعفه الأزدي بلا حجة. اهـ).

بـــاب
لا يستشفع بالله على خلقه

عن جُبير بن مُطْعِم رضي الله عنه، قـال: جاء أعـرابيٌّ إلى النبي ﷺ فقال: يـا رسول الله، نُهكت الأنفسُ، وجـاع العيـال، وهلكت الأمـوال، فاستسق لنـا ربَّكَ فإنـا نستشفع بالله عليك، وبـك على الله. فقال النبي ﷺ: «**سبحان الله، سبحان الله!**» فما زال يُسبِّح حتى عُرِف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال النبي ﷺ: «**ويحكَ! أتـدري ماالله؟ إن شأن الله أعظم مـن ذلك، إنَّه لا يُستشفع بـالله على أحَد من خلقه**». وذكر الحديث، رواه أبو داود(١).

☐ **فيـــه مســـائل:**

- **الأولـى:** الإنكار على من قال: «**نستشفع بالله عليك**».
- **الثـانيـة:** تغيره تغيراً عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة.
- **الثـالثـة:** أنه لم ينكر عليه قوله: «**نستشفع بك على الله**».
- **الـرابعـة:** التنبيه على تفسير «**سبحان الله**».
- **الخامسـة:** أنَّ المسلمين يسألونه الاستسقاء.

---

(١) (السنن) ٥/ ٩٤ (كتاب السنة) (باب في الجهمية) حديث رقم ٤٧٢٦ قال المنذري (مختصر سنن أبي داود) ٧/ ٩٧: (قال أبـو بكر البزار: وهذا الحديث لا نعلمـه يروى عن النبي ﷺ مـن وجه من الوجوه إلا من هـذا الوجه، ولم يقل فيه محمد بن إسحاق حدثنـي يعقوب بن عقبة) وقال: (ومحمد بن إسحاق مدلس، وإذا قال المدلس عـن فلان ولم يقل حدثنا أو سمعت أو أخبرنا لا يحتج بخبره، وإلى هـذا أشـار البزار مع أن ابـن إسحاق إذا صرح بـالسماع اختلف الحفـاظ في الاحتجـاج بحديثـه فكيف إذا لم يصرح به...) وقـد نـاقش ابن القيم ـ رحمه الله ـ في (تهذيب السنن) ٧/ ٩٤ تعليل المنذري هذا مناقشة طـويلة. والحديث ضعفه الألباني في تخريج (السنة) لابن أبي عاصم ١/ ٢٥٢ حديث رقم ٥٧٥. ولم أقف على قـوله (أن شأن الله أعظم من ذلك أنه لا يستشفع بـالله على أحـد من خلقـه). في سنـن أبي داود، ووقفت عليـه في (السنـة) لابن أبي عاصـم ١/ ٢٥٢ حديث رقم ٥٧٥. وفي سنن أبي داود ـ أيضاً ـ مكان قولـه (نهكت الأنفس) (نهكت الأموال).

[التعليق :]

بـــاب :

الإقسام على الله

وبـاب : لايستشفع بالله على خلقه

وهذان الأَمران من سوء الأَدب في حقِّ الله ، وهو منافٍ للتوحيد .

أَمَّا الإِقسام على الله فهو في الغالب من باب العجب بالنفس والإدلال على الله ، وسوء الأَدب معه ، ولا يتم الإيمان حتى يسلم من ذلك كله .

وأَما الاستشفـاع بالله على خلقه فهـو تعالىٰ أَعظم شأناً من أَن يتـوسل به إلىٰ خلقه ، لأَن رتبة المتوسل به غالباً دون رتبة المتوسل إليه ، وذلك من سوء الأَدب مع الله ، فيتعين تـركه ، فـإِنَّ الشفعـاء لا يشفعون عنـده إلَّا بـإِذنـه ، وكلهم يخافونـه فكيف يعكس الأَمر فيجعل هـو الشافع ، وهو الكبير العظيم الـذي خضعت له الرقاب ، وذلّت له الكائنات بأسرِها .



بـــاب

ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسدِّه طرق الشرك

عن عبدالله بن الشِّخِّير رضي الله عنه، قال: انطلقتُ في وفد بني عامر إلىٰ رسول الله ﷺ فقلنا: أَنتَ سيِّدُنا، فقال: «**السيدُ الله تباركَ وتعالى**»، قلنا: وأَفضلُنا فضلاً، وأَعظمُنا طوْلاً، فقال: «**قولوا بقولكم أَو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان**». رواه أَبو داود بسندٍ جيِّد(١).

وعن أَنس رضي الله عنه: أَنَّ ناساً قالوا: يا رسول الله، يا خيْرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «**يا أَيُّها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطانُ، أَنَا محمدٌ عبدالله ورسوله، ما أُحِبُّ أَن ترفعوني فوق منزلتي التي أَنزلني الله عزَّ وجلَّ**». رواه النسائي بسندٍ جيِّد(٢).

□ **فيـــه مســـائل:**

- **الأولــى:** تحذير الناس من الغلو.
- **الثانيـة:** ما ينبغي أَن يقول من قيل له: «**أَنتَ سيدنا**».
- **الثـالثـة:** قوله: «**لا يستجرينكم الشيطان**» مع أَنهم لم يقولوا إِلاَّ الحق.
- **الرابعـة:** قوله: «**ما أُحِبُّ أَن ترفعوني فوق منزلتي**».

---

(١) (السنن) ٥/ ١٥٤ ـ ١٥٥ (كتاب الأدب) (باب في كراهية التمادح) حديث رقم ٤٨٠٦ قال ابن حجر (فتح الباري) ٥/ ١٧٩: (رجاله ثقات وقد صححه غير واحد). وقال المناوي (فيض القدير) ٤/ ١٥٢: (سكت عليه أبو داود ثم المنذري). اهـ.

(٢) (عمل اليوم والليلة) ص ٢٥٠ حديث رقم (٢٤٩) (ذكر اختلاف الأخبار في قول القائل سيدنا وسيدي). من طريق أبي بكر بن نافع حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت عن أنس. الحديث بنحوه. وله طريق أخرى عن أنس عن الإمام أحمد (المسند) ٣/ ٢٤١ وطريقان آخران عن حماد به رواهما الإمام أحمد ـ أيضاً ـ (المسند) ٣/ ١٥٣ و٢٤٩ قال ابن عبد الهادي (الصارم المنكي) ص ٢٤٦: (وفي المسند بإسناد صحيح على شرط مسلم عن أنس. . . الحديث).



[التعليق :]

باب :

ما جاء في حماية المصطفى حمى التوحيد وسدِّه طرق الشرك

تقدَّمَ (١) نظير هذه الترجمة وأَعادها المصنف اهتماماً بالمقام ، فإنَّ التوحيد لا يتم ولا يحفظ ولا يحصن إلاَّ باجتناب جميع الطرق المفضية إلىٰ الشرك ، والفرق بين البابين أَنَّ الأَول فيه حماية التوحيد بسد الطرق الفعلية ، وهذا الباب فيه حمايته وسده بالتأَدُّب والتحفظ بالأَقوال .

فكل قول يُفضي إلىٰ الغلو الذي يُخشىٰ منه الوقوع في الشرك فإنَّه يتعين اجتنابه ولا يتم التوحيد إلاَّ بتركه .

والحاصل أَن تمام التوحيد بالقيام بشروطه وأَركانه ومكملاته ومحققاته ، وباجتناب نواقضه ومنقصاته ظاهراً وباطناً ، قولاً وفعلاً وإرادة واعتقاداً .

وقد مضى من التفاصيل ما يوضح ذلك .



---

(١) ص ٨٥ (باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك) .

بــاب
ما جاء في قول الله تعالى

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حَبْرٌ من الأَحْبَار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنَّا نجدُ أَن الله يجعل السمٰوات على إصبع، والأَرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثَّرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أَنَا المَلِكُ، فضحِك النبي ﷺ حتى بدَتْ نواجِذُه، تصديقاً لقول الحَبْر، ثم قرأ رسول الله ﷺ:

(وما قَدَروا الله حقَّ قدره والأَرض جميعاً قبضتُه يومَ القيامة) متفق عليه[1].

وفي رواية لمسلم: «**والجبال والشجر على إصبعٍ، ثم يَهُزُّهُنَّ فيقول: أَنَا الملِكُ، أَنَا الله**»[2].

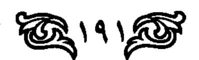
وفي رواية للبخاري: «**يجعل السمٰوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع**». أَخرجاه[3].

---

(١) رواه البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾ (٤/ ١٨١٢) حديث رقم (٤٥٣٣) ومسلم: كتاب صفات المنافقين، كتاب صفة القيامة والجنة والنار. (٤/ ٢١٤٧) حديث رقم (٢٧٨٦). وليس فيهما قوله: الماء على إصبع، والثرى على إصبع.

(٢) رواه مسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٤/ ٢١٤٧) حديث رقم (٢٧٨٦).

(٣) رواه البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾ (٤/ ١٨١٢) حديث رقم (٤٥٣٣) ومسلم: كتاب صفات المنافقين، كتاب صفة القيامة والجنة والنار. (٤/ ٢١٤٧) حديث رقم (٢٧٨٦).



ولمسلم عن ابن عمرَ مرفوعاً: «**يَطْوي الله السمٰوات يومَ القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أَنَا المَلِكُ، أَينَ الجبَّارون؟ أَينَ المتكبرون؟ ثم يطوي الأَرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أَنَا المَلِكُ، أَين الجبَّارون؟ أَين المتكبرون؟**»(١).

ورُوي عن ابن عباس قال: ما السمٰواتُ السبعُ والأَرضون السبعُ في كفِّ الرحمٰن إلَّا كخَرْدَلةٍ في يدِ أَحدِكم(٢).

وقال ابن جرير: حدَّثني يونُسُ أَخبرنا ابنُ وهبٍ قال: قال ابن زيدٍ: حدَّثني أَبي قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما السمواتُ السَّبْعُ في الكُرْسِيِّ إِلَّا كدراهِم سبعةٍ أُلقِيتْ في تُرْسٍ**»(٣).

قال: وقال أَبو ذَرٍّ رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما الكرسيُّ في العرْشِ إِلَّا كحلقةٍ من حديد أُلقيت بين ظهْري فلاةٍ من الأَرض**»(٤).

---

(١) رواه مسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٤/ ٢١٤٨) حديث رقم (٢٧٨٨).

(٢) رواه ابن جرير (التفسير) ٢٤/ ١٧ في تفسير قوله تعالى **﴿بل الله فاعبد وكن من الشاكرين وما قدروا الله حق قدره﴾**، الآية من طريق معاذ بن هشام ثنى أبي عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس مثله. إلا أنه قال (يد الله) مكان (كف الرحمن). وفي إسناده (عمرو بن مالك) وهو الفكري أبو مالك ذكره ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل) ٦/ ٢٥٩ ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقال ابن حبان (المجروحين) ٣/ ١١٤ في ترجمة ابنه (يحيى بن عمرو بن مالك): (. . . فيكون هو وأبوه جميعاً متروكين). وقال ابن عدى في ترجمة (أبي الجوزاء) وهو أوس بن عبد الله الربعي: (حدث عنه عمرو بن مالك قدر عشرة أحاديث غير محفوظة). (تهذيب التهذيب) ١/ ٣٨٤.

(٣) (تفسير ابن جرير) ٣/ ٧ ـ ٨ (وابن زيد) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال الذهبي (العلو) ص٩١: (هذا مرسل، وعبد الرحمن ضعيف. اهـ).

(٤) ذكره ابن جرير ـ معلقاً ـ (التفسير) ٣/ ٨. بمثل لفظ المؤلف، وذكره الذهبي (العلو) ص ٨٩ ـ ٩٠ من طريق يحيى بن سعيد العبشمي حدثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر قلت: يا رسول الله أي آية أعظم؟ قال: آية الكرسي، ما السموات السبع في الكرسي ألا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة). وقال: (وأحسب العبشمي هو الأموي صدوق وإلا فهو آخر، والخبر منكر. اهـ).

وعن ابن مسعودٍ، قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعةِ والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم». أخرجه ابن مهْدِي عن حمَّاد بن سلمة عن عاصم عن زِرٍّ عن عبدالله. ورواه بنحوهِ المَسْعوديُّ عن عاصم عن أَبي وائلٍ عن عبدالله. قاله الحافظ الذهبيُّ رحمه الله تعالى، قال: وله طُرُقٌ[1].

وعن العباس بن عبدالمُطَّلِب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**هل تدرون كم بين السماء والأَرض؟**» قلنا: الله ورسوله أَعلم، قال: «**بينهما مسيرةُ خمسمائة سنةٍ، ومن كلِّ سماءٍ إِلىٰ سماء مسيرةُ خمسمائة سنةٍ، وكِثَفُ كُلِّ سَماءٍ مسيرةُ خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحرٌ، بين أَسفلِه وأَعلاهُ كما بين السماء والأَرض، والله سبحانه وتعالى فوقَ ذلك، وليس يَخفَى عليه شيءٌ من أَعمال بني آدم**». أَخرجه أَبو داود وغيره[2].

---

(١) قول الذهبي في (العلو) ص ٣٩ لكنه قال: (والكرسي فوق الماء والله فوق الكرسي). ولم يذكر العرش. والحديث رواه ابن خزيمة (كتاب التوحيد) ص ١٠٥ و ١٠٦ (باب ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى). ورواه في موضع آخر ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧ (باب ذكر موضع عرش الله عز وجل قبل خلق السموات) ورواه الذهبي (العلو) ص ٣٩ وصحح إسناده في موضع آخر من (العلو) ص ٦٤ وصحح إسناده ـ أيضاً ـ ابن القيم (اجتماع الجيوش الإسلامية) ص ١٠٠.

(٢) اللفظ المذكور لم أقف عليه عند أبي داود وقد رواه الإمام أحمد في (المسند) ١/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧ مطولاً من طريقين: الأول عن عبد الله بن عميرة عن عباس بن عبد المطلب، والثاني عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب، وفي إسناد الطريق الأولى: يحيى بن العلاء وهو واه. (ميزان الاعتدال) ٢/ ٤٦٩ وقال الذهبي في ترجمة (عبد الله بن عميرة): (فيه جهالة قال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس). (ميزان الاعتدال) ٢/ ٤٦٩. ورواية أبي داود فيها أن المسافة بين السماء والأرض (أما واحداً أو اثنتين، أو ثلاثاً وسبعين سنة). (السنن) ٥/ ٩٣ (كتاب السنة) (باب في الجهمية) حديث رقم ٤٧٢٣ وإسناده ضعيف لما تقدم.

□ فيــــه مســــائل :

• **الأولـــى :** تفسير قوله [تعالى]: ﴿ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ .

• **الثانيــة :** أَنَّ هـذه العلـوم وأَمثـالها بـاقية عنـد اليهـود الـذين في زمنـه ﷺ ولم ينكروها ولم يتأولوها .

• **الثـالثـة :** أَنَّ الحبرَ لما ذكرَ ذلك للنبي ﷺ صدَّقه ونزلَ القرآن بتقرير ذلك .

• **الـرابعـة :** وقوع الضحِك منه ﷺ لما ذكرَ الحبر هذا العلم العظيم .

• **الخامسـة :** التصريح بـذكـر اليـدين وأَنَّ السماوات في اليـد اليمنى والأَرضين في الأُخرى .

• **السادسة :** التصريح بتسميتها الشمال .

• **السابعـة :** ذكر الجبَّارين والمتكبرين عند ذلك .

• **الثـامنـة :** قوله : «**كخردلة في كفِّ أَحدِكم**» .

• **التـاسعـة :** عظم الكرسي بالنسبة إِلىٰ السموات .

• **العـاشرة :** عظمة العرش بالنسبة إِلىٰ الكرسي .

• **الحاديــــة عشرة :** أَنَّ العرش غير الكرسي والماء .

• **الثـــانيـــة عشرة :** كم بين كل سماء إِلىٰ سماء؟ .

• **الثـــالثـــة عشرة :** كم بين السماء السابعة والكرسي؟ .

• **الـرابعــة عشرة :** كم بين الكرسي والماء؟ .

• **الخامسـة عشـرة :** أَنَّ العرشَ فوق الماء .

• **السـادسـة عشرة :** أَنَّ الله فوقَ العرش .

• **السـابعـة عشرة :** كم بين السماء والأَرض؟ .

• **الثـامنـة عشـرة :** كثف كل سماء خمسمائة سنة .

• **التـاسعــة عشرة :** أَنَّ البحـر الذي فـوق السماوات بين أَعلاه وأَسفلـه [مسيرة] خمسمائة سنة ، والله سبحانه وتعالى أَعلم .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

[التعليق :]

باب :

قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾

ختمَ المصنف رحمه الله تعالى كتابه بهذه الترجمة .

وذكر النصوص الدالة على عظمة الرب العظيم وكبريائه ، ومجده وجلاله وخضوع المخلوقات بأسرها لعزه ، لأَنَّ هذه النعوت العظيمة والأَوصاف الكاملة أَكبر الأَدلة والبراهين على أَنه المعبود وحده ، المحمود وحده ، الذي يجب أَن يذل له غاية الذل والتعظيم وغاية الحبّ والتأله ، وأَنه الحقّ وما سواه باطل ، وهذه حقيقة التوحيد ولبه وروحه ، وسر الإِخلاص .

فنسأل الله أَن يملأ قلوبنا من معرفته ومحبته والإِنابة إِليه ، إِنَّه جواد كريم .

وهذا آخر التعليق المختصر على كتاب التوحيد وتوضيح مقاصده ، وقد حوى من غُرر مسائل التوحيد . ومن التقاسيم والتفصيلات النافعة ما لا يستغني عنه الراغبون في هذا الفن الذي هو أَصل الأُصول وبه تقوم العلوم كلها .

والحمد لله على تيسيره ومنته .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .



فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
أبالله وآياته ورسوله	ابن عمر	١٥٣
اثنتان في الناس	أبو هريرة	١٢٤
اجتنبوا السبع الموبقات	أبو هريرة	٩٢
أجعلتني لله نداً	ابن عباس	١٤٦
احرص على ما ينفعك	أبو هريرة	١٧٠
أحسنها الفأل	عقبة بن عامر	١٠٣
أخوف ما أخاف عليكم	محمود بن الربيع	٣٠
إذا أراد الله بعبده	أنس	١٢٤
إذا أراد الله تعالى أن يوحي	النواس	٦٦
إذا قضى الله الأمر في السماء	أبو هريرة	٦٦
أربع في أمتي من أمر الجاهلية	أبو مالك الأشعري	١٠٩
أرفع رأسك وقل يسمع	؟	٧٠
أشد الناس عذاباً	عائشة	١٧٩
أشفقا أن لا يكون إنساناً	مجاهد	١٥٩
أصبح من عبادي مؤمن	؟	١٠٩ و ١٣٩
اغزوا بسم الله	بريدة	١٨٣
اقتلوا كل ساحر	عمر	٩٣
أكبر الكبائر الإشراك	ابن مسعود	١٢١
أليس يحرمون ما أحل الله	عدي بن حاتم	١٣١
أما بعد فإن طفيلا رأى	الطفيل	١٤٦
أنا أغنى الشركاء	أبو هريرة	١٢٧
انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً	عمران بن حصين	٤١
إن أخنع اسم عند الله	أبو هريرة	١٥٠
إن الله زوى لي الأرض	ثوبان	٨٨
إن الله هو الحكم	ابن شريح	١٥١
إن أول ما خلق الله القلم	عبادة بن الصامت	١٧٦

طـرف الحديث	الـراوي	الصفحة
أن ثلاثة من بني إسرائيل	أبو هريرة	١٥٥
إن الحمد لله نحمده	؟	٥
إن الرقى والتمائم والتولة	ابن مسعود	٤٥
إن عظم الجزاء مع عظم البلاء	أنس	١٢٤
إن العيافة والطرق	قبيصة	٩٥
إن من البيان لسحراً	ابن عمر	٩٦
إن من شرار الناس	ابن مسعود	٨٠
إن من ضعف اليقين	أبو سعيد	١١٦
إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب	ابن عباس	٣٣
إنكم تشركون	قتيلة	١٤٦
إنما الطيرة ما أمضاك	الفضل	١٠٥
إنه لا يستغاث بي	؟	٥٩
إني أبرأ إلى الله أن يكون	جندب	٧٩
أولئك إذا مات فيهم الرجل	عائشة	٧٩
ألا أبعثك على ما بعثني	علي	١٨٠
ألا أخبركم بما هو أخوف	أبو سعيد	١٢٧
ألا هل أبنئكم ما العضه؟	ابن مسعود	٩٦
إياكم والغلو	؟	٧٦
الله أكبر إنها السنن	أبو واقد	٤٩
اللهم العن فلانا	ابن عمر	٦٢
اللهم لا تجعل قبري	مرسـل	٨٢
الأنداد هو الشرك	ابن عباس	١٤١
الإيمان أن تؤمن بالله	ابن عمر	١٧٦
بين الأسماء الدنينا والتي	ابن مسعو	١٩٢
تعس عبد الدينار	أبو هريرة	١٢٨
ثلاث من كن فيه وجد	أنس	١١٢
ثلاثة لا يدخلون الجنة	أبو موسى	١٠٧
ثلاثة لا يكلمهم الله	سلمان	١٨١

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
جعلت لي الأرض مسجداً	؟	٨٠
الجبت السحر	عمر	٩٢
الجنة أقرب إلى أحدكم	؟	٥٣
حدثوا الناس بما يعرفون	علي	١٣٧
حد الساحر ضربه	جندب	٩٣
حسبنا الله ونعم الوكيل	ابن عباس	١١٩
الحلف منفقة للسلعة	أبو هريرة	١٨١
خلق الله هذه النجوم لثلاث	قتادة	١٠٧
خير أمتي قرني	عمران بن حصين	١٨١
خير الناس قرني	ابن مسعود	١٨٢
دخل الجنة رجل في ذباب	طارق	٥٢
سبحان الله سبحان الله	جبير	١٨٦
السيد الله تبارك وتعالى	عبدالله بن الشخير	١٨٨
شركاء في طاعته	قتادة	١٥٨
الشرك بالله واليأس	ابن عباس	١٢١
الطواغيت كهان	جابر	٩٢
الطيرة شرك	ابن مسعود	١٠٤
عجبت لقوم عرفوا الإسناد	أحمد بن حنبل	١٣١
عرضت علي الأمم	ابن عباس	٢٦
على علم مني بوجوه المكاسب	قتادة	١٥٥
العيافة زجر الطير	عوف	٩٥
قال أصبح من عبادي مؤمن	زيد بن خالد	١٠٩
قال رجل والله لا يغفر الله	جندب	١٨٥
قال الله تعالى ومن أظلم	أبو هريرة	١٧٩
قال الله تعالى يا ابن آدم	أنس	٢٢
قال الله تعالى يؤذني ابن آدم	أبو هريرة	١٤٨
قال موسى عليه السلام يا رب	أبو سعيد	٢١
كان بين رجل من المنافقين	الشعبي	١٣٤

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
كان يلت السويق للحاج	ابن عباس	٨٢
كان يلت لهم السويق	مجاهد	٨٢
كل مصور في النار	ابن عباس	١٧٩
كيف يفلح قوم شجوا	أنس	٦٢
لأعطين الراية غداً	سهل	٣٣
لأن أحلف بالله كاذبا	ابن مسعود	١٤٢
لتتبعن سنن من كان	أبو سعيد	٨٨
لعن رسول الله زائرات	ابن عباس	٨٢
لعن الله من ذبح لغير الله	علي	٥٢
لعنة الله على اليهود	عائشة	٧٩
لما تغشاها آدم	ابن عباس	١٥٨
لو استقبلت من أمري	؟	١٧١
لو أنفقت مثل أحد ذهباً	أبي بن كعب	١٧٧
لو أن لي مثل مال فلان	؟	١٧١
لو صبر أخي موسى لقص الله	؟	١٧١
ليس منا من تطير أو تطير له	عمران	٩٩
ليس منا من ضرب الخدود	ابن مسعود	١٢٤
ما السموات السبع في الكرسي	أبي	١٩١
ما السموات السبع والأرضون	ابن عباس	١٩١
ما الكرسي في العرش	أبو ذر	١٩١
من أتى عرافاً	أبو هريرة	٩٨
من أتى عرافاً فسأله	بعض أزواج النبي ﷺ	٩٨
من أتى كاهنا فصدقه	أبو هريرة	٩٨
من أحب في الله	ابن عباس	١١٣
من أراد أن ينظر إلى وصية	ابن مسعود	١٦
من اقتبس شعبة	ابن عباس	٩٥
من التمس رضا الله	عائشة	١١٦
من تعلق تميمة فقد	عقبة	٤١

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
من تعلق تميمة فلا	عقبة	٤١
من تعلق شيئاً وكل إليه	عبدالله بن عكيم	٤٥
من حلف بغير الله	عمر	١٤١
من ردته الطيرة	ابن عمرو	١٠٤
من سأل بالله	ابن عمر	١٦٧
من شهد أن لا إله إلا الله	عتبان وعبادة	٢١
من صور صورة في الدنيا	ابن عباس	١٧٩
من عقد عقدة	أبو هريرة	٩٦
من قال لا إله إلا الله	أبو هريرة	٧١
من قال لا إله إلا الله وكفر	؟	٣٧
من لقى الله لا يشرك به	جابر	٣٠
من مات وهو يدعو	ابن مسعود	٣٠
من نذر أن يطيع	عائشة	٥٧
من نزل منزلاً	خولة	٥٨
النائحة إذا لم تتب	أبو مالك الأشعري	١٠٩
هذه أسماء رجال صالحين	ابن عباس	٧٥
هل تدرون كم بين السماء	العباس	١٩٢
هل تدرون ماذا قال ربكم؟	زيد بن خالد	١٠٩
هل كان فيها وثن	ثابت	٥٥
هلك المتنطعون	ابن مسعود	٧٦
هي من عمل الشيطان	جابر	١٠١
وما قدروا الله حق قدره	ابن مسعود	١٩٠
ويحك أتدري ما الله	جبير	١٨٦
لا أسأل عن عبادي	؟	١١
لا تتخذوا قبري عيداً	علي	٨٥
لا تجعلوا بيوتكم قبوراً	أبو هريرة	٨٥
لا تحلفوا بأبائكم	ابن عمر	١٤٤
لا تسبوا الدهـر	أبو هريرة	١٤٨

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
لا تسبوا الريح	أبي بن كعب	١٧٣
لا تطروني كما أطرت	عمر	٧٥
لا تقولوا السلام على الله	ابن مسعود	١٦٣
لا تقولا ما شاء الله وشئت	حذيفة	١٤٢
لا رقية إلا من عين	بريدة	٢٦
لا عدوى ولا طيرة	أبو هريرة	١٠٣
لا عدوى ولا طيرة	أنس	١٠٣
لا يجد أحد حلاوة الإيمان	؟	١١٢
لا يسأل بوجه الله	جابر	١٦٨
لا يقل أحدكم اطعم ربك	أبو هريرة	١٦٦
لا يقل أحدكم اللهم اغفر	أبو هريرة	١٦٤
لا يؤمن أحدكم حتى أكون	أنس	١١٢
لا يؤمن أحدكم حتى يكون	عبدالله بن عمرو	١٣٣
يا أيها الناس قولوا	أنس	١٨٨
يا رويفع لعل الحياة	رويفع	٤٦
يا عم قل لا إله إلا الله	المسيب	٧٣
يا معاذ أتدري ما حق الله	معاذ	١٦
يا معشر قريش اشتروا	أبو هريرة	٦٣
يطوي الله السموات	ابن عمر	١٩١

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
○ مقدمة التحقيق	٥
○ مقدمة القول السديد شرح كتاب التوحيد	٩
○ مقدمة تشتمل على صفوة عقيدة أهل السنة وخلاصتها المستمدة من الكتاب والسنة	١٠
○ **كتاب التوحيد**	١٥
○ أقسام التوحيد	١٨
○ **باب** : فضل التوحيد وما يكفِّر من الذنوب	٢١
○ **باب** : من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب	٢٦
○ **باب** : الخوف من الشرك	٣٠
○ **باب** : الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله	٣٣
○ **باب** : تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله	٣٧
حقيقة تفسير التوحيد	٣٩
○ **باب** : من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه	٤١
تقسيم بديع للأسباب وتوضيحٌ كافٍ شافٍ	٤٢
○ **باب** : ما جاء في الرقى والتمائم	٤٥
تقسيم التمائم وبيان حكمها	٤٧
التفصيل في مسألة الرقى	٤٨
○ **باب** : من تبرك بشجرةٍ أو حجرٍ أو نحوهما	٤٩
○ **باب** : ما جاء في الذبح لغير الله	٥٢
حدّ الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده	٥٤
○ **باب** : لا يُذبح لله بمكان يُذبح فيه لغير الله	٥٥
○ **باب** : من الشرك : النذر لغير الله	٥٧
○ **باب** : من الشرك : الاستعاذة بغير الله	٥٨
○ **باب** : من الشرك : أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره	٥٩
الفرق بين الدعاء والاستغاثة	٦١

○ **باب** : قول الله تعالى : (أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ) ٦٢

○ **باب** : قول الله تعالى : (حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ) ٦٦

○ **باب** : الشفاعة ٧٠

○ **باب** : قول الله تعالى : (إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ) ٧٣

○ **باب** : ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين ٧٥

الحقوق ثلاثة : حق خاص لله، وحق خاص للرسل، وحق مشترك، وهو لله أصلاً وللرسل تبعاً لحق الله ٧٨

○ **باب** : ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟ ٧٩

○ **باب** : ما جاء في أن الغلو في قبور الصالحين يصيِّرها أوثاناً تعبد من دون الله ٨٢

ما يُفعل عند قبور الصالحين وغيرهم نوعان: مشروع وممنوع ٨٤

○ **باب** : ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك ٨٥

○ **باب** : ماجاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان ٨٨

تعريف الوثن ٩١

○ **باب** : ماجاء في السحر ٩٢

○ **باب** : بيان شيء من أنواع السحر ٩٥

○ **باب** : ما جاء في الكهان ونحوهم ٩٨

○ **باب** : ما جاء في النشرة ١٠١

○ **باب** : ماجاء في التطيُّر ١٠٣

تعريف التطيُّر والفرق بينها وبين الفأل ١٠٥

○ **باب** : ما جاء في التنجيم ١٠٧

التنجيم نوعان ١٠٨

○ **باب** : ما جاء في الاستسقاء بالأنواء ١٠٩

○ **باب** : قول الله تعالى : (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ) ١١٢

أصل التوحيد وروحه ١١٤
أنواع المحبة ١١٤
○ **باب** : قول الله تعالى : (إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) ١١٦
○ **باب** : قول الله تعالى : (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) ١١٩
○ **باب** : قول الله تعالى : (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) ١٢١
○ **باب** : من الإيمان بالله : الصبر على أقدار الله ١٢٤
○ **باب** : ماجاء في الرياء ١٢٧
○ **باب** : من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا ١٢٨
تفصيل مفيد في مسألة الرياء ١٢٩
○ **باب** : من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرَّم الله فقد اتخذهم أرباباً ١٣١
○ **باب** : قول الله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ) الآيـة ١٣٣
بحث مفيد في التحاكم إلى غير الله ١٣٥
○ **باب** : من جحد شيئاً من الأسماء والصفات ١٣٧
○ **باب** : قول الله تعالى : (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ) ١٣٩
○ **باب** : قول الله تعالى : (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) ١٤١
○ **باب** : ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله ١٤٤
○ **باب** : قول : ماشاء الله وشئت ١٤٦
○ **باب** : من سبَّ الدهر فقد آذى الله ١٤٨
○ **باب** : التسمي بقاضي القضاة ونحوه ١٥٠
○ **باب** : احترام أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم لأجل ذلك ١٥١
○ **باب** : من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ١٥٣
○ **باب** : ما جاء في قول الله تعالى: (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي) الآية ١٥٥
○ **باب** : قول الله تعالى : (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) ١٥٨

○ **باب** : قول الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ ﴾ ١٦٠

أنواع الإلحاد ١٦٢

○ **باب** : لا يُقال : السلام على الله ١٦٣

○ **باب** : قول : اللهم اغفر لي إن شئت ١٦٤

○ **باب** : لا يقول : عبدي وأمتي ١٦٦

○ **باب** : لا يُرد من سأل بالله ١٦٧

○ **باب** : لا يسأل بوجه الله إلا الجنة ١٦٨

○ **باب** : ما جاء في اللو ١٧٠

○ **باب** : النهي عن سب الريح ١٧٣

○ **باب** : قول الله تعالى : ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ۖ ﴾ ١٧٤

○ **باب** : ما جاء في منكري القدر ١٧٦

○ **باب** : ما جاء في المصورين ١٧٩

○ **باب** : ما جاء في كثرة الحلف ١٨١

○ **باب** : ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه ١٨٣

○ **باب** : ما جاء في الإقسام على الله ١٨٥

○ **باب** : لا يستشفع بالله على خلقه ١٨٦

○ **باب** : ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك ١٨٨

○ **باب** : ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ١٩٠

○ **فهرس الأحاديث والآثار** ١٩٥

○ **فهرس الكتاب** ٢٠١

تنبيه ورجاء

لقد جهدت دار التحف النفائس الدولية بالرياض في سبيل إخراج هذا العمل خالياً من الأخطاء ، وبما أن ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون فإننا نهيب بك يا أخي القاريء إن وجدت هفوة ندت منّا أن تنبهنا إليها ، لنتدارك ذلك في الطبعات القادمة ـ إن شاء الله ـ. وجزاك الله خيرًا.